الفصل الثانى

الدين وظاهرة التعدد

١ ــ المقدمة

بديهى أن الدين ظاهرة اجتماعية لا يكاد يخلوا منه مجتمع من المجتمعات الإنسانية قديما أو حديثا . فالحقيقة التى لا تقبل الجدل أن الدين ظاهرة إنسانية ، وهو قديم النشأة مع الإنسان ، وإن اعتناق الجماعات البشرية للدين منذ عهدها الأول بالحياة ــ على أى وجه وعلى أى صورة ــ هو حقيقة تاريخية لا شك فيها . لذلك لم تستطع أى جماعة إنسانية أن تنفصل عن الدين فى أى طور من أطوارها لا قديما ولا حديثا . وفى هذا الشأن تقول **موسوعة أديان العالم** [١] :

[إن المنظر الشامل للأديان فى العالم الآن ، هو منظر آسر ومعقد للغاية ، فمنذ أقدم الأزمنة إلى الوقت الحاضر ما زالت المعتقدات الدينية مزدهرة ، وقد أنتجت هذه المعتقدات أعدادا لا يمكن حصرها من الشعائر والطقوس الدينية ، وذلك فى محاولة ــ من الإنسان ــ لإعطاء معنى ما ، لهذا العالم وكذا إعطاء معنى دائم لهذه الحياة . وإن المرء ليشعر بالحيرة إزاء هذا التنوع غير المحدود من المظاهر الدينية ، إذا ما ألقى المرء نظرة على أديان البشرية منذ أديان ما قبل التاريخ ، والأديان القبلية ، وحتى الديانة الإسلامية]

(انتهى)

---

[١] " أديان العالم ، من التاريخ القديم إلى الوقت الحاضر " الناشر ؛ جيفرى باريندر ، ص ٥٠٨ .
" World Religions, From Ancient History to the Present " ; Editor ; Geoffry Parrinder , pp ٥٠٨ .

ولو تصفحنا ــ الآن ــ تاريخ البشرية منذ أقدم العصور حتى وقتنا هذا ، لوجدنا أن أديان العالم تحتوى عددا لا يمكن حصره من الديانات والطقوس والرموز الدينية . فنجد من الناس من عبد الحيوان وألهه ، ونجد منهم من عبد الشمس ، ومنهم من عبد النار .. وتنوعت الأديان بدرجة كبيرة تدعو للدهشة .

وقد جاءت شهادة تاريخ الأديان ناطقة بأن الظواهر الدينية قد صبغت بطابعها كل مظاهر النشاط الاجتماعى والاقتصادى والسياسى خاصة عند الأمم القديمة . **بل ويمكن القول بأن أصدق ما توصف به الحضارات القديمة أنها إنعكاسات للمعتقدات الدينية السائدة والشعائر التى كان يمارسها شعوب هذه الحضارات** . ويتمثل لنا هذا فى وضوح عند أمم الشرق القديمة التى قامت بها حضارات بجانب ما لها من ديانات وفلسفات خاصة ، مثل المصريين القدماء ، والهنود والفرس ، والصينيين ، والإغريق القدماء ، وما إلى ذلك من ديانات وحضارات .

غير أنه من الضرورى أن نشير هنا إلى أن ظاهرة التدين لحياة الجماعات لا تعنى أنها كانت واحدة فى كل الجماعات الإنسانية على اختلاف أنواعها ، إنما كانت الظواهر الدينية تختلف من جماعة لأخرى .

وعلى الرغم من أن الإنسان الحديث قد فشل فى تحديد تاريخ لنشأة الأديان على سطح الأرض ، إلا إنه لم يسلم بأن الدين قديم النشأة مع الإنسان ؛ لذا نراه ينكر أن فكرة الدين والتدين قديمة بقدم الإنسان ، بل ويرى فريق ــ لا بأس به ــ من العلماء والفلاسفة أن فكرة الدين والتدين قد أستحدثت على يد الإنسان نفسه ، وفى عصور متأخرة عن نشأته الأولى على سطح الأرض .

وفى هذا يقولون إن الإنسانية كانت تحيا قبل ذلك على أسس مادية صرفة قوامها الفنون الجميلة ، كالنحت والتصوير والبناء [٢] ، دون أن تتجه بتفكيرها إلى الدين أو تحاول أن تشكل لنفسها طقسا من طقوسه أو معتقداته . ولم تكن فكرة الدين فى نظر هذه الفئة ، إلا اختراعا من رجال

---

[٢] أهملوا بذلك ظاهرة الموت التى تطارد الإنسان منذ ميلاده ، ونشأته على الأرض . وكذلك رؤيا الأسلاف فى المنام ، والتى توحى بوجود حياة أخرى .

الدين أو الكهنة أو القساوسة . وفى هذا ذهب " **فولتير** [٣] " كما ذهب إلى هذا " **جان جاك روسو** [٤] " أيضا الذى قرر فى " **نظرية العقد الإجتماعى : The Social Contract** " :

" أن القانون لم يوضع إلا لخدمة مصالح الفئة الغالبة من الناس ، والسيطرة على الفئة المغلوبة ، وسلبها كل حق فى الحياة ومقوماتها الضرورية " .

فالدين فى نظر هؤلاء ليس إلا أداة لتدعيم سلطان النظم الضالة التى تنكر حقوق الإنسان فى صورتها الفردية أو الجماعية ، وتقوية هذه النظم على الضعفاء المظلومين ، وتسخير الناس لمشيئتهم ؛ وهذا ما حمل الساسة والمفكرين على تزييف أو خلق فكرة الدين ، لإيقاع الناس فى دائرة من التوهم بأن هناك قوة سماوية عليا أزلية ، تهيمن عليهم وتعدهم بالجنة جزاء صبرهم وإحتمالهم لهذا الظلم . وبديهى إن فكر كهذا يحمل فى طياته المعنى الضمنى لتعريف الدين بأنـــه :

" دائـــرة مـــن التوهم لتمـــكين فئة ظالمة من البشر من ظلم أو إستضعاف الفئة الباقية من البشر "

وبديهى إن هذا الفكر لم يكن إلا نتاج تجربة دينية تسمح بمثل هذا الظلم وهذا الاستضعاف . أو بمعنى آخر ، إن هذا الفكر لم يكن إلا نتاج دين أو أديان وثنية لا تعبأ بظلم الإنسان لأخيه الإنسان فحسب ، بل تقدم أيضا الإنسان ذاته قربانا للإنسان على مذبح الإله ..!! وبديهى إن تعريف الدين بمثل هذا النص ، قد دفع بكثير من المفكرين والفلاسفة ليس إلى الإعراض عن الدين فحسب ، بل دفع هذا أيضا بنيتشه [٥] إلى القول :

---

[٣] فولتير Voltaire (١٦٩٤ – ١٧٧٨) ، فيلسوف فرنسى ، يـــعتبر أحد أكبر رجال الفكر فى القرن الثامن عشر .

[٤] جان جاك روسو Jean Jacques Rousseau (١٧١٢ – ١٧٧٨) كاتب فرنسى ، كان لآراؤه السياسية أثر كبير فى تطور الديمقراطية الحديثة .

[٥] فريدريك نيتشه Friedrich Neitzsche (١٨٤٤ – ١٩٠٠) ، فيلسوف ألمانى ، بشر بالإنسان الأعلى أو السوبرمان (Superman) . وقد أصيب نيتشه بالجنون فى سنين حياته الأخيرة ، ومات وهو بعيدا تماما عن عالم العقلاء (مزيد من التفاصيل ستذكر فيما بعد) .

" إن الإله [٦] قد مات " ، ولا توجد آلهة تستحق التدين لها ، والدين الحقيقى هو الشجاعة ، وإن كل فرد جدير بالحياة لابد وأن يتزين بالشجاعة " .

وقد أدى هذا الوضع المتردى للفكر الدينى أو لمفهوم الدين على وجه عام ، إلى نشأة عقائد كثيرة مضادة للدين (**Anti-Religion Creeds**) ، أصبحت فى جوهرها هى الأخرى أديان وثنية ، كما سنرى حالا . ومن أمثال هذه المذاهب :

الإلحاد (**Atheism**) ، واللاأدرية (**Agnosticism**) ، والفلسفة الإنسانية (**Humanism**) ، والعلمانية (**Secularism**) ، والعلمية المادية (**Scientific Materialism**) أو الجدلية المادية (**Dialectical Matrialism**) ، والشيوعية (**Communism**) ، والوجودية (**Existentialism**) إلى آخر هذه المذاهب الوضعية ..!! وبذلك زادت وثنيات العالم ، وثنيات على وثنيات . وسنعود بشىء من التفصيل لهذه المذاهب الوضعية فى الفصل الرابع .

وعندما يتكلم الغرب عن هذه المذاهب الوضعية ، فإنهم يقولون بأن أتباع هذه المذاهب لا تهاجم الأديان الأسطورية فحسب ، بل تهاجم أيضا الأديان على نحو عام ، فهى تهاجم الدين أيا كانت صورته . **وربما تنبه الغرب أم لم يتنبه ، بأن جميع هذه المذاهب قد نشأت كلها فى جو من المسيحية الخالصة ، وبالتالى فإن الفكر المسيحى ، هو المسئول المسئولية المباشرة عن تولد هذه المذاهب الوضعية ونموها فى أحضان الديانة المسيحية ، مما يؤكد على وثنية أو أسطورية الفكر المسيحى بحكمهم هم** . ولا يعفى ــ الفكر المسيحى ــ من هذا الحكم ، وجود بعض مكارم الأخلاق داخله ، أو قصص أنبياء ذات تاريخ حقيقى ، فالعبرة دائما فيما يتمخض عنه الدين كناتج نهائى للاتباع .

وكما سنرى ــ أنظر الفصل الثالث ــ فإن هذه المذاهب الفكرية نشأت كنتيجة حتمية من تصادم الفكر البشرى مع الفكر المسيحى ، وذلك كناتج طبيعى من احترام العقل ، واحترام الذات ، ومنطقية التفكير العلمى الذى ترسخت أصوله وقواعده وأساليبه مع تقدم البشرية فى

---

[٦] أود أن أشير هنا ، إنه سوف يتم إستخدام كلمة " إله " بدلا من لفظ الجلالة " الله " ــ كلما أمكن ــ فى بعض صياغات هذا الكتاب ، وذلك حتى نتجنب إستخدام لفظ الجلاله " الله " فى وثنيات الفكر البشرى . وهذا عكس الشائع فى مثل هذه الكتابات . حيث جرى العرف على إستخدام لفظ الجلاله " الله " بدون تحفظ يذكر ، وذلك للدلالة على كلمة (God) فى اللغة الإنجليزية . ويستطيع القارىء (المتدين) أن يدرك الهوة الوثنية التى يمكن أن ننزلق فيها ، إذا ما تم إستخدام لفظ الجلالة " الله " فى كل المواضع بدلا من كلمة " إله " .

تحليل القضايا المختلفة . فإذا ما إلتزمنا الدقة فى التعبير ، فإننا يمكننا القول ، بأن هذه المذاهب الفكرية ــ كما تبدو ــ ليست فى الواقع إلا أديانا بديلة للديانة المسيحية . حتى إننا يمكن تسميتها بإسمها الحقيقى وهى :

" المذاهب (الوضعية) الدينية المضادة للدين "

أو إذا أردنا أن نكون أكثر تخصيصا فإننا نسميها :

" المذاهب (الوضعية) الدينية المضادة للديانة المسيحية "

كما يمكن القول بأن هذه المذاهب هى خير شاهد ، أو هى شاهد صدق على :

- فطرية الدين والتدين لدى الإنسان .
- فشل الديانة المسيحية فى احتواء الفكر البشرى .
- قصور الفكر البشرى فى إدراك المعنى الحقيقى للدين والتدين .

وأود أن أنبه إلى أن هذا ليس هجوما ما على الديانة المسيحية على نحو أو آخر ، ولكنه تقرير حالة عن واقع فعلى تعيشه البشرية في الوقت الحاضر . بل ويستطيع من يداخله أى شك ــ وحتى قبل أن يسترسل فى قراءة هذا الفصل ــ أن يذهب مباشرة إلى الفصل الثالث ليرى حقيقة المسيحية بنصوصها ، وأنبيائها ، وفكرها الإلهى من واقع كتابها المقدس وكما يراها أهلها ، أو بمعنى أدق كما يراها علماؤها وبدون أى إضافات من الكاتب .

إن التجربة الفكرية التى خاضها المفكرون مع الديانة المسيحية ، قد إنتهت بالفشل الذريع ، وانعكس آثار هذا الفشل برفض هؤلاء المفكرين ليس للديانة المسيحية فحسب ، بل رفضوا معها كل ماهو يمت للفكر الدينى بصلة . **وربما كان لهم بعض العذر فى هذا ، وليس كل العذر لأنه لا يصح تعميم أحكام عامة من واقع نتيجة واحدة لتجربة دينية فاشلة وخاطئة معا .**

فعلى الرغم من أن المظهر الخارجى لأصحاب المذاهب الفكرية الوضعية ، يوحى لهم وللآخرين ــ على حد سواء ــ بأنهم يرفضوا الدين على نحو مطلق ، إلا أنهم ــ فى حقيقة الأمر ــ شديدوا التدين ، ولكنهم يدينون بأديان وثنية بدون وعى منهم . فالإنسان لا يستطيع أن

obeikandl.com

ينفصل عن الدين والتدين فى جميع مراحل ولحظات حياته . فماذا يفعل إذن ..؟! فليصنع الإنسان دينا وضعيا لنفسه ، أو بمعنى أدق ، فليصنع مذهبا فكريا لنفسه ليعتنقه ويتدين به ، وليقذف بالديانة المسيحية إلى مكان بعيد ..!! ولتنسحب هذه التجربه الدينية المريرة لدى الإنسان ــ بدون تروى ــ على كل الأديان حتى وإن كان بينها الدين الصحيح ..!!

وكما سنرى من خلال هذا الفصل أن : " **القضية الدينية** " **ليست** " **قضية غيبية** " ، كما جرت الأعراف المتداولة بإعتبارها هكذا ، حيث الخرافة والأسطورة يمكن أن تلعب الدور الحاسم فيها ، ولكنها (أى القضية الدينية) فى الحقيقة هى " **قضية علمية كلية** " ، يحتل فيها الإنسان فيها ، وجوده ومصيره ، علمه وكونياته ، جزءا ضئيلا منها . فالوجود الفيزيائى بالمفهوم العام والعريض يعتبر " **جزئية محدودة** " من واقع متسام ، يطلق عليه إسم " **القضية الدينية** " . لذا وجب على الإنسان إعادة النظر فيما إنتهى إليه من فكر نحو الدين [٧] . كما ينبغى إعادة النظر فى التعاريف المتاحة للدين ، وهل هى تمثل التعريف الحقيقى للدين ، أم أننا مازلنا نحيا عهد الطفولة الدينية .. بل ونتخبط فى جاهلية العصور الأولى للبشرية تجاه الفكر الدينى .

إن فكر هذا الكتاب ليس فكرا تبشيريا ، ولكنه عرض لحقائق الدين ، التى طال التعامل معها بإستقلالية كاملة بعيدا عن المنطق الفكرى للإنسان . ففكر هذا الكتاب لم يتجاوز فى معناه إلا تقنين وضع الإنسان فى هذا الوجود ، وإسباغ الشرعية العلمية على مضامين الفكر الدينى (أو بمعنى أدق القول بالعكس ؛ أى بمعنى إسباغ الشرعية الدينية على المضامين العلمية) . وبذلك يمكن أن ننتقل بالقضية الدينية من حيز الغيبيات ، إلى حيز اليقين الكامل الذى يمكن التحقق من صدقة على نحو مطلق .. بالتجربة العلمية المباشرة .

كما يجب التنبه ، إلى أن " القضية الدينية " ليست قضية صراع بين " أيديولوجيات فكرية " ، أو " قضية صراع بين حضارات مختلفة " ، كما يرى كثيرين من محدودى النظر ، بكل أسف . وهى أيضا ليست " قضية تبشيرية " فى أديان تتخبط فى تحديد هوية أصنامها ، كما وإنها ليست " قضية سياسية " لكسب أتباع ما أو أرض ما ..!! بل هى قضية أعم

---

[٧] كما سبق وأن ذكرت ، فإن الموسوعات العلمية الغربية عادة ما تقوم بتصنيف " الدين وعلم الأساطير : Religion and Mythology " فى نفس القسم من المعارف ، وكما نعلم أن الأساطير تعنى القصص الخرافية . أنظر على سبيل المثال : " قاموس وبستر الموسوعى المطول : Webester's Encyclopedic Unabridged Dictionary " ، ص : ١٧٠٧ . أنظر الفصل الثالث من هذا الكتاب للتفاصيل .

وأشمل من هذا المفهوم القاصر بكثير ، فهى ــ فى الحقيقة ــ " قضية وجــود الإنسان ذاته ومصيره هو " .

فبديهى إن الإنسان ــ أى إنسان ــ لم يعد له من عمر الحضارات البشرية ، كما لم يعد له من عمر الأرض ، وكما لم يعد له من هذا الوجود شيئا .. إلا عمره هو ..!! وسرعان ما سيدب فيه الفناء وتدركه الشيخوخة ــ هذا إن لم يدركه الموت قبل ذلك ــ ثم يغادر هذه الحياة إلى اليقين الكامل ..!! ليقف وجها لوجه أمام الحقيقة المطلقة ..!! حيث يكون هو الخاسر الوحيد فى هذا الوجود ، إن لم يع حقيقة وجودة والحكمة الغائية من خلقه . لذا لزم عليه إخلاص النية فى البحث عن الحقيقة المطلقة أيا كان مكانها لضمان خلاصه أو نجاته بتحقيق الغايات من خلقه ، فقد قضى العدل الإلهى ألا نحاسب على ما لا نستطيع التمييز فيه أو إدراكه .. كما تشاء القدرة الإلهية بأن تجعل الفوارق ــ الآن ــ بين الدين الحق والديانات الوثنية الموجــودة على الساحة البشرية أضخم من أن تحسب ، مما يسهل معه إدراك الحقيقة بيسر بالغ ..

٢ ــ الدين والمدرسة التجريبية

يقول برتراند رسل [٨] :

" إن القضية الدينية يجب ألا تقبل إلا إذا كان لها سند كالسند المطلوب فى القضية العلمية "

ولما لم يجد برتراند رسل ، مثل هذا السند المطلوب فى القضية الدينية (أى فى الديانة المسيحية) ، قام بإعتناق " **مذهب اللاأدرية** " ، اقتناعا منه بأن العلم ــ وهو المصدر الوحيد لمعرفتنا ــ لا يقدم أى تأييد للإعتقاد فى الألوهية أو فى خلود النفس .

---

[٨] (لورد) برتراند راسل : (Lord) Bertrand Russel (١٨٧٢ - ١٩٧٠) ، رياضى وفيلسوف إنجليزى . يعتبر هو و " ألفريد هوايتهد : Alfred N. Whitehead " واضعى علم المنطق الرمزى أو المنطق الرياضى . من آثار رسل " تحليل المادة : The analysis of Matter " (عام ١٩٢٧) ، و " الدين والعلم : Religion and Science " (عام ١٩٣٥) ، و " تاريخ الفلسفة الغربية : History of Western Philosophy " (عام ١٩٤٥) ، و " السلطة والفرد : Authorority and the Individual " (عام ١٩٤٩) . ونال " رسل " جائزة نوبل فى الأدب عام ١٩٥٠ . ويعتبر برتراند رسل أحد رواد " الفلسفة التحليلية : Analytical Philosophy " ؛ ولتفاصيل هذه الفلسفة أنظر الفصل الرابع .

وعلى الرغم من التقدم العلمى والتكنولوجى الملحوظ الذى أحرزه الإنسان فى الآونة الأخيرة من العصر الحديث ، والذى يعكس التطور الفكرى للإنسان وقدراته العقلية ، إلا إننا نجد أن هذا الفكر يقف عاجزا تماما أمام القضية الدينية ، ولا يستطيع أن يجزم فيها بقرار حاسم ، حول صحتها أو بطلانها ، حول وجودها أو عدم وجودها . **بل ومازال الفكر البشرى ينظر إلى** " القضية الدينية " برمتها على إنها " **قضية غيبية** " فى المقام الأول والأخير ، بحيث يمكن أن تحوى أى كم من الوثنيات الفكرية .. طالما أنه لا يمكن البرهنة أو القطع بصحة المضامين الدينية الواردة فيها . وليس هذا فحسب ، بل أن تطبيق المنهاج العلمى أو المنهاج التجريبى على المضامين الفكرية الواردة بالأديان الوثنية الموجودة الآن على الساحة البشرية ، لا يقطع بعدم صحتها فحسب ، بل دفع هذا بالكثيرين إلى إطلاق الحكم " **بإعدام القضية الدينية** " على نحو مطلق بدون ترو فى إطلاق مثل هذا التعميم . حيث يقول **ديفيد هيوم** [٩] ــ **رائد المدرسة التجريبية** ــ فى هذا الصدد :

" بأن المعرفة المتبادلة بين الناس يستحيل عقلا أن تخرج عن المعرفة الرياضية [١٠] أو المعرفة الفيزيائية [١١] ؛ أما ما عدا ذلك فلا يكون من المعرفة فى شىء ، حيث أننا نقبله كتعبير فنى فى

---

[٩] **ديفيد هيوم David Hume (١٧١١ - ١٧٦) فيلسوف أسكتلندى (ومؤرخ) . نشر كتابه الرئيسى الذى يحوى لباب فلسفته كلها قبل أن يبلغ الخامسة والعشرين . ويعد هيوم أبا لحركة فلسفية تعاصرنا اليوم وتعرف بإسم " الفلسفة الوضعية المنطقية " حينا وبإسم " الفلسفة التجريبية العلمية " حينا آخر .**

[١٠] **المعرفة الرياضية : وهى معرفة تنحصر أطرافها فى فكر الفرد ، وهى تمثل علاقات منطقية متبادلة بين فكرة وأخرى ، كأن يدرك الفرد إن إحدى الفكرتين نتيجة تلزم عن الأخرى . فمثلا إذا أخذنا " مثلث " وهو شكل مستوى محوطا بثلاث أضلاع ، إذن فلابد إن يكون له ثلاث زوايا ، وأن مجموع زواياه يساوى الزاوية المستقيمة (أى ١٨٠ درجة) ، وأن الضلع الأكبر يواجه الزاويه الكبرى ، .... وهكذا . هنا تكون النتائج التى نصل إليها " يقينا " حتى ولو لم يكن فى العالم بأسره مثلث واحد . إذ إننا فى الواقع نحلل الفكرة وننظر إليها من زوايا مختلفة ، كمن يكرر الفكرة عدة مرات . وهذا هو عين المنهاج الرياضى . وبالتالى فإن الإستدلالات الرياضية يقينية النتائج دائما ، إذا ما صحت خطوات الإستدلال . وبذلك لا عجب أن تصبح الرياضة كلها براهين ذاتية يمكن ردها الى الصورة " أ هو أ " أو " أ = أ " ، وبالتالى فلا مكان للخطأ فيها طالما أن خطوات الإستنباط الرياضى فيها صحيحة . أما ؛**

[١١] **المعرفة الفيزيائية : فهى المعرفة المستمدة من أرض الواقع ، فهى تعنى بوصف العالم الخارجى بما فى ذلك الظواهر الطبيعية . فمثلا إننا نعلم أن " البرودة تجمد الماء " وأن " السباع لا تأكل العشب " وأن " الأجسام تتجاذب بقانون الجذب العام " ، حيث أن الفكر الخالص وحده ليس بقادر على أن**

قصيدة شعرية مثلا ، أو إنفعال ذاتى لا يــقصد به معــرفة موضوعية يجوز الجدل والمراجعة فيها ، على أن يكون الحكم فى قبولها أو رفضها هو الناقد الفنى لا صاحب المنطق العقلى " .

ويضيف ديفيد هيوم فى ختام كتابه :

" بحث فى الفهم البشرى : An Enquiry Concerning Human Understanding "

" إننا إذا إستعرضنا المكتبات بهذه المبادىء (أى المعرفة الرياضية والمعرفة الفيزيائية) فيالها من إبادة تلك التى نضطر الى فعلها ..!! فلو تناولنا مثلا " **كتابا فى اللاهوت** [١٢] أو المتافيزيقا المدرسية ، وسألنا أنفسنا ؛

هل يحتوى هذا الكتاب على تدليلات بالكم والعدد ؟ لا ..
هل يحتوى على تدليلات تجريبية خاصة بأمور الواقع ؟ لا ..
إذن فألق بهذا الكتاب فى النار لأنه يستحيل أن ينطوي على شيء غير سفسطة ووهم [١٣] " .

وهكذا يرى فلاسفة الغرب أن تطبيق المنهاج العلمى على كتب اللاهوت المسيحى لم تثمر عن أى فكر رياضى أو فيزيائى يستحق الاهتمام ، وبالتالى فهى كتب سفسطة يجب التخلص منها بإلقائها فى النار . **ولكن هل معنى هذا أن ديفيد هيوم كان ينكر التصديق بوجود الإله ؟ .. لا .. بل كان يؤمن بوجود الله ، بل ويعتبر التصديق بوجوده جزء من الفطرة البشرية التى لا يمكن الإنفصال عنها ، ولهذا نجده يقول** [١٤]:

يعلم بأن البرودة تجمد الماء . وأن السباع لا تأكل العشب ، وأن الأجسام تتجاذب بهذا النحو ؛ بل لابد لنا من الخبرة المستمدة من المشاهدة المباشرة والحواس لإدراك ذلك . حيث أن الفكر الخالص غير المعتمد على الخبرة الحسية ليس لديه ما يمنع من أن يتصور عكس ذلك أو نقائض هذه الأمور مثل " البرودة تذيب الثلج " وأن " الأسود تأكل العشب " وأن " الأجسام لا تتجاذب " ، .... وهكذا . فالذى حملنا على ما نقوله عن وقائع الطبيعة هو الخبرة الحسية التى أحاطتنا بما يقع نتيجة الملاحظة المباشرة .

[١٢] كتب اللاهوت هى كتب شروح العقيدة المسيحية التى تناقش طبيعة السيد المسيح الإلهيــه (أنظر الفصل التالي) .

[١٣] " ديفيد هيوم " – د. زكى نجيب محمود ، دار المعارف . ص : ١٠ – ١٣ .

[١٤] " الله فى الفلسفة الحديثة " جيمس كولنز ، ترجمة فؤاد كامل ، مكتبة غريب . ص : ١٧٢ .

" إن عواطفنا ودوافعنا العملية ترغمنا بقوة على التصديق بوجود الإله ، حتى لو كان التحليل الفلسفى يؤكد افتقارنا فى وسائل الارتقاء إلى معرفة تتسم بيقين برهانى له ، ويرجع ضرورة الاعتقاد فى الله الى الميل الذاتى فى طبيعتنا (يقصد بذلك الفطرة) أكثر من رجوعها الى طابع القهر الذى تنطوي عليه بنية النظام الكونى ، والتدبير الباطن الذى يكشف عنه العقل "

وقد كان يطيب **لهيوم** أن يستشهد **بسينيكا (Ceneca)** [١٥] فى قوله : " إن معرفة الله معناها عبادته [١٦] وليس معنى هذا أن معرفة الله تدفعنا الى القيام بشعائر العبادة ، بل معناه أن المعرفة النظرية هى بذاتها جوهر العبادة ، ولا شيء سواها " .

وهكذا كان **ديفيد هيوم** (رائد المدرسة التجريبية) يرفض الفكر الدينى ، أى الديانة كما جاءت بها كتب اللاهوت المسيحي ، لأنها تتعارض مع الفكر الرياضى والفكر التجريبى ، أو بمعنى آخر لأنها تتعارض مع المنهاج أو المنطق العلمى ولا تتفق معه ؛ بينما كان يقرر فى نفس الوقت أن فطرية الله فى النفس البشرية أمر حتمى وقدرى حتى وإن افتقرنا إلى وسائل الارتقاء لمعرفة البرهان اليقينى له .

وبديهى إن فكر **ديفيد هيوم** هذا ليس بدعة ، ولكنه اتجاه عام لدى قطاع كبير من البشرية ، ففى الواقع إن هذا الفكر يمثل ثلث الأنماط الفكرية المحتملة للبشرية بأسرها (كما سنرى فى بند تال) . وبديهى أن النتيجة الطبيعية لهذا النمط الفكرى هو :

" إن الله لا يمكن أن يعبد بأى دين ، إذا ما أخذ العقل فى الإعتبار "

وإلا استطاع **ديفيد هيوم** أن يحتفظ بالدين المسيحى ليعبد به الله . أو بمعنى آخر ، إن الدين الذى تناوله ديفيد هيوم لم يؤد إلى أو لم يفد فى معرفة " الله " فى شيء ، وبالتالى أصبح لا يمكن الإحتفاظ به كطريق يؤدى الى معرفة معقولة عن الله ووجوده .

---

[١٥] لوسيوس آنايوس سينيكا Lucius Annaeus Ceneca (٤ ق. م. ؟ - ٦٥ م.) خطيب وزعيم سياسى رومانى . وضع عدد من المؤلفات الفلسفية والمسرحيات التراجيدية .

[١٦] قارن هذا مع ما ورد ذكره فى القرآن المجيد :

﴿ وَما خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون (٥٦) ﴾ (الذاريات {٥١} : ٥٦)

٣ ــ الدين واالتحليل النفسى

يقول **سيجموند فرويد** [١٧]:

" إن الدين ينبع من عجز الإنسان فى مواجهة قوى الطبيعة فى الخارج ، والقوى الغريزية فى الداخل . وقد نشأ الدين فى مرحلة مبكرة من التطور الإنسانى عندما لم يكن الإنسان يستخدم عقله بعد فى التصدى لهذه القوى الخارجية والداخلية . وهكذا بدلا من التعامل مع هذه القوى عن طريق العقل ، نجدة يتعامل معها " بعواطف مضادة " أى بقوى وجدانية أخرى ، تكون وظيفتها هى الكبت أو التحكم فيما يعجز عن التعامل معه عقليا [١٨]. "

(وكما سنرى حالا إن الدين هو ــ فى الواقع ــ " قضية عقلية بحتة " ، أو بمعنى آخر هو " قضية علمية كلية " ، بينما الطبيعة أى القوى الخارجية والداخلية هى " قضية علمية جزئية " أى أن الطبيعة هى حالة خاصة جدا من الحالة العامة ألا وهى " الدين " ، مما يعكس جهل فرويد بالدين وبتعريفه ، وهو ناتج طبيعى أيضا لتجربته مع الأديان المتاحة لديه وهما الديانتان اليهودية والمسيحية ، حيث كان فرويد ــ نفسه ــ يهوديا) .

ويضيف " فرويد " :

" بأن الدين هو تكرار لتجربة الطفل مع والده ، فيتعامل الإنسان مع القوى المهددة له بنفس الطريقة التى تعلم بها وهو طفل أن يتعامل بها مع شعوره بعدم الأمان ، وذلك بالاعتماد على والد يعجب به ويخافه . ويقارن " فرويد " بين الدين و**عصاب الإنحصار** [١٩] (**Obsessional neurosis**) الذى نجده عند الأطفال . فالدين فى رأيه عصاب كلى أو جماعى (**Collective**

---

[١٧] **سيجموند فرويد Sigmund Freud (١٨٥٦ – ١٩٣٩) طبيب أمراض عصبية نمساوى ، يعتبر أشهر علماء النفس وأبعدهم أثرا فى الفكر الحديث . أسس المدرسة التحليلية فى الطب النفسى (Psycho-analysis) . أكد على أثر اللاوعى والغريزة الجنسية فى تكوين الشخصية . أصيب بالسرطان حوالى عام ١٩٢٣ ومات به . أشهر آثاره : " دراسات فى الهستيريا : Studien ber Hysterie " (عام ١٨٩٥) ، و " تأويل الأحلام : Die Traumdeutung " (عام ١٨٩٩) .**

[١٨] **" الدين والتحليل النفسى " د. آريك فروم ، ترجمة فؤاد كامل ، مكتبة غريب . ص : ١٥ / ١٦ .**

[١٩] **مرض عصبى يعنى استحواذ فكرة ما أو عاطفة ما على الفرد بشكل مرضى .**

neuroses) تسببه ظروف مماثلة للظروف التى تحدث عصاب الطفولة . وفى هذه العملية ينمى الإنسان ، ما يطلق عليه " فرويد " اسم " **الوهم** " ، وهذا الوهم تؤخذ مادته من تجربة الإنسان الخاصة عندما كان طفلا . إذ يتذكر الإنسان حين يواجه قوى خطرة لا سبيل إلى السيطرة عليها أو فهمها ، فيتذكر الإنسان ويعود القهقرى إلى تجربة مر بها وهو طفل ، حينما كان أبوه يحميه ، أبوه الذى يعتقد أنه أوتى حكمة عالية وقوة ، وهو يستطيع أن يكسب حب أبيه ، بإطاعة أوامره ، وتجنب نواهيه ؛ وبهذا يتجه الناس إلى تكوين فكرة " **الإله** " .

كما يرى فرويد إن الدين يقوم بتعليم الناس الاعتقاد فى " **وهم** " ، **بتحريم التفكير النقدى** . ويقول فرويد : إن كبت التفكير النقدى فى نقطة معينة يؤدى الى إفتقار قدرة الشخص النقدية فى مجالات أخرى من الفكر ، **ومن ثم يعوق قوة العقل** .

(وهكذا تنحصر خبرات فرويد ــ مرة أخرى ــ فى تجربة الفكر البشرى مع الديانتين المسيحية واليهودية ، حيث لم يتجاوز وصفه إلا ناتج هذه التجربة ، ورؤيته لصراع الكنيسة وحجرها على تطور الفكر البشرى ــ أنظر الفصل الأول بند ٨ ، والفصل الثالث لمزيد من التفاصيل) .

ويرى فرويد أن المثل والقيم : كالعقل ، وتخفيف العذاب على الإنسان ، والأخلاق جميعها مهددة من الدين . وهو يعترض على ربط الدين بالأخلاق لسببين :

السبب الأول : أن الدين يضع أسسا مهزوزة أشد الإهتزاز للأخلاق [٢٠] .

أما السبب الثانى : ففى رأيه أن الاعتقاد الدينى فى سبيله الى الإنحلال ، لذا فإن الارتباط المستمر بين الدين والأخلاق سوف يؤدى بالتالى إلى تحطيم قيمنا الأخلاقية ، عندمـــا ينتهى الدين من حياتنا .

وهكذا ؛ فالمتأمل فى فكر ونصوص " **فرويد** " ، يجد أنها تعكس ــ فى الواقع ــ تجربته الشخصية مع الديانتين اليهودية والمسيحية ، وانسحبت كل تحليلاته على نصوص وفكر هاتين الديانتين ، ورد الفعل العام لدى الأفراد تجاههما . ولهذا تمثلت جهود **فرويد** المبذوله فى إيجاد تفسير معقول لسلوك جحافل البشرية ــ مفترض فيها الذكاء والعقل ــ تجاه دين أو أديان وثنية

---

[٢٠] أنظر الفصل الثالث لرؤية إلى أى مدى الانحدار الخلقى الذى تجىء به الديانتين اليهودية والمسيحية .

مليئة بالمتناقضات وبقيم أخلاقية فى الحضيض ، ومع ذلك تصر هذه الجموع البشرية على الاحتفاظ بالدين وبهذه المتناقضات مهما كلفها ذلك من ثمن ، حتى لو كان هذا الثمن هو التضحية بعقلها ، أى بعقل الإنسان ذاته ..!!

فكيف هذا ..؟! كيف يقوم هذا الإنسان ــ ذلك الكائن العاقل المتعقل أي المنطقي ــ بقبوله طواعية لمتناقضات صارخة ووثنيات متردية ، تتناقض تناقضا واضحا وصارخا ، مع الفطرة النقية التى خلق عليها الإنسان ، ومع الفكر والمنطق الإنسانى ..؟! ثم كيف يصر الإنسان هذا الإصرار الغريب على الإحتفاظ بمثل هذه المتناقضات والوثنيات المتردية ..؟! ولا يقوى الفكاك أو التحرر منها ، بل ويسلم ــ طواعية ــ بالاحتفاظ بهذا كله على أنها حقائق لا تقبل الجدل ..!!

فبديهى لابد وأن يكون هذا المنظر بالنسبة لفرويد ، وبالنسبة إلى علماء النفس ، سواء القدماء منهم أو المعاصرين محيرا للغاية ..!! وكان السؤال الملح على خاطر الجميع هو .. كيف يمكن إيجاد تفسير معقول لمثل هذا السلوك الإنسانى ..؟!

ويتخبط الجميع (جميع علماء النفس) فى تحديد الدوافع وراء هذا السلوك البشرى ..!!

ففرويد ــ كما رأينا ــ قد رأى أن الإنسان يسهل عليه الاحتفاظ بالأديان الوثنية ، باعتبار أن الدوافع السلوكية للإنسان تجاه الدين ، تماثل الدوافع السلوكية للطفل تجاه أبوه ، وبهذا احتفظت البشرية بالمنهاج الدينى الوثنى كنوع من الإمتداد للفكر الطفولى لدى الإنسان .

بينما يرى بعض علماء النفس المعاصرين ، أن قدرة الإنسان على الإحتفاظ بالديانات الوثنية ، ترجع ــ فى الواقع ــ إلى أن الإنسان يملك " **القدرة على التبرير** " ، وأن هذه القدرة هى جزء من الطبيعة البشرية ، وبهذه الطبيعة يصبح الإنسان قادرا على قبول أشياء بعيدة عن الأمر الواقع ، أو بعيدة عن العقل [٢١] بسهولة ويسر .. وله ما يبرره في هذا ..!!

وكما سنرى حالا ، لا فرويد قد وفق فى فهم معنى الدين ، ولا علماء النفس ــ الغربيين ــ قد وفقوا إلى فهم معنى الدين ، حيث أن تجربتهم الدينية لا تسمح لهم بهذا ، وبالتالى لم يوفقوا ــ

---

[٢١] أنظر بند ١٢ : " ظاهرة التبرير أو التداخل والتضحية بالعقل " ، من هذا الفصل ، وذلك لإستكمال مناقشة الدين وعلم النفس .

كلاهما ــ إلى فهم الدوافع البشرية وراء هذا السلوك الجماعى للبشرية على قبول الديـــانات الوثنية .

وعموما ، كما سنرى فإن فكر **فرويد** ، شأنه فى هذا شأن غالبية علماء النفس الغربيين ، فى تفسيره للسلوك الجماعى للبشرية تجاه الديانة الوثنية ، لم يتجاوز رد الفعل الطبيعى للفكر الإنسانى تجاه الديانتين اليهودية والمسيحية ، واستبداد وحكر الكنيسة على هذا الفكر البشرى ، وذلك على مدى القرون الطويلة السابقة لحركة التنوير ، وكذا قيام الكنيسة بتجريد العقل البشرى من أثمن ما يتميز به ، وهو القدرة على التمييز بين المتناقضات ، مثل الخطأ والصواب ، والحق والباطل ، والخير والشر .. إلى آخره .

وعندما أراد الفكر البشرى التحرر من قيود الكنيسة وسيطرتها ، كان عليه أن يدفع ثمن هذا .. دماء .. ودماء .. ودماء على يد محاكم التفتيش الدينية ، وكان جميع أعضائها من رهبان الكنيسة ، كما سبق وأن أشرت إلى جانب من ذلك من الفصل السابق (أنظر الفصل الأول بند : ٨ ، والفصل الثالث لمزيد من التفاصيل) .

وأخيرا لابد لى أن أشير هنا ، إلى أنه لا ينبغى أن يفهم من فكر فرويد على أنه تفسير لقبول الإنسان للدين على نحو مطلق ، بل هو ــ فى الواقع ــ يمثل تفسير لظاهرة قبول الإنسان للديانات الوثنية .

وأكرر القول هنا ، أن فرويد كان يحاول أن يجد تفسيرا لموقف الإنسان المتناقض مع نفسه ؛ فالإنسان فى الجانب الواقعى تجده كائنا عاقلا متعقلا (أى منطقيا) ، بينما تجده فى جانب الديانة الوثنية كائنا فاقدا لعقله ومنطقه معا . فكيف يمكن له حل مثل هذا اللغز ..؟!

وهذا هو ما ذهب إليه **فرويد** لتفسيره ، شأنه فى ذلك شأن بعض علماء النفس ، ليس إلا . لذا يجب النظر إلى فكر **فرويد** بشكل متكامل ، بناء على هذا المفهوم . أى لا تؤخذ النتيجة التى قال بها فرويد (أى تماثل سلوك الطفل أمام أبيه ، مع سلوك الإنسان أمام الدين) على أنها تفسير لقبول الدين على نحو مطلق ، بل إن هذا يمثل فقط تفسير قبول الإنسان للدين الوثنى . ولما لم يكن أمام **فرويد** إلا أديانا وثنية ، فقد عمم رأيه بطريق الخطأ على الدين الحق كذلك .!

ثم تبقى كلمة أخيرة وهى ؛ **إن وجد ذلك الإنسان المفكر فى الجانبين ، أى فى الجانب الواقعى وفى الجانب الدينى معا ، فإن رأى فرويد سوف يفقد صحته** . فرأى **فرويد** مبنى أساسا ، على وجود إنسان غير مفكر فى الجانب الدينى ، وإنسان مفكر فى الجوانب الأخرى غير الدينية .

وعموما ؛ سوف يعرض هذا الكتاب فى الصفحات التالية ، الدوافع وراء كيفية قبول الإنسان للديانات الوثنية ، وما نقدمة هنا ــ على صفحات هذا الكتاب ــ لإثبات صحة ما نقول ، ليس من باب القضايا الجدلية ، التى يمكن أن تقبل فيها تعدد الآراء ، كما هو الحال فى المناطق الفلسفية حيث لا توجد بها حقيقة مطلقة ، ولكن ما نقدمة هنا هو نوع من الحقائق العلمية التى لا تقبل الجدل ، بل أن البرهان القائم عليها يتجاوز البرهان اللازم لبرهنة أى قضية فيزيائية كبرى ، والذى يمكن ملاحظة نتائجة والتأكد من صحته معمليا وبشكل مطلق ومباشر ..

أما عن كيفية نشأة الدين عند الإنسان ، فيعرض **فرويد** رأيا فى غاية من السذاجة والغرابة معا ؛ ففى عام ١٩١٣ قدم **فرويد** نظرية عن " **نشأة الدين** " عند البشرية فى كتابه " **الطوطم والتابو : Totem and Taboo (أى الوثن والمحرم)** " [٢٢] ، حيث اعتمد **فرويد** فى نظريته هذه ــ كما يقول ــ على معلومات مستقاة من ملاحظة سلوك بعض قبائل الباسفيك ، ومن سلوك جماعات من قطعان الحصان البرى وقطعان الماشية [٢٣]. وتقول هذه النظرية :

[بأنه فى الأزمنة القديمة كان هناك أب قوى لأحد القبائل الرحل ، يحتفظ لنفسه بكل نساء القبيلة ، وكان يقوم بطرد أبنائـــه الذكور من القبيلة عندما يكبرون ويصلون إلى سن النضج الكافى ..

---

[٢٢] " الطوطمية : Totemism " : هو نظام دينى لدى الشعوب البدائية ، ولا سيما أهل أستراليا وأفريقيا ، يجعل من أصل القبيلة أو العشيرة منحدرة من نبات أو حيوان وهو الأغلب ، وبذلك يكون لحمه محرّما على أفرادها . وبهذا المعنى يكون " الطوطم : Totem " ؛ هو الحيوان الذى تنحدر منه القبيلة أو العشيرة .

وبهذا يمكن تعريف الطوطم بأنه الوثن الذى تتخذه القبيلة أو العشيرة أو أى مجتمع ما رمز لها . وهذا الوثن يكون على هيئة صورة ما ، أو رمز خشبى ، أو تمثال ، أو طير ، أو خلافه . وعادة ما يقوم القوم بتقديس هذا الطوطم ، أو حتى عبادته .

أما كلمة " تابو : Taboo " : فهو مصطلح عام يطلق على كل ما هو محرم دينيا . وقد ظهر هذا المصطلح فى أواخر القرن الثامن عشر أثناء المناقشات حول أصل الدين .

[٢٣] لاحظ الجمع بين سلوك الإنسان والحيوان معا فى الاستدلال على صحة نظريته الدينية .

وتجمع الأبناء المطرودين فى النهاية ، ثم اتحدوا فى أحد الأيام ، وقاموا بقتل أبيهم المستبد هذا .. ثم قاموا بعد ذلك باقتسام نسائه (أي أمهاتهم) فيما بينهم . ويضيف فرويد ، أنه بعد أن تم للأبناء هذا ، قاموا بإلتهام ضحيتهم (جثة أبيهم) ، وبهذا قد حققوا ذاتهم على هذا الأب المستبد ومصدر خوفهم . واعتبروا أنفسهم بأكل جثة أبيهم ، قد نالوا قوته ، وفى نفس الوقت يكونوا قد مجدوه إذا ما إحتفلوا بهذه المناسبة بشكل متكرر فى صورة إحتفال مهيب أو عيد متكرر . ثم قاموا ـ بعد ذلك ـ بصنع أوثان (أو **طواطم : Totems**) لحيوانات مختلفة ، كرموز على قوة الأب ، كما إعتبروا أنه يمكن إحياء ذكرى جريمتهم هذه ، بالإحتفال بها فى صورة أعياد تقام فيها الشعائر ، وتقدم فيها الأضاحى لتؤكل]

وهذه هى قصة نشأة الدين لدى سيجموند **فرويد** .. أشهر علماء النفس ..!! وتعلق " **موسوعة أديان العالم** [٢٤] " على هذه القصة الساذجة فتقول :

[ليس هناك أى دلائل تاريخية تشير إلى صدق هذه القصة العجيبة ، التى قال بها **فرويد** ، والتى تثير الدهشة حقا . فقد أخطأ **فرويد** فى فكره تماما عندما قال إن الأقوام البدائية يأكلون أوثانهم المقدسة (**Their Totems**) . فلا يوجد ـ فى العالم ـ إلا حالة واحدة قد سجلت لإحدى القبائل البدائية فى أستراليا ، هى التى تقوم فيها القبيلة بإلتهام وثنها المقدس . ولم يعرف بالضبط سبب قيام القبيلة بالإحتفال على هذا النحو . كذلك لا يوجد أى دليل تاريخى ، أو أى دلائل أخرى فى آثار الحضارات القديمة ، أو أى دليل آخر فى أى مكان لفرضية أن الدين قد بدأ فى البشرية ، بهذا الهجوم القاتل من أبناء غيورين ، على أب قاس ، وقيامهم بقتله . كذلك لا يوجد أى دليل آخر ، يشير إلى أن الدين قد بدأ فى منطقة معينة ، أو فى مكان ما على سطح الأرض ، وانتشر منها إلى الأجزاء الأخرى من العالم]

وتضيف " **موسوعة أديان العالم** " قائلة ؛ أن عالما كبيرا كـ " **فرويد** " قد ضل ضلالا بعيدا فى فرضيته هذه عن أصل الدين . كما ضل ، من قبل ، فى تفسيره لتاريخ النبى موسى [٢٥]

---

٢٤ " أديان العالم ، من التاريخ القديم إلى الوقت الحاضر " الناشر ؛ جيفرى باريندر ، ص : ١٣ - ١٤ .

" World Religions, From Ancient History to the Present " ; Editor ; Geoffry Parrinder, pp ١٣-١٤ .

٢٥ في كتاب : " موسى والتوحيد " ؛ لسيجموند فرويد . وترجمة وتحقيق : جورج طرابيشي .

ofeikandi.com

٤ ــ الأنماط الفكرية والتدين المستتر أو الزائف

لقد ذهب الإنسان يبحث عن الإله .. فوجده فى الدين . ففى الدين يذكر الإله ، وفى الدين يعرف الإله ، وفى الدين يعبد الإله ، **فاعتقد الإنسان ــ خطأ ــ أن الدين مصدر الإله** . ولكن من هو الإله فى الدين ..؟! لقد وجد الإنسان الإله فى الدين فى وضع متردد للغاية (أنظر الفصل الثالث لتفاصيل ما تجيء به الديانتين اليهودية والمسيحية عن الإله) . فقد وجده الإنسان إلها مسكينا اجتمعت فيه كل النقائص البشرية ، لتهوى به من عليائه إلى الحضيض الفكرى المقزز ..!!

وكان على الإنسان إما أن يرفض " **الدين والإله** " معا ، ويعرض عنهما لما جاء به الدين من وثنيات فكرية عن الإله ، وإما أن يحتفظ الإنسان بالإله وبفكرته ــ الفطرية ــ عنه من كمال وإستعلاء إلهى . ويرفض الإنسان " **الدين** " فقط وما جاء به من وثنيات وتطاول على الإله . ولكن الإنسان ــ كما سنرى حالا ــ لا يستطيع أن ينفصل عن الدين والتدين فى جميع مراحل ولحظات حياته . فماذا يفعل إذن ؟! فليصنع الإنسان لنفسه دينا وضعيا ، أو بمعنى أدق ، فليصنع مذهبا فكريا ليعتنقه ويتدين به ، وليقذف بالديانة المسيحية إلى مكان سحيق ..!! **ولتنسحب التجربة الدينية المريرة لدى الإنسان ــ بدون ترو ــ على كل الأديان حتى وإن كان بينها الدين الصحيح** . وبهذا لم يصب الإنسان فى حكمه هذا ..!!

ولكن السؤال الآن .. هل هذه المذاهب الوضعية هى أديان (مقنعة) ، أم إنها مجرد فكر موضوعى وليس تدينا ما ؟! وللإجابة على هذا السؤال ؛ نقول أن الواقع يبرهن لنا على أن المذاهب الوضعية ــ ببساطة شديدة ــ هى فى جوهرها أديان حقيقية بالمعنى العريض للكلمة ،

يقول فرويد : أن " موسى " هو ابن ابنته فرعون مصر ، وقد حلم فرعون أن (موسى) سيكون خطراً عليه وعلى ملكه .. فأمر بإلقائه في النيل فوجدوه اليهود وتعهدوا بتربيته . وهو عكس ما قالت به التوراة ..!! ومعنى هذا أن موسى كان مصريا وليس عبرانيا كما تقول الرواية اليهودية . وبهذا المعنى يكون فرويد من أوائل المشككين في التراث اليهودي ، كما ألغى فرويد مفهوم " الجنس السامي " الذى بدأه موسى في العهد القديم من الكتاب المقدس ..!! ويضيف فرويد بأن اليهود قتلوا موسى ــ المصري ــ لأنهم لم يستطيعوا الارتقاء الى مستوى الروحانية التي تضمنها دين موسى . أما عن التوحيد فيرجح فرويد ظهوره إلى العقدة الجنسية الأولى أو إلى الجريمة الأولى في التاريخ البشري ، جريمة قتل الأب البدائي على يد أبنائه الطامعين في نسائه وسلطته .. على النحو السابق شرحه . ويشاع بأن فرويد لم يجرؤ على نشر هذا الكتاب إلا في العام الأخير من حياته خوفا من اليهود ، وبسبب نشره لهذا الكتاب اتهمه اليهود بالعداء للسامية .

بالنسبة للإنسان ، ولكنها ــ فى الواقع ــ أديان وثنية هى الأخرى . وربما خير دليل وشاهد على هذا ، هو المذهب الشيوعى الذى اعتنقته دولة الإتحاد السوفيتى سابقا ، ووضعته فعلا موضع التطبيق الفعلى داخلها . فماذا كانت نتيجة هذا المذهب ..؟! لقد سلكت الدولة بهذا المذهب ، كما سلك به الإنسان ــ بوعى أو بدون وعى منهما فهذا لا يهم ــ نفس السلوك الذى يتبعة الإنسان والدولة تجاه الدين ، كما تقول بهذا **موسوعة أديان العالم** :

[ففى الواقع ؛ **أخذت الشيوعية الطابع الدينى** أو الديانة المستترة بالنسبة إلى المجاميع الصغيرة ، أو فى مؤسسات الشعب العامة . ففى الحقيقة ، لقد وقعت هذه الشعوب فى فخ العقيدة بدون أن تدرى . فعلى سبيل المثال ؛ فإن عروض الدولة الضخمة تشبه إلى حد كبير الاحتفالات الدينية ، وكان يحدث هذا بشكل واضح فى روسيا سابقا . وكذلك مؤسسى النظام أو آباء الشيوعية أو معلميها قد تم تأليههم ، وأصبحت تماثيلهم وكذا صورهم توضع فى الميادين العامة ، وفى معظم المكاتب الحكومية (وهو ما يحدث أيضا فى الأنظمة الدكتاتورية على نحو عام) ، والمبانى الخاصة ، وأصبحت هذه التماثيل والصور بمثابة الرموز الدينية (أى الأيكونات : **Icons**) . كما أصبحت قبورهم مزارات أو أماكن للحج ، حيث يقف الناس فى طوابير لساعات طويلة جدا لإلقاء نظرة على جثمان مؤسسى هذا النظام ..!!

وكذلك أصبحت كتب الشيوعية تأخذ طابع التوقير والتقديس ، وتعامل وكأنها كتب معصومة من الخطأ ، وكان هناك إيمان شيوعى بأن هناك عصر ذهبى سوف يأتى ، وهو عصر المساواة والسلام . وهـــذا الإيمان مماثل للإيمان المسيحى واليهودى بالأخرويات ، وبمعنى البعث والحساب . وبذلك أصبح للمجتمعات الشيوعية روسيا والصين ، الأساطير والرموز الخاصة بها والتى تشبه إلى حد بعيد الأساطير والرموز الدينية فى الأديان الوثنية الأخرى]

وفى هذا الصدد يسأل **إريك فروم** [٢٦] :

---

[٢٦] " إريك فروم : Erich Fromm " (٢٣ مارس ١٩٠٠ - ١٨ مارس ١٩٨٠) عالم نفس إجتماعي (يهودي) ، وفيلسوف إنساني (ألماني/ أمريكي) . ولد في مدينة فرانكفورت وهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية في ١٩٣٤ . من أعماله : الخوف من الحرية (١٩٤١) التحليل النفسى والدين (١٩٥٠) اللغة المنسية : مدخل إلى فهم الأحلام والقصص الخيالية والأساطير (١٩٥١) المجتمع العاقل (١٩٥٥) رسالة سيجموند فرويد : تحليل لشخصيته وتأثيره (١٩٥٩) أزمة التحليل النفسى : مقالات عن فرويد وماركس وعلم النفس الاجتماعى (١٩٧٠) تشريح نزوع الإنسان إلى التدمير (١٩٧٣) كما حرر كتبا ، بأقلام كتاب متعددين عن " بونية " زن ومفهوم ماركس للإنسان وغيرها .

هل لدينا " **طوطمية : Totems** " [٢٧] في حضارتنا المعاصرة ؟ ويجيب فيقول ، نعم لدينا حظ كبير منها . وإن كان من يكابدون منها لا يعتبرون أنفسهم في حاجة إلى معونة " الطب النفسي" . فالشخص الذى يكرس نفسه تكريسا تاما للدولة أو لحزب سياسى ، حيث يكون معياره الوحيد للقيمة أو للحقيقة هى مصلحة الدولة أو الحزب ، كما يجعل من علم الدولة أو الحزب رمزا مقدسا ؛ مثل هذا الشخص ــ فى الواقع ــ يعتنق دينا قبليا ، ويتعبد بعبادة طوطمية ، وإن اعتقد أنه يعتنق مذهبا عقليا لا غبار عليه (وهذا بالطبع ما يعتقده كل المؤمنين بأى نوع من أنواع الديانات البدائية أو الوثنية) .

ويضيف قائلا : فإذا أردنا أن نفهم كيف تمتلك بعض **النظم كالفاشية** [٢٨] ، أو **الستالينية** [٢٩] ، ملايينا من البشر على استعداد للتضحية بتكاملهم وعقلهم للمبـــدأ القائل " **وطنى مخطئا أو مصيبا** " ، فلا مناص لنا من أن ننظر فى نزعتهم الطوطمية ، والصبغة الدينية التى يتسم بها توجيههم .

ويضيف **إريك فروم** فيقول :

ومن أشكال الوثنية الحديثة ، شكل جماعى متغلغل نجده فى عبادة السلطان والنجاح ، وفى سلطة السوق . ولكننا نجد إلى جانب هذه الأشكال الجماعية شيئا آخر . فلو أننا خدشنا سطح الإنسان الحديث لإكتشفنا عددا من الأشكال الفردية البدائية للدين . وكثير من هذه الأشكال تسمى أمراضا عصابية ، بيد أن المرء يستطيع أن يسميها أيضا ــ دون أن يجانبه الحق ــ بأسمائها الدينية : كعبادة الأسلاف ، والطوطمية ، والطقوسية ، وعبادة الطهارة .. إلى آخرة .

وهذا هو الإنسان ، ذلك الظلوم لنفسه والجهول بحقيقة وجوده ، والذى لم يستطع أن ينفصل عن الدين والتدين ، فماذا فعل ؟! لقد صنع الإنسان لنفسه مذهبا فكريا ليعتنقه ، أو بمعنى أدق لقد

---

[٢٧] " الدين والتحليل النفسى " د. آريك فروم ، ترجمة فؤاد كامل ، مكتبة غريب . ص : ٣٣ . راجع أيضا تذييل رقم ٢٢ السابق حول تعريف الطوطم .

[٢٨] الفاشية : Facism ؛ هو نظام دكتاتورى (تسلطى) صارم ، يتحكم فى المجتمع والاقتصاد .

[٢٩] الستالينية : Stalinism ؛ هى التطبيق لمبادىء الماركسية ــ اللينينية (الشيوعية) فى فترة حكم ستالين (١٩٤١ - ١٩٥٣) فى الإتحاد السوفيتى ، ودول وسط أوربا الإشتراكية .

صنع الإنسان لنفسه دينا وضعيا ليتدين به ، ووثنا يعبده .. يخلد إليه .. ويتظاهر أمامه بالسكينة .. وهو لا يعى أنه هالك فى النهاية .. لأنه لن يحقق الغايات من خلقه ..!!

٥ ــ الفطرة والحد الأقصى للمعرفة الإلهيه ..

يقول **رينيه ديكارت** [٣٠] ، مؤسس الفلسفة الحديثة ، عن فطرية وجــود الله فى النفس البشرية :

" من المؤكد إننى أجد فى عقلى فكرة الإله ، فكرة كائن كامل كمالا مطلقا ، وهى فكرة لا تقل وضوحا عما أجده فى عقلى من أشكال أو أعداد مختلفة . كما إنى أدرك وجودا فعليا أبديا ينتسب إلى الله ، تماما كما أدرك أن الأعداد والأشكال تنسب كل منها إلى طبيعتها الخاصة . وليس معنى ذلك إن تفكيرى يستطيع أن يأتى بهذه النتيجة أو أن يفرض ضرورتها على ، بل العكس إن ضرورة وجود الإله هى التى تفرض أن تكون لدى هذه الفكرة عن وجود الله [٣١] "

أما الراهب الألمانى **مارتن لوثر** [٣٢] :

" فإنه يسلم بأن البشر جميعا يمتلكون نصيبا من المعرفة الطبيعية بوجود الله . وبأن هذه حقيقة فطرية من حقائق العقل " ، وكان يقول : " مع أن العقل الطبيعى يستطيع أن يعرف أن الله موجود ، إلا أنه لا يستطيع أن يحدد عن يقين من هو ، وماذا يكون فى طبيعته الخاصة " . فقد كان يرى مارتن لوثر أن قدرتنا العقلية قد لفها العجز فى مواجهة المسائل التى تتعلق بالكمالات الإلهية [٣٣] "

أما **جون كالفن** [٣٤] فى شرحه للأساس الطبيعى للمعرفة ، فيقول [٣٥] :

---

[٣٠] **رينيه ديكارت Rene Decartes (١٥٩٦ - ١٦٥٠) ، فيلسوف وفيزيائى ورياضى فرنسى ، ويعتبر مؤسس الفلسفه الحديثه .**

[٣١] **" الله فى الفلسفة الحديثه " جيمس كولنز ــ ترجمة فؤاد كامل ، مكتبة غريب . ص : ٩٢ .**

[٣٢] **مارتن لوثر Martin luther (١٤٨٣ - ١٥٤٦) راهب ألمانى ، تزعم حركة الإصلاح البروتستانتى فى ألمانيا .**

[٣٣] **" الله فى الفلسفة الحديثه " جيمس كولنز ــ ترجمة فؤاد كامل ، مكتبة غريب . ص : ٢٢ .**

[٣٤] **جون كالفن John Calvin (١٥٠٩ - ١٥٦٤) لاهوتى فرنسى ، مؤسس المذهب الكالفنى . نشر راية الإصلاح البروتستانتى فى فرنسا ثم فى سويسرا .**

[٣٥] **" الله فى الفلسفة الحديثه " جيمس كولنز ــ ترجمة فؤاد كامل ، مكتبة غريب . ص : ٢٦ .**

" إن معرفتنا الطبيعية بالله مستمدة من مصدرين ، هما الفطرة والتجربة ، أما إنه يوجد فى العقل الإنسانى ــ وبالفطرة الطبيعية حقا ــ إحساس بالألوهية ، فشىء نؤمن به بلا مناقشة ؛ فمادام الله نفسه ، قد أراد أن يمنع أى إنسان من التظاهر بالجهل به ، فقد منح الناس جميعا فكرة عن ألوهيته . وليس للإحساس بالألوهية عضو خاص للمعرفة ، ولكنه هو نفسه الوعى بالإله الحقيقى الذى يبعثه فينا تلقائيا ضمن تكويننا الطبيعى والذى يثبته فينا تثبيتا لا يمحى من عقولنا ."

ويشير **كالفن** ، وهنا يستعير كثيرا من **سينيكا** [٣٦] و**شيشرون** [٣٧] ، فهم جميعا يتفقون حول هذا المعنى ، فيقول :

" بأن الطابع التلقائى الذى تتسم به المعرفة الفطرية لله يرجع إلى طبيعتها البسيطة ، وإلى وجودها العام فى جميع العقول ، بحيث لا تصلح أساسا لأى مباهاة بحدة ذكائنا . أما إنها محفورة فى عقولنا حفرا لا سبيل إلى محوه ، فهذا معناه أن الناس جميعا مسؤولون دائما عن الإعتراف بوجود الله ، ولا عذر لهم إن لم يفعلوا ذلك . وبتأثير هذا الدافع الطبيعى ، يؤكد العقل الإنسانى وجود الله بوصفه الصانع الوحيد للعالم ، وبوصفه متميزا عن آيات قدرته ، وبوصفه مطالبا لنا بالعبادة ... بيد أن إحساسنا بالألوهية لا يتضمن معرفة كفو له " .

وربما كان من المفيد أيضا ، إستعادة ما كان يقوله **ديفيد هيوم** (انظر بند ٢ السابق) حول فطرية وجود الله فى النفس البشرية . حيث كان يقول :

" إن عواطفنا ودوافعنا العملية ترغمنا بقوة على التصديق بوجود الإله ، حتى لو كان التحليل الفلسفى يؤكد لنا إفتقارنا فى وسائل الإرتقاء الى معرفة تتسم بيقين برهانى له ، ويرجع ضرورة الإعتقاد فى الله الى الميل الذاتى فى طبيعتنا (يقصد بذلك الفطرة) أكثر من رجوعها الى طابع القهر الذى تنطوي عليه بينة النظام الكونى ، والتدبير الباطن الذى يكشف عنه العقل "

---

٣٦ أنظر تذييل رقم ١٥ السابق .

٣٧ ماركوس توليوس شيشرون Marcus Tullius Cicero (١٠٦ ق. م. - ٤٣ ق. م.) سياسى وخطيب رومانى تعتبر خطبه آية فى البلاغة اللاتينية .

وكان يطيب لهيوم أن يستشهد بسينيكا (Ceneca) فى قوله : " إن معرفة الله معناها عبادته [38] وليس معنى هذا أن معرفة الله تدفعنا الى القيام بشعائر العبادة ، بل معناه أن المعرفة النظرية هى بذاتها جوهر العبادة ، ولا شىء سواها " .

وهكذا ؛ فكما نرى أن غاية أو خلاصة الفكر البشرى حول " **قضية فطرية إدراك وجود الله فى النفس البشرية** " [39] يمكن تلخيصها فى الآتى :

١ـ أن جميع الناس تتسم بمعرفة فطرية عن وجود الله ، وأن هذه المعرفة الفطرية قد وضعها الله فى جميع العقول ، ولا سبيل لمحوها .
٢ـ أن جميع الناس مسؤولين عن الاعتراف بهذا ، ولا عذر لهم إن لم يفعلوا .

وبديهى إن ما إنتهى إليه الإنسان من معرفة ، هى معرفة تأخذ طابع القانون الإحصائى (Statistical Law) . بمعنى إنها معرفة تنبع من ملاحظة الإنسان لنفسه ، ومن ملاحظاته التى شاهدها على الجماعات البشرية المختلفة على مدار التاريخ ، ومن خلال الحضارات المتتابعة ، ووجد إنها تنطبق على الغالبية العظمى من الناس ، وبالتالى فهى معلومة صحيحة ومؤكدة وتأخذ صفة القانون ، حتى وإن لم تتحقق بشكل مباشر فى بعض الأفراد أو بعض الأقليات البشرية . فالقوانين الإحصائية (التوزيع الطبيعي The Normal Distribution) تسمح بهذا .

والآن ؛ إذا ما ذهبنا الى " **الديانة الإسلامية** [40] " ، لنرى هذه الحقيقة الفطرية والمركبة فى النفس البشرية ، وكيف صاغها الله ــ سبحانه وتعالى ــ فى القرآن المجيد . ففى الواقع ؛ إننا سنجد أن غاية أو نهاية الفكر البشرى والذى توصل إليه الإنسان من خلال مفكريه وفلاسفته

---

[38] قارن هذا مع ما ورد ذكره فى قوله تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾
(القرآن المجيد : الذاريات {٥١} : ٥٦)

[39] أنظر كذلك ما قاله آنشتين حول هذا المعنى فى البند التالى .

[40] سوف أكرر دائما ، وكما سبق وأن ذكرت فى المقدمة ، أن قبولنا للمسلمة التى تقول بأن " الديانة الإسلامية ديانة صحيحة " ، هو " قبول مطلق " ، يتوقف على مدى ما تؤدى إليه هذه المسلمة من نتائج . فإن صحت النتائج صحت المسلمة ، وإن بطلت النتائج بطلت المسلمة ، وهذا ما يحدث فى النظريات العلمية الكبرى (أنظر مقدمة الكتاب) .

على مر الحضارات المختلفة ، هى معرفة منقوصة وغير كاملة ، إذا ما قورنت بنظيرتها الوارد ذكرها فى القرآن المجيد . فغاية الفكر البشرى فى معرفة القضايا الإلهية ، هى معرفة منقوصة وغير كاملة ، كما قضت بذلك الحكمة الإلهية المتعالية ، على أن يقوم الله بإستكمال هـذه المعرفة للإنسان فى أثناء حياته الأرضية على سطح هذا الكوكب ، أى فى هذه الحياة الدنيا .

وبديهى نحن لا نتوقع أن يتساوى العرض الفكرى أو العرض المنطقى **لنفس القضايا** التى يذكرها الفكر الإنسانى ، وما يتم ذكره أو ما يتم عرضه بمعرفة الفكر الإلهى ، كما ورد فى الدين . **فالمتحدث فى الدين هو الله بكمالاته المطلقة واللامتناهية** . لذا فنحن نتوقع أن يكون هناك فروقا جذرية فى العرض بين ما يعرضه الإنسان (ومصدره الله أيضا) وبين ما يعرضه " الله " ــ سبحانه وتعالى ــ لنفس القضايا . فبديهى أن يحيط الفكر الإلهى بالفكر البشرى ، ويتجاوزه بلا حدود ، عند صياغتة لنفس القضايا ، وهذا هو الحادث فعلا . فإذا ما تناولنا القضية السابقة ، أى قضية فطرية وجود الله فى النفس البشرية ، فنجد أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ قد عرضها فى قرآنه المجيد فى الثلاث آيات التالية :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا من قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٧٤) ﴾

(القرآن المجيد : الأعراف {٧} : ١٧٢ – ١٧٤)

وهنا نرى أن حجم الفكر الوارد فى هذه الآيات الثلاث أعمق من أن يحاط [٤١] . فالآيات تحوى القضايا المنطقية ، والقضايا الإحصائية ، والقضايا الفيزيائية التى يمكن التثبت منها بشكل قاطع

---

[٤١] **عن ابن عباس (رضى الله عنه) فى تفسير تلك الآيات يقول :**

" إن الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به ، وتكفل لهم بالأرزاق ثم أعادهم فى صلبه . فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ . فمن أدرك منهم الميثاق الآخر (أى الإسلام) فوفى به نفعه الميثاق الأول ، ومن أدرك الميثاق الآخر (أى الإسلام) فلم يقر به لم ينفعه الميثاق الأول ، ومن مات صغيرا قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول ، أى على الفطرة " .

، كما تحوى كذلك قضايا غيبية تمثل ــ فى الواقع ــ الإمتداد الطبيعى والمنطقى لهذا الواقع الفيزيائى السابق ذكره ، والذى نحياه .

فبادئ ذى بدء ، فإننا نرى بوضوح أن الله ــ عز وجل ــ فى الآية الأولى يقرر أن " الإدراك بوجوده " هى فطرة موجوده فى النفس البشرية ، وهو قد بدأ تكوينها أو تركيبها فى الإنسان منذ بدء المرحلة الجنينية له ؛ كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ [٤٢] ذُرِّيَّـتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ... ﴾ ؛ فقد بينت الدراسات الحديثة أن خلق الإنسان يتم من سوائل تخرج من الصلب (العمود الفقرى) ، وعظام الصدر من الرجل والمرأة . كما بينت كذلك الدراسات الجنينية الحديثة أن نواة الجهاز التناسلى والجهاز البولى (أى أصل النوع) فى الجنين تظهر بين الخلايا الغضروفية لعظام العمود الفقرى (أى الظهر) وبين الخلايا المكونة لعظام الصدر . وهذه كلها معان فيزيائية مرتبطة بمعنى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّـتَهُمْ ... ﴾ والتى يمكن التثبت منها بشكل قاطع ، وهكذا فالفطرة قد بدأت فى التشكيل مع التكون الجنينى للإنسان .

ثم نأتى بعد ذلك الى الإجابة على التساؤل الخاص لماذا وضعت هذه الفطرة فى النفس البشرية ، والإجابة على هذا تحوى إحتمالين ؛ الإحتمال الأول : حتى لا يتظاهر الإنسان بالغفلة :

---

[٤٢] يتأكد هذا المعنى أيضا بمزيد من التفاصيل ، كما جاء فى قوله تعالى فى سورة الطارق :

﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) ﴾
(القرآن المجيد : الطارق {٨٦} : ٥ - ٧)

والصلب هى منطقة العمود الفقرى (أى الظهر) ، والترائب هى عظام الصدر . ومعنى الآية الكريمة أن خلق الإنسان يتم من سوائل تخرج من الصلب (أى من العمود الفقرى) ، وعظام الصدر من الرجل والمرأة ، وجميعها حقائق قالت بها الدراسات الجنينية الحديثة . فقد بينت هذه الدراسات أن نواة الجهاز التناسلى والجهاز البولى (أصل النوع) فى الجنين تظهر بين الخلايا الغضروفية لعظام العمود الفقرى (أى الظهر) وبين الخلايا المكونة لعظام الصدر . وتبقى الكلى فى مكانها وتنزل الخصية الىمكانها الطبيعى فى الصفن بعد الولادة . وعلى الرغم من إنحدار الخصية إلى أسفل فإن الشريان الذى يغذيها بالدم طول حياتها يتفرع من الأورطة بحذاء الشريان الكلوى (أى من الظهر أيضا) . كما وإن العصب الذى ينقل الإحساس إليها ويساعدها على إنتاج الحيوانات المنوية وما يصاحب ذلك من سوائل متفرع من العصب الصدرى العاشر الذى يغادر النخاع الشوكى (أى من الظهر) بين الضلعين العاشر والحادى عشر .

﴿ ... أن تَقُولُوا يَوْمَ القِيـــَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾

والغفلة هنا تعنى الانصراف عن المعرفة الإلهية ، كما تعنى التظاهر بالجهل وهو ما قال به جون كالفن بالضبط . أى أن هذا هو عين ما توصل إليه الفكر البشرى متمثلا فى فكر العلماء والفلاسفة . أما الإحتمال الثانى ــ وهو مالم يتوصل إليه الفكر البشرى ــ هو :

﴿ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيـــَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ... ﴾

فعذر الإتباع لأهل مشركين ، هو عذر غير مقبول أيضا . فالله ، قد زود الإنسان بالعقل اللازم والملكات الكافية ليتأكد من صحة " القضية الدينية " من جانب ، وكذا صحة التوجه إلى الله ، سبحانه وتعالى ، من جانب آخر . لهذا لن يقبل من الإنسان أن يقول :

﴿ ... إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيـــَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْـــطِلُونَ ﴾

أما " القضايا الغيبية " الأخرى الوارد ذكرها فى نفس الآيات الثلاث الكريمة السابقة ، فهى قضايا تمثل الإمتداد الطبيعى والمنطقى لوجود هذه الفطرة فى النفس البشرية ، والأعذار المترتبة على إنكارها . ونأتى من هذا الفكر إلى ثلاث قضايا تدور حول : لمن ؟ .. ومتى ؟ .. وأين ؟ يذكر الإنسان أعذار إنكاره لهذه الفطرة ؟ والإجابة على هذه الأسئلة تقررها الأية الكريمة على النحو التالى :

- لمن نذكر هذه الأعذار ؟ (نذكرها لله ، عند حسابنا على عدم معرفتنا له) .
- ومتى نذكر هذه الأعذار ؟ (نذكرها يوم القيامة ، عند بعث الإنسان بعد موته) .
- وأين نذكر هذه الأعذار ؟ (نذكرها فى الآخرة ، أى فى مكان البعث) .

وسنعود الى معنى البعث ومكانه والحساب ، بعد التعرض لشرح الأكوان الموازية [٤٣] فى النموذج القرآنى الشامل لنرى بعضا من الفعل الإلهى الكلى ، ليدرك الإنسان مدى ضآلته ، وضآلة كونه ، وضآلة علمه وفيزيائه ، بالنسبة للوجود الشامل الذى يحويه ــ أى يحوى الإنسان وفرعياته ــ كجزئية متناهية فى هذا الوجود غير المتناهى والمتمثل فى " القضية الدينية " .

---

٤٣ " الدين والعلم .. وقصور الفكر البشرى " لنفس مؤلف هذا الكتاب . مكتبة وهبة / القاهرة .

وكما نرى فإن الغيب فى هذه الآيات الثلاث قد تداخل مع قوانين منطقية ، وإحصائية ، وفيزيائية يمكن التثبت منها على نحو مطلق . وبهذا يمكن أن تحمل الآيات فى طياتها البرهان الضمنى على صدق الغيب الوارد ذكره بها ، حتى وإن لم توجد الأدلة أو البراهين المباشرة للبرهنة على وجود هذا الغيب . فالقضايا الغيبية فى القرآن المجيد يتم برهنتها بطرق غير مباشرة ، شأنها فى ذلك شأن البراهين الدالة على صدق وصحة المسلمات فى القضايا الفيزيائية الكبرى ، كما سبق ذكره وبيانه فى مقدمة هذا الكتاب .

وعلى هذا النحو ، فإن الفكر الإلهى ــ فى القرآن المجيد ــ لا يقوم على مجرد سرد القضايا التى يريد عرضها على الإنسان ويطلب منه التصديق بها ، وإلا أصبحت " القضية الدينية " بهذا المعنى مجرد مسلمات تنقصها البراهين الدالة على صدقها . ولكنه يتعدى فكر هذا السرد ، أو فكر مجرد عرض القضايا ، إلى فكر " **البرهان التداخلى** " ، بمعنى التداخل بين الغيب والواقع أو الغيب والشهادة . ولهذا يمكن أن يطلق على فكر البرهان التداخلى أيضا ؛ فكر : " **البرهان الغيب ــ فيزيائى** " .

والمعنى المقصود هنا أن الفكر الإلهى يقوم بعرض عدة قضايا معا فى الآية الواحدة (أو فى عدة آيات) ؛ بعض هذه القضايا فيزيائى بحت ، والبعض الآخر غيبى (غيبى محلى ، وغيبى مطلق) يمثل الإمتداد الطبيعى للقضايا الفيزيائية . أما القضايا الفيزيائية فيمكن التثبت منها بطريقة مباشرة ، إما من واقع الملاحظة المباشرة على مفردات الوجود (وهو ما ينبع منه القوانين الإحصائية) ، أو التحقق منها بطريقة معملية أو تطبيقية تتوقف على المستوى العلمى والحضارى للعصر الذى يتم فيه تفسير ، أو تأويل الآيات المعنية . وفى هذه الحالة تكون **القضية الفيزيائية المعروضة هى بمثابة النبوءة العلمية إن لم تكن معروفة فى حينه** .

أما القضايا الغيبية فهى تمثل ــ فى الواقع ــ الإمتداد الطبيعى للآيات الفيزيائية الوارد ذكرها فى الآية أو الآيات المعنية ، وبهذا يثبت البرهنة عليها كنتيجة تالية لصحة النتائج الفيزيائية ، والتى تم البرهنة أو التأكد من صحتها . كما يمكن أن تكون القضايا الغيبية المعروضة ؛ هى " قضايا غيبية محلية " ، **بمعنى أنها قد تكون قضايا مرجأ التحقق منها الى عصور أخرى** ، لحين نضوج الفكر البشرى فيها بالدرجة الكافية ، والذى يمكن أن يسمح تقدمه العلمى فى هذه الحالة بالتثبت من صدقها . كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨) ﴾

(القرآن المجيد : ص {٣٨} : ٨٧ - ٨٨)

أى أن إدراك معانى القرآن المجيد ، لن يتأتى إلا مع تقدم الحضارة البشرية) ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ ، وهذا ما يؤدى إلى فكر " البرهان الحركى أو البرهان الديناميكى The dynamic proof " فى القرآن المجيد (وسنأتى الي تفصيل ذلك فيما بعد) .

ولننه هذه الفقرة بالقول ؛ بأن فطرية وجود الله فى النفس البشرية ووحدانيته ، هى من الأمور الواضحة بجلاء ، لذا ينبغى للإنسان أن يتحرر من وثنيات الفكر البشرى ؛ ويتجه لهذه الحقيقة مباشرة ، فهى حقيقة بسيطة ويمكن إدراكها بدون عناء ، وبدون فلسفات ، وبدون مراوغة فى التفسيرات ، والتبريرات الوثنية التى تهبط بالفكر البشرى الى الحضيض .

كما يجب ألا تكون القضية الدينية ايمانا إعتباطيا ، أو ايمانا ساذجا لفكر وثنى ، فالإنسان هو الخاسر الوحيد لإعتقاده هذا . فعلى الإنسان أن يعى أن القضية الدينية هى قضية علمية تمحيصية فى المقام الأول والأخير ، شأنها فى ذلك شأن القضايا العلمية المختلفة ، والغيب فيها هو قيم نهائية يستطيع الإنسان الإقتراب منه الى أى درجة يشاء ، حيث يتوقف ذلك على درجة التكامل الفكرى للإنسان ، ومدى وصوله الى النضوج الفكرى الكافى فى إدراكاته المعنية .

ثم نختم هذه الفقرة ، بكلمة أخيرة لها دلالة كونية عميقة ، يدركها الصوفية برؤية روحية (أو قل برؤية وجدانية) ، حول معنى فطرية إدراك الإنسان لوجود الله ، كما تشير إليه الآية الكريمة فى قوله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) ﴾ [٤٤]

(القرآن المجيد : ص {٣٨} : ٧١ - ٧٢)

[والطين : هنا بمعنى العناصر الأرضية]

---

[٤٤] أنظر الملحق الرابع لمزيد من التفاصيل .

وهنا تتناهى الفطرة فى قوله تعالى ﴿ .. وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي .. ﴾ إلى مقام المعرفة المباشرة بـــ " الله " .

فيصبح إدراك الإنسان لوجود الله ينبع من إدراك الجزء للكل ، أو تعريف النفس بالنفس ، أو تعريف الـــ " هو " بالـــ " هو " .. بلا اتحاد .. أو حلول [٤٥] .

وقد يتناهى هذا الفكر عند بعض الصوفية ، إلى الحد الذى دفع بالحلاج [٤٦] بأن يقول : " **ما فى الجبة إلا الله** " (والجبة هى الرداء الذى يلبسه) ، أو قوله " **أنا الحق** " . و" **الحق** " هو اسم من أسماء الله الحسنى ، أو هى صفة مطلقة من كمالاته الإلهية ، سبحانه وتعالى .

---

[٤٥] لا يقر الإسلام أى مذهبا يقول بحلول الله فى جسد إنسان ، كما لا يقر المذهب القائل بفناء الذات الإنسانية فى الذات الإلهية . وكذلك لا يقر الإسلام أى مذهب يقول بوحدة الوجود ؛ أى أن " الله " هو مجموعة الموجودات . أو بمعنى آخر أن " الله " هو الكون وموجوداته ومخلوقاته ما ظهر منها وما بطن ، أو بمعنى مباشر أن الموجودات والمخلوقات ومنها الإنسان هى المكونات الأولية ، أو الأعضاء التى يتركب منها الله . ومن أكبر القائلين بوحدة الوجود الفيلسوف ــ اليهودى ــ الهولندى " باروخ إسبينوزا : Baruch Spinoza " (١٦٣٢ - ١٦٧٧) . وجميع هذه المذاهب هى فكر مرفوض تماما فى الديانة الإسلامية ، ولا يوجد أيا من النصوص القرآنية تؤدى إلى مثل هذه المعانى (أنظر الفصل الرابع ــ بند ٣. ٤. ١. ــ لمزيد من التفاصيل) .

[٤٦] هو " شهيد التصوف الإسلامى " : الحسين بن منصور الحلاج (٨٥٨ - ٩٢٢ م) ؛ (٢٤٤ - ٣٠٩ هـــ) . وقد دفع فكره هذا بمعاصريه إلى إتهامه بالكفر والفسوق ، وبأنه يقول بـــ " نظرية الإتحاد والحلول " ، أى بإتحاد الله به أو بحلول الله فيه . وقد أدين الحلاج على هذا ــ وقيل أنه أدين لأسباب سياسية وإتخذت هذه المقوله ذريعة لإدانته ــ ثم صلب وقتل وأحرقت جثته ، فى بغداد فى ٢٦ مارس عام ٩٢٢ م. وفى ليلة صلبه أنشد يقول :

عجبت منك ومنى ... يا منية المتمنى
أدنيتنى منك حتى ... ظننت أنك أنى
وغبت فى الوجد حتى ... أفنيتنى بك عنى

ويحكى عن الحلاج كثير من الكرامات (وهى المعجزات لغير النبى أو الرسول) والآيات التى جرت على يديه ؛ منها : أنه كان يخرج فاكهة الشتاء فى الصيف ، وفاكهة الصيف فى الشتاء . ويمد يده فى الهواء فيعيدها مملوءة دراهم ، قد كتب عليها (قل هو الله أحد) وكان يسميها دراهم القدرة . كما كان يخبر الناس بما أكلوا ، وما صنعوا فى بيوتهم ، ويتكلم بما فى ضمائرهم . كما تحدث أصدقاء الحلاج وخصومه عن قدرته على شفاء المرضى ، بالرقية حينا ، وبقراءة القرآن أحيانـــا ، بل تحدثوا عن إحيائه للموتى ، كما حدث لببغاء ولى عهد الخلافة العباسية .

ولما صلب الحلاج تعرض للتعذيب الشديد ، فقد بترت يداه ، وقطعت قدماه ، وهو لم يتغير ، وظل على نشوته ومناجاته وضراعاته وذكره لله . وظل الحلاج ثلاثة أيام على هذا الحال حتى قطع رأسه

وتنتهى الفطرة الإنسانية إلى إدراك وجود الله ، وينتهى إدراك وجود الله إلى حب الله ، وينتهى ذروة الحب الإلهى بالصوفى ــ فى تجربته الروحية ــ إلى مقام الفناء . فقد يفنى الصوفى فى محبوبه الأعلى (الله) ، فناء لا يشاهد من خلاله غير جمال الحبيب . ويصبح الصوفى فى بحر الفناء الزاخر ، لا يحس بشىء من الموجودات ، ويعيش فى عالم من الجمال المطلق ، عالم الحق المطلق ، وعالم الخير المطلق ، حيث ترفع الأستار عن الأسرار ، وتتجلى له الحقائق ، وقد أسكرته أنوار التوحيد .. ولهذا يقول شارح المواقف **للنفرى** :

" أقل علوم القرب ــ أى القرب من الله ــ هو أنك إذا نظرت إلى أى شخص محسوس أو معقول ، أو غير ذلك فسوف ترى " الله " فيه رؤية أبين من رؤية الشىء نفسه . والدرجات فى ذلك متفاوته . فبعض الصوفية يقولون : إنهم لا يرون شيئا إلا ويرون الله قبله ، وبعضهم يقولون : إنهم لا يرون شيئا إلا ويرون الله بعده ، وآخرون يقولون : إنهم لا يرون شيئا إلا ويرون الله معه ، ويقول غيرهم : ما رأينا شيئا غير الله "

ويقول **معروف الكرخى** : " إذا إنفتحت عين بصيرة العارف ، نامت عين بصره ؛ **فلا يرى إلا الله** " .

فى اليوم الثالث ، ويقول ابن خفيف (فى أخبار الحلاج ، طبع فى باريس) " ثم ضرب عنق الحلاج فبقى جسده ساعتين من النهار قائما ، ورأسه بين رجليه ، وهو يتكلم بكلام لا يفهم ، وكان آخر كلامه أحد ، أحد ... "

وقد سأل الشيخ الأكبر محى الدين بن العربى ، الحلاج (فى مشهد روحى أو رؤية منامية) ، عن كيفية تحمله لكل هذا العذاب ، ولماذا ترك بيته (أى جسده) يخرب ؟ أجابه الحلاج وهو يبتسم :

" لما إستطالت على بيتى (أى جسدى) الأكوان ، حين أخليته ، وخلفت هارون فى قومى (أى خلف بقية عقله فى جسده) ، إستضعفوه لغيبتى ، فأجمعوا على تخريبه ، فلما هدموا من قواعده ما هدموا ، وكنت قد فنيت ، رددت إليه بعد الفناء ، فأشرفت عليه ، وقد حلت به المثولات ، فأنفته نفسى ، وقلت : لا أعمر بيتا تحكمت فيه الأكوان ، فانقبضت نفسى عن دخوله ، فقيل : مات الحلاج ؟ وما مات الحلاج ؟ ولكن البيت خرب ، والساكن إرتحل " .

والحلاج يقول ؛ أنه فى جهاده الروحى لم يستطع أن يتخلص تماما من جسده ، ومن العلاقات التى للكون على هذا الجسد . فرحل بروحه إلى الله ، وترك العقل أو بقية منه ، ليخلفه فى تدبير هذا الجسد ، كما رحل موسى ــ عليه السلام ــ إلى الله ، وترك هارون فى قومه ليخلفه فيهم . وهنا تحكمت الأكوان فى جسده لغيبته عنه ، واستضعفوا خليفته ، فأدى ذلك إلى تقويضه . [" الحلاج ــ شهيد التصوف الإسلامى " ، طه عبد الباقى سرور . الطبعة الثانية . دار نهضة مصر]

والفناء ــ بدون تداخل أو إتحاد أو حلول ــ هو غاية الصوفية ، وهناك تعريفات كثيرة للفناء ، منها ما يقول به أبو القاسم الجنيد : " أن الفناء هو دخول صفات المحبوب (الله) ، على البدل من صفات المحب (الإنسان) " أى التخلق بأخلاق الله وصفاته ، ليكون الفرد ربانيا .

ويقول **ابن القيم** [٤٧] حول الفناء :

" الفناء الذى يشير إليه القوم ، ويعملون عليه ، هو أن تذهب المحدثات فى شهود العبد وتغيب فى أفق العدم ، كما كانت قبل أن توجد ، ويبقى الحق تعالى كما لم يزل . ثم تغيب صورة المشاهد ورسمه أيضا فلا يبقى له صورة ولا رسم . ثم يغيب شهوده أيضا فلا يبقى له شهود . ويصير الحق (الله) هو الذى يشاهد نفسه بنفسه ، كما كان الأمر قبل إيجاد المكونات ، وحقيقته أن يفنى من لم يكن ، ويبقى من لم يزل " .

وهكذا الرؤية الصوفية ... لله ... إنها رؤية ترديدية لــ " **جزئية** " فقط ، عن قول " الله " تعالى عن صفاته أو كمالاته الإلهية :

﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) ﴾

(القرآن المجيد : الحديد {٥٧} : ٣)

حيث يتجلى معنى ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ ... ﴾ فى غياب الإنسان برمته ... فلا يبقى إلا " هو " . ويتضح هذا جليا فى فكر الحلاج عند تفسيره للآيات السابق شرحها :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أن تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) ... ﴾

(القرآن المجيد : الأعراف {٧} : ١٧٢)

---

٤٧ " مدارج السالكين " ج : ١ ؛ ص : ٨٠ . و " الحلاج ــ شهيد التصوف الإسلامى " ، طه عبد الباقى سرور . الطبعة الثانية . دار نهضة مصر ؛ ص : ٢١٣ .

obeikandl.com

فيقول ــ الحلاج ــ عن قوله تعالى : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ ﴾ بأنه هو المخاطب وهو المجيب .. (أى لا وجود للإنسان) . كما يقول فى تفسير قوله تعالى : { قَالُوا : بَلَى ؟ } بأنه هو القائل عنكم سواكم ، والمجيب عنكم غيركم فسقطتم أنتم ، وبقى من لا يزال ، كما لم يزل " .

ومن أمثلة مواجيد الحلاج ؛

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتنى أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

وهى أمثلة من الفطرة أو الإدراك المباشر لوجود الله فى الفكر الصوفى ؛ التى يمكن أن تصل إلى حد ترديد :

غبت بك عنى فظننت أنك أنى

فهكذا الفطرة أدناها إدراك وجود الله .. وأعلاها الفناء (بلا اتحاد) فى الله .. وأوسطها المشاهدة الوجدانية المباشرة لله .. ولكل مقام ..!! ويبقى فلاسفة الإنسانية ، أو أطفال الفكر البشرى ــ كما هم ــ فى أول الطريق ..!! ويبقى الإنسان لا يعى ما يدور حوله ..!! إلا المشاهدة القاصرة .. لعالم محدود .. فى أضيق معانيه ..!! ثم يتساءل عن : برهان للظاهر .. وعن برهان للأول .. وعن برهان للآخر ..!!!

و ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) ﴾
(القرآن المجيد : الحديد {٥٧} : ٣)

٦ ــ قصور الفكر البشرى

ينبغى أن يدرك الإنسان أن الفكر البشرى فى أرقى صوره وأعلى مراتبه محدود للغاية عن المعرفة الحقة لله ، سبحانه وتعالى . فكما رأينا فى الفقرة السابقة أن مارتن لوثر كان يرى أن قدرتنا العقلية يلفها العجز فى مواجهة المسائل التى تتعلق بالكمالات الإلهية ، حيث لا يمكن للإنسان الإستناد الى أى خبرات مهما كانت لإستنتاج هذه الكمالات .

وبديهى إن فكر الأنبياء قبل بعثتهم ، أى قبل اختيارهم للتبليغ عن الله ــ سبحانه وتعالى ــ ، يمثل أعلى مراتب الفكر البشرى فى الرغبة والشوق الحقيقى فى معرفة الله . فهم ذروة الإصطفاء الإلهى وقدوة البشرية للبشرية . ومع ذلك نجد أن فكر الأنبياء الخاص لم يقدهم إلى أى معرفة مباشرة عن الله ، ولهذا يلزم دائما المعاونة الإلهية المباشرة للإنسان للحصول على هذه المعرفة . ويصور لنا الله ــ سبحانه وتعالى ــ حال إبراهيم (عليه السلام) قبل بعثته ، ومدى اجتهاده فى البحث عنه ــ أى عن الله ــ ولكن بلا جدوى وبدون طائل ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَـــذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّآ رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَـــذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـــذَا رَبِّي هَـــذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٨٧) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩) ﴾

(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ٧٥ - ٧٩)

[جن : ستره بظلامه / أفل : غاب / فطر : أوجد وأنشأ / حنيفا : مائلا عن الباطل إلى الدين الحق]

فالآيات الكريمة تبين أن غاية إدراك إبراهيم ــ عليه السلام ــ هو أن الله موجود فحسب . ولكن من هو .. أهو كوكب ؟ .. أهو القمر ؟ .. أهو الشمس ؟ بديهى لا .. فكلها أفلت (أى غابت) ، ولا ينبغى لكمال الإله أن يغيب عن مخلوقاته ؛ بل هو فى حضور دائم معهم . إذن لا سبيل إلى معرفة " الله " من خلال الفكر الإنسانى فحسب . ويتأكد إبراهيم ــ عليه السلام ــ من هذا ، أى أنه لا سبيل لمعرفة الله إلا به ، أى بمعونته ، لهذا نجده يقول :

﴿ ... لَئِن لَّمْ يَهْدِنِ رَبِّى لأَكُونَنَّ مِنَ القَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾

فكما نرى أن قمة الإدراكات البشرية ، هى مجرد إدراك أن الله موجود وحسب ، وإنه واحد [٤٨] وحسب ، ومن كمالاته أنه لا ينبغى أن يغيب عن مخلوقاته ، بل يجب أن يكون حضورا دائما

---

[٤٨] فهذه هى الفطرة التى نولد عليها ، والتى يمكن أن تسمى (The Default) بلغة الكمبيوتر ، كما سبق أن بينا فى الفقرة السابقة .

ومستمرا معهم ، وهذا هو غاية إدراكات الإنسان الفطرية ، والمتمثله فى صفاء فطرة الإنبياء ونقائها . أما أن يدرك الإنسان أن الله هو ...

﴿ ... الَّذِى لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِى لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلاَمُ المُؤمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ (٢٤) ﴾

(القرآن المجيد : الحشر {٥٩} : ٢٢ - ٢٤)

أو أن يدرك الإنسان أن :

﴿ اللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥) ﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ٢٥٥)

[القيوم : تعنى المبالغة فى القيام (والاهتمام) بأمر خلقه / كرسيه : معنى رمزى يشير إلى جزئية صغيرة من ملك الله سبحانه وتعالى ، كما تعنى الخصوصية فى الملك والتفرد بالخلق / ولا يؤده : لا يشق عليه ولا يثقله]

أو أن يدرك الإنسان أن :

﴿ ... اللَّهِ العَزِيزِ العَلِيمِ (٢) غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذِى الطَّوْلِ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ المَصِيرُ (٣) ﴾

(القرآن المجيد : غافر {٤٠} : ٢- ٣)

[ذى الطول : ذى الفضل والنعمة المبسوطة على خلقه]

إلى آخره من هذه التعريفات الخاصة بالصفات الإلهية المباشرة . فهذا لا يمكن أن يتأتى من فكر بشرى تأملى ، أو من تجربة حسية مباشرة ، بل يأتى من تعريف الله لذاته مباشرة .

فالإنسان لم يؤهل فطريا بهذه المعرفة عن الصفات الإلهية . فغاية تأهيلنا الفطرى هو معرفة أن : الله موجود فحسب ، وأن الله واحد فحسب . ولم تقضى حكمة الله ــ ولو شاء فعل ــ أن يؤهلنا فطريا بإدراك الكمالات الإلهية الخاصة به ، أو إدراك الفعل الإلهى الكلى له ، فكلها أمور معرفية تكميلية يتم تلقيننا إياها فى أثناء حياتنا الأرضية ، كما سيأتى شرح ذلك فيما بعد .

فغاية علم الإنسان هو بعض الإدراكات الجزئية والمحدودة عن الله ، وعن الفعل الإلهى الكلى له . وعلى ذلك كان يلزم التدخل الإلهى المباشر ، من خلال وحيه لأنبيائه ولرسله ، لاستكمال التعريف به ، والإخبار عن هذه الكمالات (أى صفات الله أو أسمائه الحسنى) ، وعن فعله الإلهى الكلى .

ثم ننتقل إلى مسألة أخرى ؛ وهى إننا لا ندرك بالفطرة أن الله قد قرر بألا نتوجه بالعبادة لأحد سواه ، أو لأحد غيره ، لذلك لزم أن يبلغنا " هو " بهذا الأمر أو هذا القرار الإلهى . لذلك نجد قوله تعالى لنا :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا .. (٢٣) ﴾

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ٢٣)

فبديهى إن الفطرة وحدها لا تكفى لإدراك هذا الأمر أو هذا القرار الإلهى ، الذى يقضى بأن على الإنسان التوجه بالعبادة لله وحده ، فلا ينبغى للإنسان أن يتوجه بالعبادة لأحد غير الله ، كما جاء هذا أيضا في قوله تعالى ..

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون (٥٦) ﴾ [٤٩]

(القرآن المجيد : الذاريات {٥١} : ٥٦)

---

[٤٩] أرجو من القارىء الكريم التنبه إلى حركة الحرف الأخير من الكلمة الأخيرة ؛ فهي بالكسرة ﴿ لِيَعْبُدُونِ ﴾ في حالة الغايات من الخلق ، وبالسكون ﴿ لِيَعْبُدُونْ ﴾ في حالة الفطرة الدينية ؛ وكلاهما جائز عند وصل قراءة الآية الكريمة مع ما بعدها من آيات ؛ أو بالوقوف عند نهاية الآية الكريمة .

وبهذا تصبح " **وحدانية الدين** " ذات معنى . فلولا هذا القرار الإلهى لأصبح من حق الإنسان القول بتعدد الأديان ، فلا فرق إذن فيما يعبد الإنسان ، ولتتساو الأديان إذن ، بما فى ذلك عبادة الأصنام والأوثان ، طالما أن مبدأ العبادة ــ لغير الله ــ على نحو عام مقبول من الله .

ونلاحظ هنا ، أن هذا القرار الإلهى يعنى ــ ضمنيا ــ أيضا أن الإنسان مفطور على العبادة ، أو بمعنى آخر أن الإنسان يخرج من المصنع الإلهى (**By Default**) متوجها نحو العبادة ، أو على نحو قائم على العبادة (أنظر تذييل ٤٩ المناظر للآية الكريمة) . ولكنه ، مع ذلك ، خلق على نحو لا يدرك ماذا يعبد إلا من خلال عمليات إستقراء معينة ينتهى منها إلى شكل هذا المعبود . ومن هذا المبدأ لزم التدخل الإلهى المباشر لمعاونة الإنسان على نحو إيجابى فى التعرف عليه (أى على الله) ، وعلى ماذا يعبد . وكما نرى فإن الآية الكريمة السابقة تحوى كذلك الأمر الإلهى الخاص ببر الإنسان بوالديه [٥٠] . فبديهى إن مثل هذه القرارات ، الفطره وحدها غير كافية لإدراكها أو لتزويد الإنسان بمثل معارفها .

ثم نأتى كذلك إلى النواهى الإلهية ، لنرى الإحكام الإلهى المتناهى والمذهل معا فى الصياغة ، وفى المعانى الكلية الحاكمة للأخلاق العامة ، كما جاء فى قوله تعالى لرسوله الكريم :

﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ

---

[٥٠] وتستكمل الآية الكريمة السابقة بقوله تعالى :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) ﴾

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ٢٣ ــ ٢٤)

وهنا نرى أن الرحمة بالوالدين يجب أن تكون عند ذروة إحتمال الإنسان النفسى لهما ، وذلك عند حاجتهما إليه وإقامتهما عنده . فهنا يكون الإختبار الإلهى ، وهنا يكون الأمر الإلهى للإنسان بالرحمة بهما وهما على هذه الحالة ، وليس الرحمة بالوالدين فى ساعات الرخاء فقط أو فى زيارة عابرة لهما .

أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ [٥١] لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) ﴾

(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ١٥١ - ١٥٢)

[من إملاق : من فقر]

وبديهى أن هذه كلها معان لا يمكن إدراكها بشكل مفصل من خلال الفطرة وحدها . حتى وإن كان هناك إدراك جزئى (أو فطرة جزئية) بمعرفة هذه المعانى . ولكن الإدراك الكلى لهذه المعانى لا يتم إلا بالإخبار المباشر من الله ــ سبحانه وتعالى ــ للإنسان من خلال وحيه لمن يصطفى من البشر .

ويمتد هذا العجز البشرى حتى إلى عدم إدراك الغاية الكلية من الدين ، فعلى الرغم من أن فكر الأنبياء يمثل الحد الأعلى للفكر البشرى فى القضية الدينية والقضية الإيمانية ، إلا أننا نجد إن هذا الفكر ــ بمعزل عن الوحى ــ يقف عاجزا تماما عن إدراك الحكمة الإلهية المتعالية للدين ، ولحقيقة هذا الوجود وغاياته . ويتمثل هذا جليا فى دعاء إبراهيم (عليه السلام) حتى بعد بعثته ، لله ــ سبحانه وتعالى ــ عندما قال ..

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـــذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ .. .. (١٢٦) ﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ١٢٦)

وهنا يربط إبراهيم (عليه السلام) القضية الدينية الخاصة بالإيمان بالله وبالبعث ، بالأمن الفردى فى الحياة والرزق . فعلى حسب دعاء إبراهيم (عليه السلام) إن الله ينبغى أن يقصر الرزق على من آمن به (أى من آمن بالله) وباليوم الآخر فقط دون سواهم .

وبديهى تصبح " **القضية الدينية** " بهذا المفهوم " **قضية قهرية** " . إذ ينبغى للإنسان أن يكون مؤمنا بالله ، حتى لا يفقد الأمن فى حياته من جانب ، وحتى لا يفقد الرزق ــ الذى يرزقه به

---

[٥١] هنا نرى الإحكام المذهل فى الصياغة القرآنية ؛ فجواب القضية الجزئية : " ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده " ، نراه قد أدمج تحت حكم القضية الكلية التالية لها : " وأوفوا الكيل والميزان بالقسط " . وبهذا المعنى يكون الإستكمال الضمنى للقضية الأولى هو أن اليتيم سوف يحصل على ماله بدقة بالغة ، وبحق مطلق ، بعد بلوغه سن الرشد والتعقل .

الله ليحيا ـــ من جانب آخر . وبهذا المفهوم لا تصبح " القضية الإيمانية " قضية قهرية فحسب ، بل يصبح الدين كله عبارة عن " أكل عيش " و " أمن فردي " . وهنا تفقد الحرية معناها .. فليس للإنسان هنا ـــ أى ـــ خيار فيما يفعل أو فيما يعمل وفيما يؤمن ، وليس هذا فحسب ، بل يفقد اختبار الإنسان ـــ فى إدراك الحكمة من وجوده ـــ معناه هنا أيضا ..!!

وهنا يلزم التدخل الإلهي لتصحيح مسار الفكر البشرى ، وللتأكيد على أن القضية الإيمانية تدخل فى حيز الحرية الشخصية ، وهو الحيز المسموح به للإرادة الإنسانية لأن تعمل بدرجة كافية من الحرية . كما جاء فى قوله تعالى ـــ تنبيها لإبراهيم ـــ واستكمالا لسياق الآية الكريمة السابقة :

﴿ ... قَالَ (أى قال الله ﷻ) وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦)﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ١٢٦)

وحتى لا يخطىء الحساب ، أو الفكر فى الجمع بين نصفى الآية الكريمة نذكرها كاملة ، كما جاءت فى قوله تعالى :

﴿ وإِذْ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذا بَلَدًا ءامِنًا وارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءامَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ واليومِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) ﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ١٢٦)

وهذا هو الفكر الإلهى المحيط ، القاضى بأن تكون القضية الدينية قضية مستقلة عن الأمن الشخصى وعن الرزق (بشكل مباشر) . لتخرج بذلك من حيز القهرية أو الجبرية الى حيز الإختيار الشخصى ، أو الحرية الشخصية من جانب ، ولتصبح فى النهاية منوطة بالحساب الإلهى الأخروى من جانب آخر .

ويتأكد هذا المعنى مرة أخرى حول تساوى عطاء الله الدنيوى للكافرين والمؤمنين على حد سواء ، طالما تم الأخذ بالأسباب الدنيوية ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ كُلاًّ نُمِدُّ هَـــؤُلاء وَهَـــؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠) ﴾

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ٢٠)

وبهذا يقع الدين إجمالا ، فى حيز حرية الإنسان والاختيار الفردى .

وبديهى يمتد قصور الفكر البشرى إلى (كاتبي) الأديان الوضعية . ففى الديانة البوذية نجد ، على سبيل المثال ، أن مؤسسها " **جوتاما بوذا** " [٥٢] لم يستطع أن يضيف حرفا واحدا عن الإله أو الفكر الإلهى . فنراه يقف يغلفه العجز الكامل أمام المعرفة الإلهية . وبديهى أن هذا متوقع كذلك ، فكيف يتحدث عن الإله وهو لا يدرى من هو ؛ ففى إحدى خطبه وقف يسخر ممن يقولون بوجود الإله ، فيقول [٥٣] :

" إن المشايخ يتكلمون عن الله ، ولم يروه وجها لوجه ، فهم كالعاشق الذى يذوب كمدا وهو لا يعرف حبيبته ، أو كالذى يبنى السلم وهو لا يدرى أين يوجد القصر ، أو الذى يريد أن يعبر نهرا فينادى الضفه الأخرى لتأتى إليه "

ومن أجل إهمال بوذا للإله ، والإتجاه إلى نكرانه أحيانا ، إتجه براهمة عصرة (وهم رجال الديانة الهندوسية) إلى أن يصموه بالإلحاد . ثم ماذا حدث بعد وفاة بوذا ..؟! لقد ألهه أتباعه .. ولكن لماذا ..؟!

لأن الإيمان بوجود الإله (الله) هو إتجاه نفسى قوى ، فهو إتجاه فطرى فى الإنسان ــ كما سبق وأن بينا ــ وإهمال هذا الإتجاه يحدث إضطرابا فى الفكر البشرى ، ومن أجل هذا نجد أتباع بــوذا من بعده يفكرون فى الإله ويعملون إلى الوصول إليه والتعرف عليه ولكن بلا جدوى . ولما كان بوذا قد ترك هذا الحيز خاليا ، نجد أن الأهواء قد لعبت بهم فإتجه بعضهم الى الإعتقاد بأن بوذا ليس إنسانا محضا ، بل أن روح الله قد حلت به ، فيقولون بأنه شخصية ثنائية : لاهوتية (ذى طبيعة إلهية) وناسوتية (ذى طبيعة إنسانية) ، وهم فى ذلك مثل العقيدة

---

[٥٢] جوتاما (أو غوتاما) بوذا (Gautama Buddha) (٥٦٣ ؟ – ٤٨٣ ق. م.) ، فيلسوف هندى ، ومؤسس الديانة البوذية (أنظر ــ أيضا ــ تذييل رقم ٥٣ ، ورقم ٥٥ التاليين) .

[٥٣] " سلسلة مقارنة الأديان ــ أديان الهند الكبرى " الكتور أحمد شلبى ، مكتبة النهضة ؛ ص ١٦٨ .

المسيحية وفكرها عن السيد المسيح . وبهذا أقيمت التماثيل لبوذا .. وعبد بوذا .. لتصبح الديانة البوذية ديانة وثنية هى الأخرى .

وفى الحقيقة ؛ كنت ــ قبل دراستى للديانة البوذية ــ اعتبر **جوتاما بوذا هو** أحد الأنبياء الذين لم يرد ذكرهم صراحة فى القرآن المجيد (ثم شوهت شريعته من بعده مثل ما حدث مع موسى وعيسى عليهما السلام) ، وذلك كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاء أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (٧٨) ﴾

(القرآن المجيد : غافر {٤٠} : ٧٨)

فكما نرى أن القرآن الكريم لا يضم كل أسماء الأنبياء والرسل التى إصطفاها الله (ﷻ) وأرسل بها إلى البشرية على مر الأزمنة والحضارات ، ولكن اقتصر الأمر على الأحسن منها فقط ؛ لقوله تعالى :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنتَ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣) ﴾

(القرآن المجيد : يوسف {١٢} : ٣)

وبناء على هذا ، فإن سيرة الأنبياء التى لم تذكر ــ فى القرآن ــ لابد وأن تكون على درجة أقل فى العظات أو فى الاستفادة الإنسانية ، وذلك حتى تتحقق كلمة ﴿ .. أَحْسَنَ .. ﴾ الواردة بالآية الكريمة ، وبالتالى لم يتم ذكرها . وبديهى لا يمكن لرسول أو نبى أن يصطفيه الله ، وهو لا يدرى بمثل هذا الإصطفاء أو هذا الإختيار الإلهى له . وعلى ذلك فلا يمكن لنبى أو رسول أن يشكك فى وجود الله وهو المتحدث بإسمه على الأرض . ولما كان **بوذا** يتشكك ، بل ويشكك فى وجود الله ، كما وإنه لم يستطع أن يتكلم بكلمة واحدة عن الله ؛ فبديهى إنه (أى بوذا) لا يمكن أن يكون ــ بمقياس الوحى الإلهى ــ رسولا أو حتى نبيا ، طالما إنه لا يعرف إذا كان هناك إله أم لا . وبديهى لا يمكن أن يكون الله قد اصطفاه وهو لا يدرى شيئا عن هذا

الإختيار الإلهى له . وبالتالى فإنه ، يمكن الإنتهاء إلى أن الديانة البوذية [٥٤] هى " ديانة وضعية " بالمعنى العريض للكلمة . أو بمعنى آخر هى ديانة فكرها إنسانى بحت ، وليست وحيا إلهيا بأى صورة من الصور .

---

[٥٤] تدور الديانة البوذية كلها حول ما يسمى بالحقائق الأربعة المقدسه التالية :

الحقيقة (المقدسة) الأولى : الألم موجود (وهو ما يسمى بالدوخا : Dukkha) : فالولادة والمرض والموت والضيق والسخط ومتاعب الحياة من فراق أحبة أو لقاء أعداء تأتى بالألم .
الحقيقة (المقدسة) الثانية : لهذا الألم سبب (وهو ما يسمى بالساموداية : Samodaya) : ونشأة هذا الألم هى الشهوات والرغبات لأنها التى تنمى فينا الرغبة فى اللذه والتملك والشوق إلى عالم المستقبل .
الحقيقة (المقدسة) الثالثة : هذا السبب قابل للزوال (وهو ما يسمى بالنيرودا : Nirodha) : يبطل الألم متى بطلت الشهوه وانتفى الظمأ للأشياء ، أو بمعنى آخر كف الرغبة فى أى شىء .
الحقيقة (المقدسة) الرابعة : الوسيلة لزوال الألم موجودة .

وتقول البوذية بأنه يمكن إبطال الألم بسلوك الطريق المثمن (Magga) ، أى الطريق ذى الثمانى شعب ، وهى :

(١) الإعتقاد الصحيح (٢) العزم الصحيح (٣) القول الصحيح (٤) العمل الصحيح (٥) العيش الصحيح (٦) الجهد الصحيح (٧) الفكر الصحيح (٨) التأمل الصحيح .

كما يقول بوذا بأن هناك قيود عشرة تحول دون بلوغ الإنسان درجة النجاة والسلام وهى :

(١) الوهم الخادع فى وجود النفس (٢) الشك فى بوذا وتعاليمه (٣) الإعتقاد فى تأثير الطقوس والتقاليد الدينية (٤) الشهوة (٥) الكراهية (٦) الغرور (٧) الرغبة فى البقاء المادى (٨) الكبرياء (٩) الإعتداد بالبر الذاتى (١٠) الجهل .

هذه هى الديانة البوذية ... ولا ندرى أى قدسيه فى أن نقول أو نعرف أن :

الألم موجود ــ ولهذا الألم سبب ــ وهذا السبب قابل للزوال ــ كما أنه توجد وسيلة لزوال الألم ولهذا السبب فإن المؤرخين الهنود المحدثين من أمثال " د. د. كوزامبى : D. D. Kosambi " و " روميلا تابر : Romila Thaper " يعتبرون البوذية فى بدايتها " فلسفة إجتماعية " (أى ليست دينا) يجد أى حاكم صالح أنه من الضرورى أن يتوافق معها .

ويقول بوذا لأتباعه :

" لقد أحرزت علم هذه الحقائق الأربع المقدسة ، وأحرزت فهمها بإجلاء تام فصرت على يقين بأنى قد ظفرت بالبوذية الكبرى ، وقد عرفت أنه قد ضمنت لى النجاة بروحى ، ومولدى هذا آخر مولد ، وليس لى بعد هذا من مولد مستأنف " . وبديهى نرى من هذا الكلام ؛ أن بوذا كان يؤمن بتناسخ

وفى الواقع ، يجد المتأمل فى الديانة البوذية [٥٥] أنها ــ كلها ــ تدورفى فلك آية واحدة من آيات القرآن المجيد ، هى قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) ﴾

(القرآن المجيد : البلد {٩٠} : ٤)

والكبد هو المشقة والعناء . وهكذا تقرر الآية الكريمة ، أن " الله " (ﷻ) قد خلق الإنسان على حال من المشقة والمعاناة فى هذه الحياة الدنيا ، لحكمة ابتلاء أو اختبار الإنسان فيها ، كما جاء فى قوله تعالى فى موضع آخر :

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) ﴾

(القرآن المجيد : الملك {٦٧} : ٢)

وتاه **جوتاما بوذا** فى محاولة لإيجاد حل لهذه المشكلة ؛ واختلط عليه فكر الزهد والتقشف والمعاناة [٥٦] ، بفكر القوانين الأخلاقية . ولم يهتد بوذا إلى حل هذه المشكلة ..!! ويجىء حل هذه المشكلة فى القانون الإلهى المتعـــالى ــ **والذى يمكن التثبت منه بإتباعه** ــ كما جاء فى قـــوله تعالى :

الأرواح ، وهو ما تنادى به أديان الهند الأخرى مثل الهندوسية والجينية ، والتى كانت موجوده فى عصره .

وتناسخ الأرواح أو تكرار المولد ، هو قانون الجزاء الذى يُحَمِّل الإنسان تبعة أعماله ، ويجزيه عليها عن طريق تناسخ الأرواح . والخبرة البشرية العادية تفيد بأنه ليس هناك بين المولد والمولد الآخر أى إتصال ، ومع ذلك فإننا نجد أن أصحاب هذه الديانة ما زالوا يؤمنون بها ..!! ، وبناء على هذا الفكر ، فإن الأرواح ــ فى دورات الحيوات التالية ــ تعاقب على أعمال لا تعرفها أو تتذكرها ، وبالتالى لا يوجد السبيل لإكتساب الخبرات لتصحيح هذه الأخطاء . وبهذا قــد يتكرر مولد الإنسان إلى مالا نهاية ، والإنسان يقف كالأبله لا يدرى ماذا تفعل به الأقدار .

[٥٥] إلى جانب التذييل السابق ، أنظر كذلك بند (١٤) من هذا الفصل ، لتفاصيل أخرى عن الديانة البوذية وفكر الخلاص بها .

[٥٦] كان بوذا يفرض على من يدخل النظام (أى الديانة البوذية) التبتل ، ويحظر عليه أخذ الفضة والذهب ، وعليه ألا يأكل فى اليوم إلا وجبة واحدة فى الضحى . ويحمل فى يده طبق الإحسان أو " الكشكول " ينتقل به من بيت إلى آخر ليجمع قوت يومه من الصدقات . وعلى هذا فينبغى على البوذى

obeikandl.com

﴿ ... فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ اليَوْمَ تُنْسَى (١٢٦) ﴾

(القرآن المجيد : طه {٢٠} : ١٢٣ - ١٢٦)

[والضنك : هو الضيق من كل شيء ، وتأتى الكلمه هنا بمعنى التعاسة أى عكس السعادة . لاحظ كذلك التضاد بين إتباع الهدى والإعراض عن الذكر . فاتباع الهدى أعلى مراتب الإيمان ، والإعراض عن الذكر هو أدنى جوانب الضلال]

فالآية الكريمة تبين أن سعادة الإنسان منوطة بإتباع الإنسان لهدى الله . وإتباع الهدى معناه الأخذ بأوامر الله ــ سبحانه وتعالى ــ ونواهيه ، وعبادته وذكره . كما تحدد الآية الكريمة شقاء الإنسان يكون قدرا محتوما عند الأخذ بالمعصية والإعراض عن ذكر الله وكذا الإعراض عن عبادته .

وهذا هو الفكر البشرى ، إنه فكر ناقص لا يدرك عن الله شيئا أكثر من إدراكه الفطرى بوجوده ؛ أما أن يتكلم الإنسان عن ذات الله وصفاته وكمالاته ، فإن الله لم يؤهل الإنسان بهذه الفطرة ، ولو شاء فعل . لذلك فإن التعريف بالله وصفاته وأعماله ، لابد وأن يتم الإخبار عنها بمعرفته "هو" ــ سبحانه وتعالى ــ وبصياغته المباشرة " هو " ــ من خلال وحيه لأنبيائه ورسله ــ حتى لا يخطئ الإنسان فى التصور أو الفهم عند التبليغ . فلم يترك الله ــ سبحانه وتعالى ــ مثل هذه الأمور لأهواء الإنسان تلعب به كيف تشاء كما نرى الآن فى الصور المختلفة لتعدد الأديان .

الصادق أن يمتهن نفسه ويعيش عالة على المجتمع معتمدا على الإستجداء وجمع الصدقات . وقد عانى بوذا نفسه من شر هذا العناء ، أى عناء الإستجداء ، لأنه كثيرا ما أهانه الناس على هذا الإستجداء وردوه دون عطاء . ويعتقد بعض المفكرين أن ما تعانيه البلدان التى سادها الفكر البوذى ، إنما سببه هى فكرة الإستجداء فى هذه الديانة . وتمارس البوذية عبادة شعبية بغير قرابين أو طقوس ، وتضفى أهمية على التأمل وممارسات اليوجا ، وعلى الصوم والتقشف .

obeikandl.com

ولاستكمال الرؤية العاجزة للإنسان عند تناوله لقضايا لم يؤهله الله لمعرفتها فطريا ، نورد آخر حديث **لآنشتين** [٥٧] ، مع الكاتب الأمريكى المفكر " **جون فيرك** " [٥٨] حول آراء أنشتين فى معنى النسبية ، وفى معنى بعض القضايا الكبرى كـ " **الله** " و " **الإنسان** " و " **مصير الإنسان بعد الموت** " . والحديث طويل ولكن سنكتفى بسرد الجانب الدينى منه فقط هنا ، أما الجانب الفيزيائى فقد تم التعرض له بتفصيل أكبر فى كتابات أخرى . والحوار بين فيرك وآنشتين قد جرى على النحو التالى :

فيرك : ما هى الكهربائية ؟

آنشتين : قد تكون الكهربائية هى القوه الأساسية التى تهيمن على الكواكب بأسرها .

فيرك : هل تريد القول بأن الكهرباء هى الله ؟

آنشتين : إنى أتردد فى التلفظ بعبارة طائشة من هذا القبيل .

فيرك : هل تؤمن بالله ؟

آنشتين : إن سؤالك هذا يعد من أصعب الأسئله فى العالم ، فإنه ليس سؤالا يجاب عليه بنعم أو بـــ " لا " . أما أنا فلست ملحدا ولا أدرى ما إذا كان يصح القول بأننى من أنصار مذهب وحدة الوجود . فالمسألة أوسع نطاقا من عقولنا المحدودة .

فيرك : إن الرجل الذى يكتشف أن الزمان والمكان منحنيان ويحبس الطاقة فى معادلة واحدة (يقصد فيرك بهذا معادلة آنشتين نفسه ، والوارد ذكرها فى مقدمة الكتاب هنا) جدير به ألا يهوله الوقوف فى وجه غير المحدود .

آنشتين : إسمح لى أن أجيب بأن أضرب لك مثلا ، إن العقل البشرى مهما بلغ من عظيم التدريب وسمو التفكير عاجز عن الإحاطة بالكون ــ فنحن أشبه الأشياء بطفل دخل مكتبة كبيرة إرتفعت كتبها حتى السقف فغطت جدرانها وهى مكتوبة بلغات كثيرة ، فالطفل يعلم أنه لابد وأن

---

[٥٧] ألبرت هيرمان آنشتين **Albert Herman Eistein** (١٨٧٩ - ١٩٥٥) . أشهر علماء الفيزياء . منح جائزة نوبل فى الفيزياء سنة ١٩٢١ . وآنشتين هو صاحب النظرية النسبية الخاصة والنظرية النسبية العامة ، وهما من أشهر نظريات الفيزياء المعاصرة . وآنشتين هو صاحب محاولة غير موفقة فى وضع نظرية المجال الموحد ، التى بذلت لتوحيد المجالين الكهرومغناطيسى (أى المجال الكهربائى والمجال المغناطيسى) مع مجال الجذب العام . والمعروف حتى الآن أنه يوجد خمس مجالات فى الكون هم : الثلاثة مجالات السابقة ، ومجالين آخرين على مستوى نواة الذرة هما : مجال التفاعل النووى القوى : **The Strong Nuclear Interaction** ، ومجال التفاعل النووى الضعيف : **The weak Nuclear Interaction** . [أنظر مزيد من التفاصيل فى : " الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى " لنفس مؤلف هذا الكتاب]

[٥٨] " الألوهية وفكر العصر ــ أهناك إله " حامد عوض سمعان ، المركز الثقافى الجامعى ؛ ص : ٢٢٣-٢٢٥ .

يكون هناك شخص ما قد كتب تلك الكتب ، ولكنه لا يعرف من كتبها ، ولا كيف كانت كتابته لها ، وهو لا يفهم اللغات التى كتبت بها . ثم أن الطفل يلاحظ أن هناك طريقة معينة فى ترتيب الكتب ونظاما خفيا لا يدركه هو ، ولكنه يعلم بوجوده علما مبهما ، وهذا على ما أرى هو موقف العقل الإنسانى من " الله " مهما بلغ ذلك العقل من السمو والعظمة والتثقيف العالى .

فيرك : أليس فى وسع واحد من ذوى العقول العظيمة أن يحل لنا هذا اللغز ؟

آنشتين : نرى كونا بديع الترتيب خاضعا لنواميس[٥٩] معينه ، ونحن نفهم هذه النواميس فهما يشوبه الإبهام ، وإن عقولنا المحدودة لا تدرك القوة الخفية التى تهيمن على مجاميع النجوم .

(انتهى الحوار)

هذا هو رأى آنشتين أعظم فيزيائى بالمقياس البشرى المحدود والغافل معا ..!! والذى أوصى بمخه للبحوث العلمية بعد موته لدراسته . هذا العالم الذى كان جديرا بالدراسة حيا وميتا ، كما يقال عادة . ماذا قدم هذا العالم للبشرية عن القضية الإلهية .. لا شىء ..!! (أو صفر بتعبير رياضى) ، فهو لا يعلم عن وجود الله إلا وجودا مبهما ، أى أنه موجود فحسب ، شأنه فى ذلك شأن أى فرد آخر ، فإدراكنا بوجود الله هو من الأمور الفطرية ..!!

فالحقيقة الضمنية الوحيدة التى يمكن أن يؤدى إليها هذا الحديث هو أن " القضية الدينية " لابد وأن يكون المتحدث فيها هو " الله " سبحانه وتعالى . فالإدراكات المحدودة للإنسان تحول دون معرفة الغايات الإلهية ، كما تحول دون إدراك الصفات أو الكمالات الإلهية ، وكذا الفعل الإلهى الكلى (كما سنرى) ، لذا لزم الإخبار عنها مباشرة بمعرفة الله ــ سبحانه وتعالى ــ وبنفسه ؛ وإلا فلا سبيل لمعرفتها . ونستأنف الحوار مرة أخرى .. ويتناول فيرك الحديث مع آنشتين عن الإنسان وعن الخلود بعد الموت ..

يقول فيرك لآنشتين : ما هو الفرد ؟

آنشتين : الحياة نسيج عظيم والفرد خيط ضئيل فى نموذج هائل عجيب .

فيرك : هل تعتقد فى الخلود الشخصى ؟ أى بقاء الشخصية بعد الموت ؟

آنشتين : لا .. إنى أشبه الجنس البشرى بشجرة ذات أفرع وأغصان ، فليس لكل فرع وكل غصن روح أو نفس فردية [٦٠].

---

[٥٩] الناموس : هو القانون أو الشريعة أو القانون الفيزيائى العام .

[٦٠] وهذا يعكس إيمانه بوحدة الوجود ، والتشبيه الذى ذكره يعنى أن " الله " هو الشجرة والكون والإنسان هو باقى مفردات الشجرة ، كالأغصان والأوراق .

فيرك : هل تتوق الى الخلود الشخصى ؟

آنشتين : كلا فحسبى حياة واحدة .

فيرك : سألت مرة صديقى المرحوم البروفيسور هوغو فيستربرج من جامعة هارفارد " هل تؤمن ببقاء الشخصية بعد الموت ؟ " .. فأجاب : " إنى لا أستطيع تصوير الشخصية بأشياء يحدها الزمن " وقد فهمت من هذا الكلام إنه أراد التنصل من الإجابة .

آنشتين : لا أرى رأيك ، لأن هذا الجواب هو كل ما يمكن الرد به أو يقال للرد على سؤالك .

(انتهى الحوار)

وهذا هو رأى أنشتين عن الإنسان .. ماذا أضاف عن الوجود أو عن الإنسان ..!! لا شىء ..!! " **فالوجود لديه قطعة من القماش ، الإنسان خيط رفيع فيها** " . فهل هذا الرأى قد ألقى الضوء على الإنسان وحقيقته ، أى حقيقة وجودة ومصيره . أو حتى هذه المعانى تكفى لتعريف الإنسان على نحو ما أو آخر ..!! بديهى إن مثل هذا الرأى لم يقدم شيئا ، ولم يُعَرّف شيئا .. أى إنه لاشىء (أو صفر بتعبير رياضى) .

فهذا هو العجز البشرى عندما يتحدث الإنسان عن وجوده أو عن قضايا لم يؤهله الله بمعرفتها فطريا ... لذا لزم الإخبار عنها (عن هذه القضايا) بمعرفة الله مباشرة ، من خلال وحيه للإنسان ، ولمن يصطفى منهم من الرسل .

ولكن ما هى الخلفية الدينية لآنشتين (والمعروف إنه يهودى الديانة) ، فيستكمل فيرك حواره معه فيقول :

فيرك : يعترف سبينوزا ــ الذى تعجب به ــ بوجود قوة مدركة .

آنشتين : أنا مسحور بمذهب ألوهية القوه المدركه التى يقول بها **سبينوزا** [٦١]، ولكنى أرفض لبس " الجاكتة " الضيقة لفلسفة أى إنسان .

فيرك : ما هو أثر سبينوزا فى الفلسفة الدينية ؟

آنشتين : سبينوزا هو أعظم الفلاسفة لأنه أول فيلسوف بحث فى النفس والجسم بإعتبارهما كائنا واحدا لا كائنين منفصلين [٦٢].

---

[٦١] **باروخ إسبينوزا Baruch Spionoza (١٦٣٢ – ١٦٧٧) ؛ فيلسوف يهودى هولندى . كان من أكبر القائلين " بوحدة الوجود " (أنظر تذييل رقم ٤٥ السابق ؛ والفصل الرابع بند ٣. ٤. ١. لمزيد من التفاصيل) .**

فيرك : ألم يسبقه فى ذلك أحد فى الهند ؟

آنشتين : معظم الفلاسفة مدينون للهندوس [٦٣] ، وإن فلسفة إسبينوزا هى من بناء أفكاره ، لأن الهندوس يتجاهلون الجسم فى فلسفتهم ، لذلك فإنهم لم يستطيعوا أن يتصوروا وحدة جوهرية بين الروح والجسد .

(انتهى الحوار)

هذه هى الخلفية الدينية لآنشتين ، فإلى جانب ديانته اليهودية فهو ــ كما يبدو ــ ملم بالديانة الهندوسية . وعموما فهو لا يعترف بالأديان ، كما نرى من إجابته ، حيث لا يعترف بالبعث ، ولا بالخلود الشخصى . وبديهى أن الأديان التى يعرفها آنشتين لم تقدم له شيئا يذكر عن تصوره لله أو حتى تصوره عن نفسه أو تصوره للكون ، ولهذا لجأ إلى فلسفة إسبينوزا الوضعية لعلها تحقق له إشباعا دينيا ما . وأخيرا ، وقبل أن نترك هذا البند ، نقول لقد بقى لآنشتين إدراكه الفطرى بالله ، وإحساسه بوجوده ، وهذا هو غاية علم الإنسان ، فنجده يقول فى موضع آخر :

" إن أعظم جائشة من جائشات النفس وأجملها تلك التى تستشعرها النفس عند الوقوف فى روعة أمام هذا الخفاء والإظلام . إن الذى لا تجيش نفسه لهذا ولا تتحرك عاطفته مثل الميت . إنه خفاء لا نستطيع أن نشق حجبه ، وإظلام لا نستطيع أن نطلع فجره ، ومع هذا فنحن ندرك أن وراءه شيئا من الحكمة ، أحكم ما تكون . ونحس أن وراءه شيئا من الجمال ، أجمل ما يكون .

---

٦٢ أنظر الفكر القرآنى حول هذه القضية فى : " الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

٦٣ الهندوسية ؛ هى ديانة الغالبية العظمى فى الهند الآن ، وهى " دين بلا عقيدة محددة " لأنها أسلوب فى الحياة أكثر منها مجموعة من العقائد . ولهذا ليست لها صيغة محددة المعالم . وقد قامت " الهندوسية " على أنقاض الديانة الويدية ، وكتابها المقدس هو " الويدا " . وترجع نشأة الديانة الهندوسية إلى القرن الثلاثين قبل الميلاد (أى حوالى سنة ٢٩٠٠ ق . م .) . والهندوسية هى ديانة تكثر فيها تعدد الآلهة إلى درجة تدعوا للدهشة ، فهى تشمل من العقائد ما يهبط بها إلى عبادة الحجارة والأشجار ، وما يرتفع بها إلى التجريدات الفلسفية . وعلى الرغم من هذا التعدد إلا إنهم كانوا يميلون للتوحيد أحيانا . وفى حوالى القرن التاسع قبل الميلاد إنتهى فكر الكهنة إلى جمع الآلهة فى إله واحد ، وأطلقوا عليه ثلاثة أسماء هى : " براهما " من حيث هو موجد ، وهو " فشنو " من حيث هو حافظ ، وهو " سيفا " من حيث هو مهلك . وقد جاء فى كتاب " الباجافاتا بورانا " وهو من الكتب الهندية المقدسة أيضا ، أن كاهنا قد توجه إلى الآلهة براهما وفشنو وسيفا وسألهم : أيكم الإله بحق ؟ فأجابو جميعا : إعلم أيها الكاهن أنه لا يوجد أدنى فرق بيننا نحن الثلاثة ، فإن الإله الواحد يظهر بثلاثة أشكال ؛ بأعماله من خلق وحفظ وإعدام ، ولكنه فى الحقيقة واحد . فمن يعبد أحد الثلاثة فكأنه عبدها جميعا ، أو عبد الواحد الأعلى . وهكذا فتحت الهندوسية الباب أمام المسيحية فيما يسمى " تثليث فى وحدة ووحدة فى تثليث " .

فهو حكمة وهو جمال لا تستطيع أن تدركهما عقولنا القاصرة ، إلا فى صورة بدائية وآلية لهما ، وهذا الإدراك بالحكمة ، وهذا الإحساس بالجمال فى روعته هو جوهر التعبد عند الخلائق .. إن دينى هو إعجابى فى تواضع تلك الروح السامية التى لا حد لها ، تلك التى تترامى فى التفاصيل الصغيره القليلة التى تستطيع إدراكها عقولنا الضعيفة العاجزة ، وهو إيمانى العاطفى العميق بوجود قدرة عاقلة مهيمنه تترامى عندما ننظر فى هذا الكون المعجز للأفهام ، وإن هذا الإيمان يؤلف عندى معنى ... الله " .

٧ ــ " الوعي الفطري بوجود الله " و " ظاهرة تعدد الأديان "

فى أثناء إقامتى فى الولايات المتحدة الأمريكية ، كنت أحرص دائما على مشاهدة صلاة الآحاد الجماعية ، في مساء كل يوم أحد ، والتى يعتبر القداس الإلهى جوهرها . حيث كانت تذيعها ثلاث محطات تليفزيونية ــ على الأقل ــ فى الولاية التى كنت أقيم بها من الكنائس مباشرة . وفى الواقع كنت أفضل مشاهدة " **القس جيمى سواجارت** " [٦٤] (في تلك الفترة ١٩٨٥ م) حيث كان أفضل المتحدثين تأثيرا فى مستمعيه فى ذلك الوقت . وكما سبق وأن ذكرت أن الكتاب المقدس عبارة عن بقايا متناثرة من كتب مقدسة فى وسط خضم هائل من الوثنيات الفكرية (أنظر الفصل التالى) . وبديهى كان يتم إلتقاط هذه البقايا المقدسة ــ بعناية فائقة ــ من بين هذه الأنقاض لإقامة شعائر صلاة الآحاد بها .

وعندما كان **جيمى سواجارت** يبدأ الصلاة الجماعية ، كان يستحث المصلين دائما للإتجاه بمشاعرهم وقلوبهم إلى " الله " فى السماء . وإن عليهم إستحضار عظمة الله فى نفوسهم ،

---

[٦٤] كان القس " جيمى سواجارت " يؤكد دائما فى خطبه على بعض تعاليم الكتاب المقدس ، والتى تقول " بأنه لا جنس قبل الزواج ولا جنس خارج الزواج : No sex before marriage and no sex outside marriage " . بل كان يذهب الى أبعد من هذا ، حيث كان يهاجم رقص الشباب فى جميع صوره ، ويهاجم مدينة هوليوود (مدينة السينما الأمريكية) ويعتبرها بؤرة من بؤر فساد العالم . وقامت فى تلك الأثناء مناظرة موضوعها : " هل الكتاب المقدس كلمة الله " ، بين جيمى سواجارت وبين الداعيه الإسلامى أحمد ديدات . وقد تهكم القس جيمى سواجارت فى بداية المناظرة على مبدأ تعدد الزوجات فى الإسلام (وهو مبدأ مشروط ويحوى فى جوهره المنع ، ويباح للضرورة القصوى وبشروط خاصة) . وقال جيمى سواجارت عن الديانة المسيحية ، إنه يجب عليه – كواحد من أتباع هذه الديانة – أن يحصل على أفضل طائر له (يعنى اختيار زوجته) من أول طلقة . ثم كانت فضيحته الجنسية بعد ذلك ، بعد أن إبتزته العاهرة التى كان يعاشرها ، والتى كان يخصص لها رحلتين شهريتين للاتصال بها بطريقة شاذة إشباعا لرغباته ونزواته . وتوالت الفضائح الجنسية فيما بعد ، على قساوسة آخرين أمثال القس جيم بيكر ، والقس مارفن كورميج وغيرهم ، وجميعهم من المتحدثين بالتليفزيون .

ويطلب منهم أن يسألوه الرحمة المتكررة لهم وللآخرين [٦٥] ، حيث يحدد فيها المرء فى كل مرة أمرا يرجوه من مراحم الرب مثل :

يا رب إرحمنى من أفكارى الشريرة ...
يا رب إرحمنى من تشتت الفكر ...
يا رب إرحم فلان من ضيقته ...
يا رب إرحم أولادنا من مغريات الخطية ...
وهكذا ....

ثم يطلب جيمى سواجارت من جموع المصلين أن يقوموا بتسبيح الرب ، ويتكرر التسبيح ، وتزداد حدة انفعال المصلين .. وكان يردد من الكتاب المقدس ..

[. بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ. هَلِّلُويَا .]

(الكتاب المقدس : مزامير {١٠٤} : ٣٥)

[[١]هَلِّلُويَا [٦٦] . سَبِّحُوا يَا عَبِيدَ الرَّبِّ . سَبِّحُوا اسْمَ الرَّبِّ . [٢]لِيَكُنِ اسْمُ الرَّبِّ مُبَارَكًا مِنَ الآنَ وَإِلَى الأَبَدِ . [٣]مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا اسْمُ الرَّبِّ مُسَبَّحٌ .]

(الكتاب المقدس : مزامير { ١١٣ } : ١-٣)

[[١]هَلِّلُويَا . سَبِّحُوا اسْمَ الرَّبِّ . سَبِّحُوا يَا عَبِيدَ الرَّبِّ ،]

(الكتاب المقدس : مزامير {١٣٥} : ١)

---

[٦٥] تعرف هذه الصلاة " بصلاة كيرييليصون " . وكيرييليصون هى كلمة يونانيه مركبة من مقطعين : كيرى : وتعنى رب ، أليصون : وتعنى إرحم . فيكون معناها " يا رب إرحم " .

[٦٦] تنطق هذه الكلمة " هل - لي - لويا " وهى تعبير عبرى معناه : " سبحوا يهوه (أى الله) أيها الناس :
" Praise Jah (Jehovah) , you people "; ["Aid to Bible Understanding " , WatchTower Bible, page ٧٠٥]

obeikandl.com

وهكذا .. تتكرر .. هللويا .. هللويا .. من جيمى سواجارت ، ليزيد المصلين تسبيحا لله ، ويستحث المصلين على زيادة الإحساس بوجود الله معهم ، ليصل إنفعال المصلين بالحضرة الإلهية الى الذروة ، وهنا تجد الدمع يفيض من عيونهم بغزارة .. ويبكى الإنسان ليسطر :

" شهادة صدق على وجود الله ، وعلى فطريته فى داخل النفس البشرية "

وهكذا لقد تخطى الإنسان ــ بهذا التسبيح المباشر لله ــ كل المضامين الدينية ، واتجه بقلبه مخلصا إلى الله ، فوجده لديه .. وأدرك وجوده فى نفسه .. وبكى إنسان الفطرة لديه .. وبكيت معه ..!! وهذا هو الإنسان ..!!

ولنترك الكنيسة الآن .. ولنتجه سويا إلى المسجد .. لنسمع بكاء المصلين المستحضرين لعظمة الله ، ويزداد الإنسان إدراكا لوجود الله ، ليزداد بكاء الإنسان ليصبح نحيبا ، وليتردد أصداؤه بين جدران المسجد ، ليكون نسيج الوجود كله تسبيح .. فيسبح الإنسان .. وتسبح الجدران .. ويسبح الطير .. وتسبح الجبال .. ويسبح الرعد .. حمدا له .. والملائكة من خيفتة .. ويذكرها الله فى محكم تنزيله ، لتكون شهادة صدق على الإنسان وغروره :

﴿ .. وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩) ﴾

(القرآن المجيد : الأنبياء {٢١} : ٧٩)

وكنا فاعلين هذا بقدرتنا .

﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ .. (١٣) ﴾

(القرآن المجيد : الرعد {١٣} : ١٣)

ذلك هو الله ..

﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤٣) تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ [٦٧] وَلَكِنْ لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤) ﴾

---

[٦٧] **ويتناهى التسبيح ــ هنا ــ ليشمل كل شىء ، حتى يصبح صمت الإنسان وصخبه تسبيحا .. حركته وسكونه تسبيحا .. ويتناهى التسبيح ــ هنا ــ ليشمل الإنسان المقبل على الله والإنسان**

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ٤٣ – ٤٤)

حليما على ذلك الإنسان وجهله ، غفورا لغروره وظلمه لنفسه إذا ما تاب وأناب إليه .. وليتضاءل الوجود بأسره ، وليتضاءل الكون بإتساعه ، وليتضاءل الإنسان بعلمه ، أمام القدرة المتعالية " لله " ، ذلك هو :

﴿ ... اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الوَاحِدُ القَهَّارُ (١٦) ﴾

(القرآن المجيد : الرعد {١٣} : ١٦)

ونترك الكنيسة .. ونترك المسجد .. ونتجه إلى المرصد الفلكى .. ويروى لنا العالم الهندى **" عناية الله مشرقى** [٦٨] " قصته مع سير **جيمس جينز** [٦٩] فيقول :

كان سير جيمس جينز يلقى عليه محاضرة عن تكوين الأجرام السماوية ، ونظامها المدهش ، وأبعادها وفواصلها اللامتناهية ، وطرقها ، ومداراتها وجاذبيتها ، وطوفان أنوارها المذهلة ، حتى إننى شعرت بقلبي يهتز من هيبة الله وجلاله ، أما (السير جيمس) فوجدت أن شعر رأسه قائما والدموع تنهمر من عينيه ، ويداه ترتعدان من خشية الله . **وتوقف فجأه ثم بدأ يقول :** " يا **عناية الله** ..!! عندما ألقي نظرة على روائع خلق الله يبدأ وجودى يرتعش من الجلال الإلهي ، وعندما أركع أمام الله وأقول له : إنك عظيم .. أجد أن كل جزء من كياني يؤيدني فى هذا الدعاء ، وأشعر بسكون وسعادة عظيمين ، وأحس بسعادة تفوق سعادة الآخرين ألف مرة "

وهكذا أدرك الإنسان " وجود الله " من خلال علمه ، وسبح لله خشية منه .. وليذكرها الله فى محكم تنزيله ، لتكون شهادة صدق على الإنسان وغروره :

المعرض عن الله .. ويبقى الفضل ــ إن كان هناك فضل ــ لمن يتنبه أو يدرك أن هذا ــ كله ــ تسبيحًا ..

[٦٨] **" الإسلام يتحدى " ؛ وحيد الدين خان ، المختار الإسلامى . ص : ١٣٣ .**

[٦٩] **(سير) جيمس جينز Games Jeans (Sir) (١٨٧٧ – ١٩٤٦) ، فيزيائى ورياضى وعالم فلكى بريطانى ، قال بأن المادة تخلق على نحو موصول .**

﴿ ... وَمِنَ الجبالِ جُدَدٌ بيضٌ وَحُمْرٌ مُختلفٌ ألوانُها وغَرابيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ الناسُ والدوابٌ والأنعامِ مُختلِفٌ ألوانُهُ كذلُكَ إنَّما يَخشَى اللَّهَ منْ عبَاده العُلماءُ إنَّ اللَّهَ عَزيزٌ غفُورٌ [٧٠] (٢٨) ﴾

(القرآن المجيد : فاطر {٣٥} : ٢٧ - ٢٨)

[جُدد : جمع جدة وهو الطريق فى الجبل وغيره / غرابيب : جمع غربيب وهو شديد السواد]

وهكذا أدرك العلماء جزئية صغيرة من " فعل إلهى كلى ومحيط " وهو " العلم " ، وبذلك أدرك العلماء الله ووجوده فى أنفسهم .. وركعوا .. وبكوا .. بعد أن أدركوا الله لديهم .

وهكذا أدرك العامة وجود الله ، وأدرك الخاصه وجود الله ، وأدرك العلماء وجود الله .. وهكذا أدرك الإنسان وجود الله ..!! وفجأة ــ وبهذا الإدراك ــ ووسط هذا الحماس ..!! قام الإنسان وبإنفعال شديد ، وحماسة زائدة بهذه المعرفة ، وبدون أن يعى أو أن يدرك ما يقول .. وقال :

" حسنا ..!! لقد تأكد لدينا ــ نحن بنى البشر ــ وبما لا يدع مجالا لأى شك أن الله موجود ، ولما كان الدين هو مصدر الإله ، لذا لزم الأمر أن يكون الدين صحيحا طالما أن وجود الله صحيحا ومؤكدا "

وأصبح هذا الفكر مسلمة نهائية ملزمة للإنسان ولها صفة القانون ، ولم يناقش الإنسان ما جاء به الدين مستندا إلى تلك المسلمة . وأصبحت تلك المسلمة بمثابة **" خيط العنكبوت الذى**

---

[٧٠] تعنى هذه الآية الكريمة أن العلماء هم أكثر الناس خشية لله ، سبحانه وتعالى . واستكمالا للقصة المذكورة ، يقول الدكتور عناية الله مشرقى : لقد إستسمحت سير جيمس جينز فى قراءة هذه الآية ، فلما قرأتها عليه وسمع النص القرآنى : ﴿ .. إنَّما يَخشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ ... ﴾ صرخ قائلا : ماذا قلت ؟ ﴿ ... إنَّما يَخشَى اللَّهَ مِنْ عباده العُلمَاءُ ... ﴾ مدهش ، وغريب ، وعجيب جدا ، إنه الأمر الذى إكتشفته بعد دراسة ومشاهدة إستمرت نحو خمسين عاما ..!! هل هذه الآية موجوده حقا فى القرآن ..!! لو كان الأمر كذلك فأكتب شهادة منى بأن القرآن موحى به من عند الله .

وبديهى نحن لا نقول بهذا تأييدا للفكر القرآنى ، فالفكر القرآنى ليس محتاجا لتأييد . بل نقول بهذا لأن أحد العلماء قد أدرك جزئية قال بها القرآن المجيد فى إحكام شديد ، فى ستة كلمات فقط ؛ بينما ــ هذه الجزئية ــ قد استغرقت معرفتها من عالم فلك حياته بالكامل لإدراك معناها .

نسجه الإنسان حول نفسه " ، وسقط الإنسان فى الفخ ــ كما سنرى ــ بهذه المسلمة التى فرضها على نفسه ، ليهبط بها إلى غياهب التعدد والشرك .. بدون أن يعى ..!!

لقد أدرك الإنسان البرهان المادى (أى الأثر المادى) والوجدانى عليه ، نتيجة وجود الله وفطريته فى النفس البشرية ، وأصبح لزاما على الإنسان أن يقر بصحة الدين ، طالما أن الدين هو مصدر التعريف بالإله . ولم يناقش الإنسان الدين وما جاء به عن الإله . **ولم يدرك الإنسان أنه لا يوجد علاقة ما بين فطرية وجود الله فى النفس البشرية ، وبين ما يمكن أن يأتى به الدين من <u>وثنيات فكرية عن الله ..!! فـ " القضية الدينية " هى قضية مستقلة عن " قضية وجود الله "</u>** .

إن على الإنسان أن يدرك أن " قضية المضامين الدينية " هى قضية مختلفة تماما عن " قضية وجود الله " . فبينما الثانية (أى قضية وجود الله) هى قضية فطرية فى النفس البشرية فى المقام الأول ، إلى جانب كونها قضية رؤية مباشرة لهذا الوجود المتنوع ، مما يسهل الاستدلال عليها ذاتيا وخارجيا ، بل ويمكن إدراكها إدراكا مباشرا بقدر لا يخطئه الفكر البشرى .

إلا أننا نجد أن القضية الأولى (أى قضية المضامين الدينية) هى " قضية علمية " فى المقام الأول والأخير . إذ يجب أن تحوى البينات الذاتية واللازمة للبرهنة على صحتها ، وهو برهان لا يقل فى دقته وصرامته عن البرهان اللازم للدلالة على صدق أى نظرية علمية كبرى . هذا من جانب . ومن جانب آخر ؛ يجب ألا تحوى القضية الدينية أى مضامين متناقضة مع نفسها أو مع المنطق الفكرى المتفق عليه لدى الإنسان . حيث أن وجود مضامين متناقضة مع بعضها البعض ، سوف يكفى لتقويض القضية الدينية من جذورها , وتصبح القضية بهذا المعنى " **غير متسقة مع نفسها : Self - inconsistent** " ، وهو ما تعتبره الفيزياء العامة أو الرياضه السيف الذى يقضى على أى نظرية فيزيائية مهما كانت صحة النتائج الجزئية الناتجة عنها .

وكم من كتب كتبت لبيان أن الله موجود ، وجال فيها الكاتب وصال ، وأجهد نفسه فى البرهنه على وجود الله بشتى الطرق ، ثم فجأه قفز إلى النتيجة التى تقول بأن : " ديانته صحيحة " أو بمعنى آخر أن المضامين الدينية لديانته صحيحة طالما إنه قد برهن على وجود الله . ولم يدرك الكاتب **أنه ليس هناك علاقة ما ، بين البرهان على وجود الله ، وبين البرهان على صحة الدين وما ورد فيه من مضامين** . حيث أن كلا منهما قضية مستقلة عن الأخرى . صحيح أن

هناك علاقات متبادلة بين القضيتين ، ولكن لابد لنا من الوعى والحذر عند الربط بينهما . فلا بد وأن يعى الإنسان ــ وكما سنرى ــ أن :

" الله مصدر التعريف بالدين ، وليس الدين مصدر التعريف بالله "

فالقضية الأولى (الله مصدر الدين) تعنى وحدانية الدين ، بينما القضية الثانية (الدين مصدر الله) تعنى تعدد الأديان . وسنعود الى شرح هذا المعنى فى فقرة تالية . ويمكن صياغة القضية الأولى (الله مصدر الدين) بأن : " **البرهان على وجود الله (ﷻ) ، لا يأتي إلا من خلال الله (ﷻ) نفسه** "

ولابد لى أن أؤكد مرة أخرى ، أن " **الوعى الفطرى بوجود الله** " ، والذى يمكن أن نراه فى دموع الإنفعال " بالحضرة الإلهية " لدى الأفراد فى المساجد .. فى الكنائس .. فى المعابد .. فى أى دور للعبادة لأى دين ، وكما نجده كذلك لدى العلماء ، ولدى العامه ، ولدى الخاصة .. ولدى الإنسان فى أى مكان .. وفى أى زمان ..!! إن هذا الوعى ــ فى الواقع ــ يؤكد على "**وجود الله** " وفطريته فى النفس البشرية . بل ويجعل الإنسان يدرك بحاسة لا تخطىء بأن " الله موجود " حقا وصدقا . وكثيرا ما يتعدى الانفعال الذاتى بالحضرة الإلهية دموع الإنسان إلى بكائه ، أو حتى عويله بصوت مرتفع ، وفى بعض الأحوال ــ الخاصة جدا ــ يصل الإدراك الذاتى بالوجود الإلهى إلى حد فقدان المرء لوعيه أو حتى الإغماء . ولن نسترسل فى طرق الاقتراب من الله لدى الصوفية [٧١] . فجميع هذه الطرق لها محاذيرها الخاصة [٧٢] . كما وإن جميع هذه الخبرات متاحة للجميع ، ومتاحة لمن يشاء .

---

[٧١] هم فئات تنسب الى شيوخهم (مثل الطريقة الشاذليه ، والنقشبنديه ، والرفاعيه ، والعزميه ، والبيوميه ، ... وغيرهم) ، ومعظم هذه الطرق ــ إلى جانب العبادة المفروضة ــ تقوم على ذكر الله (بمعنى ذكر أسماء الله الحسنى بعددها الواقع عليها) فى أوقات محددة وليال محددة . وللأسماء الحسنى (أو الكمالات الإلهيه) لها تجليات شتى . وإن لكل إسم من أسمائه ــ سبحانه وتعالى ــ بابا يوصل إليه ، وروحانية يصعد بها المرء إليه ، تصديقا لقوله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ... (١٨٠) ﴾

(القرآن المجيد : الأعراف {٧} : ١٨٠)

ويرى الصوفية أن ذكر أسماء الله الحسنى بعددها الواقع عليه ، هى مفتاح الوصول إلى إدراك الحضرة الإلهية ، وتجاوز هذا العدد خطرا لمن لا شيخ له (أى لمن لا مرشد له) يهديه السبيل فى هذا الطريق . والصوفية يروا أن الحجب تتفتق من حولهم شيئاً فشيئاً بالذكر ، حتى يقع الشهود (بمعنى شهود الحضرة الإلهية) ، فإذا حصل الشهود استغنى عن الذكر بمشاهدة المذكور ، وهنا

فالواقع أن المشكله الحقيقية فى تعدد الأديان تكمن فى هذا " الوعى الفطرى لدى الإنسان بوجود الله " (إلى جانب وجود الغريزة الدينية - أي الرغبة الذاتية للتدين - لدى الإنسان) مع عدم إدراك أن هذا الإنفعال ذاتى وينبع من النفس البشرية ذاتها ، وليس للوثن الماثل أمامه الإنسان أى علاقة بهذا الإنفعال . وشأن هذا الإنفعال هو شأن أى غريزة فطرية أخرى لدى الإنسان . فالإنسان يجوع ويعطش سواء رأى الطعام والشراب أم لم يرهما ، وكما يسيل لعاب الإنسان إن أدركته رائحة الشواء ، كذلك تسيل دموع الإنسان إن أدركه الإحساس الصادق بوجود الله . وكما يشبع الإنسان الطعام الجيد ، يشبعه أيضا الطعام الفاسد ، ولكنه يقضى عليه فى النهاية . وكذلك الدين ، فكما يفى الدين الصحيح بحاجة الإنسان ، يفى الدين الفاسد أيضا بحاجة الإنسان (وذلك فى حدود عدم نضوج الفرد الفكرى ، أو التدين الساذج) ، ولكنه يقضى عليه فى النهاية .

إن " **دموع الإنفعال بالحضرة الإلهية** " هى شهادة صدق على " وجود الله " ، وهى دموع ناتجة من انفعال المرء الذاتى " بحضرة هذا الوجود " وليس للمؤثرات الخارجية أو المثول بين يدى وثن أو التواجد فى دور خاصة للعبادة أكثر من استثارة لهذه الغريزه الفطرية فحسب ، وتهيئة الظروف المناسبة لحدوثها . فالغريزة ذاتية فى الفرد (وليس لها عضو خاص) ، والفرد نفسه هو مصدر الإحساس بها ، كما هو مصدر الإحساس بالإلهام الإلهى الحادث فى نفسه ، وليس الوثن أو التواجد فى مكان خاص هو مصدرها .

إن هذا الإحساس ، أو هذه الفطرة هى ــ فى الواقع ــ " **حجر الزاوية فى مشكلة تعدد الأديان** " . وعادة ما يقوم رجال الدين أو **الكهنة صناع العقيدة** ــ بوعى منهم أو بدون وعى ، بعلم منهم أو بدون علم ــ بزرع الوثن فى هذا الجو الإنفعالى ، بعملية غسيل مخ منظمة (**وهو ما يعرف باسم : نظرية الإحلال** [٧٣]) ، ليصبح الوثن ــ بعد هذا ــ إلها ، ويعبد الوثن ، وتتعدد الآلهه ، وتتعدد الأديان .

يقف القلم عاجــزا عن وضع المعانى فى الكلمات ، وتصل النشوة مداها ، وليس كل ما يعرف يمكن أن يقال .

[٧٢] أو بمعنى آخر ؛ يجب ألا يترك المرء إنفعاله الذاتى بالحضرة الإلهية على عواهنه ، حتى لا ينزلق المرء كثيرا إلى منطقة الجذب الإلهى ..!! حيث يمكن ألا يكون هناك عــودة صحيحة ــ ربما ــ لفكر الإنسان أو صحته .

[٧٣] " نظرية الإحلال " : هي نظرية مقترحة من جانب الكاتب ؛ وفيها يحتل الوثن حيز الإله في النفس البشرية ، وبالتالي يعبد الوثن باعتباره الإله الحقيقي .

ويجدر بنا الإشارة هنا إلى أنه بعد غرس الوثن فى فكر أتباع العقيدة ، يقوم رجال الدين أو الكهنه بتغليف العقيدة بنوع خاص من الغموض ، والقدسية اللازمة والتى لا تسمح للأتباع بمناقشة قضايا الدين بأسلوب علمى أو منطقى . وفى هذا الصدد يقول **جروف (Grove)** :

[كانت سلطة محاكم التفتيش تحجر على الفكر الإنسانى ، وكانت تتجسس على المعرفة لتتكل بها ، وتولدت عن هذه السلطة رهبة نفسية لدى الأفراد حتى صارت بحكم التقادم عادة دينية ، فلم يعد من السهل على الرجل الأوربى أن يعالج مسألة فى الدين بطريقة علمية ، وذلك لما للدين من الحرمة والقداسة عند الناس . فلا يكاد الكاتب يحاول ذلك حتى يوصم بأنه ملحد أو هرطيق مهما كان الباعث له على هذا البحث ساميا ..] [٧٤]

ومازلنا نرى بعض آثار هذا الفكر حتى يومنا هذا لدى بعض العامة والخاصة .

وبديهى يتنوع اسلوب زرع الوثن فى النفس البشرية بتنوع الأديان . ويصبح هذا الاسلوب بمثابة " **عملية غسيل مخ جماعية** " يجريها كهنة العقيدة على الجموع الغفيرة من الأتباع .

فعلى سبيل المثال ، نجد فى الفكر المسيحى ، وقبل قيام الفرد " بصلاة طلب الرحمة [٧٥] " ، **فإن رجال الدين يطلبون من الفرد ترديد ــ فيما بينه وبين نفسه ــ ما ينبغى منه الإعتقاد فيه** ، وذلك حتى يترسخ فى نفسه هذا الإعتقاد ليصبح قانون إيمانى مطلق . وفى هذا الصدد نجدهم يقولون [٧٦] :

[أيها الأخ الحبيب عندما تصلى مع الكنيسة صلاة كيرييليصون ٤١ مرة ، حاول أن تتذكر الجلدات التسعة والثلاثين التى ألهبت ظهر حبيبك يسوع من أجلك ، وتتذكر إكليل الشوك الذى وضعوه على رأسه بإستهزاء وسخرية . وتتذكر كيف ضرب على رأسه بالقصب فانغرست الأشواك فى جبينه حتى أدمته ، ولا تنسى تلك **الطعنة النجلاء فى جنبه الإلهى** فسالت الدماء طهرا للأرض كلها .. هذه هى الآلام التى تريدنا الكنيسة أن نتذكرها عند تلاوة هذه الصلاة القصيرة فى مبناها العظيمة فى معناها] . (انتهى)

---

[٧٤] " يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء " د. رؤف شلبى ، مكتبة الأزهر . ص : ٣٤ .

[٧٥] تعرف هذه الصلاة " بصلاة كيرييليصون " ، كما سبق الإشارة إليها فى بداية هذه الفقرة .

[٧٦] " كيف تستفيد من القداس الإلهى " ، كنيسة الملاك ميخائيل بالظاهر ، ص : ١٧ .

فهكذا نرى إن على المصلى ، أثناء الصلاة وأثناء استحضاره للعظمة الإلهية فى نفسه ، أن يكرر تذكره (٤١ مرة) لما فعلته البشرية بإلهه :

- فعليه أن يتذكر كيف أمسك أجداده البشرية "**بالإله** " [٧٧] وجلدوه تسعة وثلاثون جلدة .
- وعليه أن يتذكر كيف أمسك أجداده البشرية "بالإلـــه " ووضعوا فوق رأسه إكليل من الشوك .
- وعليه أن يتذكر كيف أمسك أجداده البشرية "**بالإله** " وكيف ضربوه فوق رأسه (الكريم) بالقصبة .
- وعليه أن يتذكر كيف أمسك أجداده البشرية "**بالإله** " وكيف طعنوه فى جنبه الإلهى بالحربة.
- وعليه أن يتذكر كيف سالت الدماء من **الجنب الإلهى** لتكون طهرا على الأرض .

وهكذا ؛ تترسخ صورة " **الإله** " فى فكر العامة ــ كما رسمتها الكنيسة بعناية شديدة بعمليات غسيل المخ ــ بأنه ذلك " **الإله المتجسد** " [٧٨] ، والذى أمسكت به مخلوقاته وأنزلت به كل صنوف العذاب والذل والهوان ، من جلد وضرب وركل وبصق وطعن ، ولم يكتف المخلوق بكل هذا ..!! بل قام الإنسان " بقتل الإله دون أن يعترض الإله أو حتى يفتح فاه " [٧٩] .
وهذا التجاوز الفكرى على الله ــ سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ــ نجد جزاؤه فى قوله تعالى :

---

[٧٧] **كما سبق أن ذكرت ، لا يمكن أن أزج بلفظ الجلاله " الله " ، فى مثل هذه الوثنيات . بينما الاسم المستخدم في المرجع المسيحي هو : " الله " ... ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ . (أنظر الملحق الخامس للتفصيل) .**

[٧٨] **" الله " فى الصوره البشريه على الأرض (أى المسيح) هو " الإبن " ، والله فى السماء هو " الآب " ، والله عندما يعمل مع الرسل هو " الروح القدس " . فـ (الروح القدس) ، هو الإقنوم الثالث من اللاهوت القدوس وهو ليس صفة بل هو ذات حقيقية وشخص حى ، وهو نارى أيضا ، وله تعريفات كثيرة منها " النار الإلهيه " .**
[" كلمات هادئه عن الروح القدس " ؛ القس ابرام داود سليمان ، ص: ٥]

[٧٩] **" كيف تستفيد من القداس الإلهى " ، كنيسة الملاك ميخائيل بالظاهر ، ص : ١٧ .**

obeikandl.com

﴿ وَنَسُوقَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦) لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٨٧) وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥) ﴾

(القرآن المجيد : مريم {١٩} : ٨٦ - ٩٥)

[وردا : جمع وارد بمعنى يمشى عطشان / إدا : منكرا عظيما / الإنفطار : الإنشقاق / هدا : سقوطا وهدما]

وعلينا أن نتنبه إلى سياق المعنى القائل : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ ... فالمسيح (الإله فى الصورة البشرية من وجهة نظر العقيدة المسيحية) كان على الأرض ، لذا سيأتى " الله " عبدا ، وحتى إن صعد المسيح الى السماء (الآب) فهو سيأتى " الله " عبدا أيضا . فالله (ﷻ) منزه عن التحيز ، أى أن يكون له تحيزا ما .. فى الأرض ولا فى السماء . وما قصدت بهذا التنبيه إلا لأقطع الطريق على كثيرين من المرضى ــ كما يصفهم بهذا علماء النفس الأمريكيون ــ من هواة التفسير المشوه للآيات ، والتبرير الفاقد للعقل والمنطق ، وحتى لا تضل به الخاصة قبل العامة (أنظر الفصل الثالث) .

إن الله يصف نفسه بالأحدية ، وليس له كفؤا **(أى لا يوجد مكافىء له : Has no equivalence)** ، كما جاء فى " سورة الإخلاص " ، حيث يوحى الله (ﷻ) إلى رسوله الكريم للإخبار عنه بقوله تعالى :

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾

(القرآن المجيد : الإخلاص {١١٢} : ١ - ٤)

فالله هو :

﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢) ﴾

(القرآن المجيد : الشورى {٤٢} : ١١ – ١٢)

[فاطر : خالق / يذرؤكم فيه : يخلقكم فيما جعل لكم من أزواجكم و يعيشكم فيما جعل لكم من الأنعام / يبسط : يوسع / يقدر : يقتر]

إنه ..

﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (١١٧) ﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ١١٧)

إن على الإنسان أن يعي نفسه ، وأن يتدارك موقفه ، ويتنبه إلى حقيقة وجوده قبل أن يدركه الموت ، ويصبح وجها لوجه مع الحقيقة المطلقة ، ليكون هو الخاسر الوحيد في هذا الوجود .. لأنه لم يحقق الغايات من خلقه ، والذي يتمثل في " الإيمان المبني على العقل " . وليست الحقيقة صعبة المنال كما قد يتبادر الى الذهن ، بل هي دون الذكاء الفطرى للإنسان ، كما قضى بذلك العدل الإلهي . فالإنسان يختبر فيما يطيق ويقدر ، فهو يختبر فيما هو دون ذكائه الفطرى بكثير . وليس هذا فحسب ، بل قضت الحكمة الإلهية أيضا ، أن يعين الله الإنسان على فهم هذا الواقع ، بإرسال الرسل إليه ، وحتى لا يخطىء الإنسان في التوجه إلى الله ، كما جاء في قوله تعالى :

﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) ﴾

(القرآن المجيد : النساء {٤} : ١٦٥)

وكما يقول الله في محكم التنزيل :

﴿ مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً (١٥) ﴾

(القرآن المجيد الإسراء {١٧} : ١٥)

[ولا تزر وازرة وزر أخرى : أى لا تحمل نفسا آثام نفس أخرى]

يا أيها الناس :

﴿ قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (١٠٤) ﴾

(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ١٠٤)

٨ ــ " قضية دينية " أم " قضية علمية "

من الأخطاء البشرية الشائعة والواضحة معا ، أنه عندما تذكر كلمة " الدين " ينصرف الذهن الى كل ما هو " ميتافيزيقى " أو " فيما وراء الطبيعة " والذى لا تحكمة قوانين مألوفة ومحددة لا يمكن التثبت منها أو القطع بصحتها . وعلى هذا فقد اقترنت " **القضية الدينية** " بمفهوم " **القضية الغيبية** " حيث يمكن أن تلعب الأسطورة والخرافة دورا رئيسيا فى صياغتها ، كما يلعب الميراث الدينى الدور الحاسم والرئيسى فى توجيه العقل وإعادة صياغة المنطق الفكرى نحو تقبل مضامينها . لذا كان علينا قبل أن نذهب الى مناقشة وتحليل تعريف الدين أن نتساءل :

ما هو الدين ؟ وهل الدين " قضية غيبية " ؟ أم أن الدين " قضية علمية " تخضع لنفس القواعد العامة والقيود الصارمة التى تخضع لها " القضية العلمية " ، وبذلك يسهل اختبارها والقطع بصحتها ؟

ونسوق الإجابة على هذه التساؤلات ــ فى إيجاز شديد ــ من واقع الصياغة القرآنية [٨٠] ، عن الفكر الدينى والتى تؤكد هذه الصياغة ، على أن الدين هو " **علم مطلق على نحو كلى وشامل** " . وبادئ ذى بدء نجد قوله تعالى لرسوله الكريم يأتي كالآتى :

---

[٨٠] كما سبق وأن ذكرت ، وسأكرر ذلك على مدى الكتاب ، أن " الديانة الإسلامية ديانة صحيحية " هى " مجرد مسلمة أساسية " أى أن قبولنا لها هو " قبول مطلق " . بمعنى أن القبول النهائى لها سوف يتوقف على مدى ما تؤدى إليه ــ هذه المسلمة ــ من نتائج . فإن صدقت النتائج صدقت المسلمة ، وإن بطلت النتائج بطلت المسلمة ، وهذا هو عين ما يحدث فى مجال النظريات الفيزيائية الكبرى ، كما سبق وأن ذكرت فى المقدمة . وكما سنرى هنا أن هذه المسلمة تقود إلى النتيجة التى تقول بأن " القضية الدينية " هى " قضية علمية " ، وهو ما يحتمه فكر التكليف أو الإبتلاء الإلهى للإنسان ، والغايات من خلق الإنسان . فلا يمكن أن يكلف " الله " الإنسان بما لا يستطيع التأكد منه والقطع بصحتة ، أى القطع بصحة " القضية الدينية " والتثبت منها . فالتكليف بما لا نستطيع التأكد

﴿ .. وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِى جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَالَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلاَ نَصِيرٍ (١٢٠) ﴾
(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ١٢٠)

والخطاب هنا موجه إلى الرسول (ﷺ) ، حيث يقول له الحق تبارك وتعالى : ﴿ ... وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم ... ﴾ أى أهواء اليهود والنصارى ، بعد أن تشوهت عقائدهم (أنظر الفصل الثالث) ، يا محمد ﴿ ... بَعْدَ الَّذِى جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ... ﴾ ، ولم يقل له المولى ، عز وجل : " بعد الذى جاءك من الدين " ، بل قال له ﴿ ... بَعْدَ الَّذِى جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ... ﴾ وحيــا من الله ــ سبحانه وتعالى ــ فــ ﴿ ... مَالَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِىٍّ ... ﴾ يحفظك ﴿ ... وَلاَ نَصِيرٍ ﴾ يمنعك منه .

ثم نجد قوله تعالى ــ للرسول الكريم ــ فى موضع آخر :

﴿ .. وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ الَّذِى جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥) ﴾
(القرآن المجيد : البقرة (٢) : ١٤٥)

وبهذا نجد أن " **القضية الدينية** " قد أشير إليها فى القرآن المجيد بمفهوم " **القضية العلمية** " وذلك بالمعنى العريض للكلمة (كما سنرى حالا) . ولم يقتصر معنى هذا الأمر الإلهى على محمد (ﷺ) ، بل هى قضية عامة قد ساقها الله (ﷻ) لكل الأنبياء والرسل السابقين . فإن ما جاء به الأنبياء السابقين فى الفكر القرآنى هو " **علم** " أيضا وإن سمى " **دينا** " . فهذا إبراهيم (عليه السلام) يقول لإبيه :

﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) ﴾
(القرآن المجيد : مريم {١٩} : ٤٣)

منه والقطع بصحته ، هى حجة يمكن أن نقيمها على الله فى الآخرة ، سبحانه وتعالى عن هذا علوا كبيرا ..

﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩) ﴾
(القرآن المجيد : الأنعام (٦) : ١٤٩)

ولم يقل لأبيه " إنى قد جاءنى من الدين " ، بل قال له ﴿ .. إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ .. ﴾ .

وينبئنا الحق تبارك وتعالى ، بأن ما آتاه للإنبياء هو علم ، وإن كان أسمه دينا أيضا . فهذا **يوسف** (عليه السلام) يقول عنه الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢) ﴾

(القرآن المجيد : يوسف {١٢} : ٢٢)

ولوطا (عليه السلام) :

﴿ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ... (٧٤) ﴾

(القرآن المجيد : الأنبياء {٢١} : ٧٤)

وداود وسليمان (عليهما السلام) :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥) ﴾

(القرآن المجيد : النمل {٢٧} : ١٥)

وموسى (عليه السلام) :

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤) ﴾

(القرآن المجيد : القصص {٢٨} : ١٤)

وهكذا يتوالى " **العلم** " على الأنبياء والرسل .. وإن سمي " **دينا** " أيضا . وهكذا نرى أن الدين علما وليس " **قضية غيبية** " كما هو شائع فى الفكر البشرى . فالذى أنزل على محمد هو " **علم** " ، والذى أنزل على الأنبياء هو " **علم** " أيضا ، لأن الله واحد ولا متغير ، وإن سمى ذلك دينا أيضا .

ولكن **ما هى طبيعة هذا العلم ؟** وهل هو علم محدود أم علم كلى ؟ وللإجابه على هذه التساؤلات نعود للقرآن المجيد ليخبرنا أن المتكلم فى الدين هو " الله " بكمالاته المطلقه . لذا

فإن علمه هو علم مطلق ، أو بمعنى آخر هو علم ذى طبيعة شمولية وكلية لا عهد للإنسان بها . ولننظر الى قوله تعالى لتنبيه البشرية الى هذا المعنى ، وتنبيه من يتشدقون بالعلم :

﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (٩٨) ﴾

(القرآن المجيد : طه {٢٠} : ٩٨)

وإلى قوله تعالى :

﴿ ... وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢) ﴾

(القرآن المجيد : الطلاق {٦٥} : ١٢)

وهذه الإحاطة المطلقة لعلم ما نعلم ، كما تشمل أيضا المعنى المطلق لعلم مالم نعلم . كما يتضح هذا المعنى فى قوله تعالى :

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) ﴾

(القرآن المجيد : الحشر {٥٩} : ٢٢)

أى علم ما نعلم وعلم مالا نعلم . ذلك هو الله (ﷻ) المتحدث فى الدين .. قد أحاط بكل شىء علما .. ووسع كل شىء علما . إذن فالعلم هنا هو علم كلى وشمولى يتناسب مع جلال التعريف بالله (ﷻ) خالق كل شىء . بل ويصل العلم الإلهى إلى أغوار النفس البشرية ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧٨) ﴾

(القرآن المجيد : فاطر {٣٥} : ٣٨)

وفى قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) ﴾

(القرآن المجيد : ق {٥٠} : ١٦)

والوريد هنا يحمل معنى الشرايين والأورده القلبية للإنسان , فأى قرب بعد هذا ..!! ولا يستطيع البشر الإحاطه بهذا العلم الإلهى إلا بما يشاء به الله وبما يسمح ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿.. وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ .. (٢٥٥) ﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ٢٥٥)

ثم نأتى إلى السؤال التالى : وما هى طبيعة الكتاب المنزل (أى القرآن) من الله (ﷻ) على محمد (ﷺ) ؟ فيقول الله ــ سبحانه وتعالى ــ عن هذا الكتاب :

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَـاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَـاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢) ﴾

(القرآن المجيد : الأعراف {٧} : ٥٢)

وليس هذا فحسب ..

﴿ لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ... (١٦٦) ﴾

(القرآن المجيد : النساء {٤} : ١٦٦)

أى إنه كتاب علم أيضا ، أنزله الله **بعلمه هو** (سبحانه وتعالى) ، ثم فصلت آياته ــ أى بينت آياته وتطبيقاتها الكونية ــ بعلم إلهى أيضا . ولكن ما هى طبيعة صياغة هذا الكتاب ؟ فنجد الله ــ سبحانه وتعالى ــ قد عرف هذه الصياغة على النحو التالى :

﴿ آلر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَـاتُـهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) ﴾

(القرآن المجيد : هود {١١} : ١)

وكلمتى ﴿ .. أُحْكِمَتْ آيَـاتُـهُ .. ﴾ تعنى أن الصياغة الكلامية لهذا الكتاب لكل أية من آياته (أو بمعنى آخر لكل جملة من جمله) تحوى أقل عدد ممكن من الكلمات ، والتى تعطى ــ فى نفس الوقت ــ أكبر طيف ممكن (إن لم يكن طيفا لانهائيا) من المعانى الصحيحة ، والتى تصلح لوصف كل ما هو متعلق بالكليات والجزئيات العلمية والفيزيائية فى كل زمان وفى كل مكان ؛ مهما كانت طبيعة التقدم العلمى للعصر التى تشرح فيه ، أو تؤول فيه هذه الآيات .

فتفسير القرآن أو بمعنى أدق **تأويل القرآن** إنما يعكس ــ فى الواقع ــ الخلفية العلمية الخاصة بالفرد المتكلم بتفسيره أو تأويله ، كما يعكس أيضا الخلفية العلمية للعصر الذى يتم فيه هذا التفسير أو هذا التأويل ــ وسنأتى الى بيان ذلك فى تفصيلات كثيرة فيما بعد ــ وهذا ما يعرف بإسم " **البرهان الحركى أو البرهان المتحرك** " أو " **البرهان الديناميكى** : **The Dynamic proof** " لما يجىء به القرآن المجيد من براهين تنتهى عند ثقافة العصر . وسوف تتضح تلك المعانى عند المقارنة بين البراهين العقلية التى جاء بها الإنسان بفكر أعلامه للبرهان على وجود الله ، ونفس هذه البراهين عندما يجىء بها القرآن المجيد أو كما تأتى بها الصياغة الإلهية المباشرة فى القرآن المجيد .

والآن ... إذا ما إستثنينا إيمان العوام والبسطاء فلنا أن نتساءل أولا ونقول : هل يمكن الحكم العلمى والقطع النهائى بأن الكتاب الذى نزله الله على محمد (ﷺ) ــ من خلال الوحى ــ هو كتاب حقيقى ، وليس كتابا وضعيا (أى بمعنى إنه كتاب من وضع محمد ــ ﷺ ــ نفسه وليس موحى به من الله) ؟

والإجابه على هذا السؤال هو بالإيجاب : نعم يمكن الحكم على هذا الكتاب وتحديد ماهيته بدقة متناهية ، فالقضية ــ إذن ــ ليست " قضية غيبية " لا يمكن القطع بصحتها ، ولكنها " قضية علمية " من السهل الحكم عليها ، كما يمكن القطع بصحتها .

والسؤال التالى لذلك هو : ولكن من هو الشخص الذى يستطيع أداء مثل هذا الحكم القاطع ؟ ويجيب الله على هذا السؤال بقوله تعالى :

﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِى أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِى إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٦) ﴾

(القرآن المجيد : سبأ {٣٤} : ٦)

فى منتهى الوضوح والصراحة ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ .. ﴾ ؛ فهكذا تحدد هذه الآية الشرط الواجب توافره فيمن يستطيع الحكم على طبيعة ونوعية هذا الكتاب المُنزل من الله . وهذا الشرط هو أن من يستطيع الحكم على هذا الكتاب يجب أن يكون من ﴿ .. الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ .. ﴾ ، أى أن يكون من العلماء .

إذن " **فالقضية علمية** " ، بمعنى أن الدين علم والكتاب المنزل من الله ، سبحانه وتعالى ، هو " كتاب علم " أيضا ، وبالتالى فإن الحكم فى تلك القضايا يجب أن يكون للعلماء أيضا. وبذلك لا يستطيع الحكم فيها جاهل . فأين هم العلماء أصحاب الحكم والفكر من الجهله أدعياء العلم ..!! ثم تلى النتيجة الطبيعية لمعرفة أن هذا الكتاب منزل من عند الله ، سبحانه وتعالى ، هو التصديق به والإيمان به ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٤) ﴾

(القرآن المجيد : الحج {٢٢} : ٥٤)

[فتخبت له قلوبهم : أى تخضع قلوبهم للقرآن وتذعن بالتصديق به]

حيث تبين هذه الآية الكريمة ؛ أن الإمتداد الطبيعى للمعرفة بأن هذا الكتاب منزل من عند الله هو الإيمان به ﴿ ... فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ... ﴾ أى تخضع له قلوبهم وتذعن بالتصديق به (أى بالقرآن) . وتصل ذروة الأيمان والمعرفة العلمية بالإنسان الى الخشوع والبكاء عند سماع آيات القرآن ، كما فى قوله تعالى :

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥) وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً (١٠٦) قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلأذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩) ﴾

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ١٠٥ – ١٠٩)

[فرقناه : بيناه وفصلناه أو أنزلناه مفرقا / على مكث : على تؤده وتأن]

وبديهى لا يمكن أن يقول بمثل هذا القول إلا " الله " ــ سبحانه وتعالى ــ لسبب بسيط جدا ، هو أن هذه الآيات تحوى قضايا اختبارية مباشرة ، أى قضايا تخضع للملاحظة والتحقيق . وهذا عين ما يحدث فعلا لكثيرين من العلماء ، والعامة والخاصة . فــ " الله " ــ سبحانه وتعالى ــ هو الخالق الذى ركب الطبيعة الفطرية لدى الإنسان ، وهو الذى ركب " **رد الفعل التلقائى** " ،

فى الجانب النفسى للإنسان عند سماع النص القرآنى وإدراك معانيه [٨١] ، وهو الذى وضع كل هذه المعانى الكلية الواردة بالنصوص ، والتى سوف تؤدى الى تلقائية سجود الإنسان ، وبكائه عند إدراكه لهذه المعانى ، وإدراكه لمدى ضعفه ، وقلة حيلته وهوانه ، وهوان عقله وحـــدوده المتناهية أمام قدرة تتجلى عن ذاتها فى الكمال والإستعلاء والإحاطة العلمية اللامتناهية .

وهكذا لقد نزل الدين بالمفهوم العلمى وبالمعنى العريض للكلمة ، ومن ثم " فالقضية الدينية " هى " قضية علمية " و " القضية العلمية " هى " قضية دينية " لا فرق بينهما . فالعلم دين والدين علم ، والمتكلم فيهما هو :

﴿ ... اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الوَاحِدُ القَهَّارُ (١٦) ﴾

(القرآن المجيد : الرعد {١٣} : ١٦)

فكما سبق ذكره فإن ﴿ ... اللَّهَ قَدْ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ... ﴾ ، ﴿ ... وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ ، لذا لزم أن يكون العلم الموحى به من الله (ﷻ) هو علم كلى ومحيط . والكتاب (أى القرآن) الموحى به الى محمد (ﷺ) هو كتاب علم أيضا قد ﴿ ... أُحْكِمَتْ آيَـــاتُـــهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ ، والحكم والقطع بصحة هذا الكتاب منوط بعلم الفرد ، فإن كان الفرد من العلماء سهل عليه معرفة وإدراك صحة هذا الكتاب . أما إن كان الفرد ممن لا يملكون من العلم نصيبا صعب عليه إدراك ذلك ، ولا يحسب من العلماء .

ونلخص ما سبق فى الآتى :

- أن الدين علم .
- والمتكلم فى الدين هو " الله " ــ بكمالاته المطلقة ــ والذى أحاط بكل شىء علما .
- والكتاب الموحى به من الله هو " كتاب علم " أيضا ، قد أحكمت صياغته .
- ومن يستطيع استيعاب ذلك والحكم على صحة الكتاب والدين هم العلماء .

---

[٨١] البكاء عند قراءة القرآن أو سماعه وإدراك معانيه ليست ظاهرة فريدة أو ظاهرة خاصة لا نجدها إلا عند المؤمنين أو أهل العلم فقط من المسلمين ، بل هى ظاهرة عامة جدا ومنتشرة حتى بين العوام والبسطاء ، وربما لا تخلو صلاة ــ جماعية ــ من دموع أو بكاء وذلك عندما يمتزج إدراك المعانى بإدراك الحضرة الإلهية (أى الإحساس الصادق بوجود الله ، سبحانه وتعالى) .

obeikandl.com

فأين هى الأمور الغيبية إذن ..؟! وأين هم العلماء ..؟! وأين هم العامة والبسطاء ..؟!

﴿ ... وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١) ﴾

(القرآن المجيد : الحَجّ {٢٢} : ٣١)

وأرجو أن يتنبه الإنسان لمعنى قوله تعالى ﴿ ... أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ . ولقد سبق وأن تعرضنا من خلال الصفحات السابقه إلى بعض من التفسيرات العلمية الكلية والشمولية لبعض آيات القرآن المجيد . وفى كتابات أخرى قد تم التعرض إلى الإنسان وفيزيائه وكونه وما انتهى إليه من علم محدود ، بالمقارنة إلى النموذج القرآنى للكون والأكوان المتطابقة أو الموازية ، كما تم التعرض إلى فضل العلم والعلماء فى الديانة الإسلامية [٨٢] .

ونختم هذا الإيجاز الشديد بالقانون الرياضى المثير فى قوله تعالى :

﴿ ...نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) ﴾

(القرآن المجيد : يوسف {١٢} : ٧٦)

وفى قوله تعالى :

﴿ ... وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً (٨٥) ﴾

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ٨٥)

فالآية الأولى تعنى بالضرورة لانهائية مفردات العلم ، كما تعنى بإضطراد التقدم العلمى للإنسان ، أى أن العلم فى تقدم بصفة مستمرة ولن يقف هذا التقدم مع الأيام ، وبديهى إن هذا واقع ملموس . بينما الآية الثانية تعنى بمحدودية العلم ، أو بمعنى أدق بمحدودية علم الإنسان على الرغم من التقدم اللانهائى المطرد للعلم . وهذا المعنى لا يدركة إلا المشتغلين بالرياضيات أو الفيزياء . وكل رياضى أو فيزيائى يعمل فى الظواهر التقاربية [٨٣] " **Asymptotic**

---

٨٢ " الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

٨٣ نجد كثير من هذه الظواهر فى التحليلات العرضية أو المؤقته : The Transient Analyses ، فى نظرية الدوائر الكهربية .

phenomena " ، يعلم أن لانهائية القيم لا تعنى بالضرورة أن تكون القيمة الأخيرة (أو القيمة النهائية) هى قيمة لانهائية هى الإخرى ، بل يمكن أن تكون قيمة محدودة . وبالتالى فإن العلم الممنوح للإنسان هو علم قليل على المستوى العلم المحلى ، بمفهوم الوجود المادى فى كوننا هذا ، وليس بالمقارنة بمستوى العلم الإلهى . والعلم المحلى ليس هو العلم الإلهى على الرغم من لانهائية كل منهما . فمن الأمور المعتادة فى حساب اللانهائيات (فى مادة الرياضيات) ألا تتساوى قيم اللانهائيات ، حتى وإن كانت القيم لانهائية . فيمكن أن نجد قيمة لانهائية قد تكون صفرا إذا ما قورنت بقيمة لانهائية أخرى . ولهذا كان قوله تعالى ، لمحمد (ﷺ) عندما سأل عن الروح :

﴿ وَيَسْـأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ [٨٤] قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً (٨٥) ﴾

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ٨٥)

وأرجو أن يتنبه الإنسان إلى معنى قوله تعالى ﴿ .. وَمَا أُوتِيتُمْ .. ﴾ ليدرك الإنسان أن المصدر الحقيقى لعلمه هو " الله " ، فليس للإنسان علم ذاتى يكون هو مصدرة (حتى وإن إلتبس علينا الأمر) . فالله هو الذى :

﴿ .. عَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ..(٣١) ﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ٣١)

و " آدَمَ " هنا ، فى هذه الآية الكريمة يشير إلى البشرية جمعاء ، وفى صياغة أخرى نجد قوله تعالى :

﴿ خَلَقَ الإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) ﴾

(القرآن المجيد : الرحمن {٥٥} : ٣ - ٤)

وليس فى الأمر تكرارا لذات المعنى ؛ فالآية الأولى : ﴿ ... عَلَّمِ ءَادَمِ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ... ﴾ تعنى الحشد (Aggregates) أى حشد المعانى ، بينما الآية الثانية : ﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ تعنى

---

٨٤ تاويل كلمة " الروح " هنا ينطبق على أى حال ؛ سواء قصد بها " الروح " التى يحيا بها جسد الإنسان أو قصد بها " جبريل " عليه السلام رسول الوحى الإلهى .

المنطق (**the Logic**) أى المنطق العلمى ، أو بيان العلاقات المختلفة بين الأسماء ، أى العلاقة بين مفردات الحشد . **وحتى الملائكة** [٨٥] :

﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الحَكِيمُ (٣٢) ﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ٣٢)

فلا علم لهم إلا ما علمهم الله ، أو أعلمهم به الله . ولنسترجع معا الآيات الخمس الأولى ، أى أول ما نزل به الوحى الإلهى على محمد (ﷺ) وهى :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾

(القرآن المجيد : العلق {٩٦} : ١ – ٥)

ونذكر بعضا من حجم المعرفه العلمية الواردة بهذه الآيات المحكمة وهى :

- أمر إلهي مطلق للإنسان بالقراءة ، فالقراءة قد جعلها الله مصدر العلم .
- قانون إلهى محيط يفيد بأن العملية التعليمية لا تتم إلا باستخدام القلم . فمن منا يستطيع حل حتى أبسط المعادلات الرياضية بدون إستخدام القلم ، أو أن يقوم بالتعلم بدون استخدام القلم . فالقلم هو ذاكرة البشرية وحضارة الإنسان .
- أن الله قد خلق الإنسان من " **علق** " . ونجد هذه الكلمة " **كإسم** " و " **كفعل** " تلعب الدور الأساسى فى عملية حمل المرأة ، وعملية التكون الجنينى للطفل داخل رحمها .

فعلق تعنى الحيوانات المنوية للرجل فهى كالعلق أى الدود الرفيع (وهذه حقيقة علمية) . وعندما يتشبث الحيوان المنوى ببويضة الأنثى فقد "علق" بها (وهذه حقيقة علمية ثانية) . وعندما تتشبث بويضة الأنثى الملقحة بجدار رحم المرأة فقد " علقت " به (وهذه حقيقة علمية ثالثة) . وعندما تبدأ البويضة الملقحة فى الانقسام تأخذ شكل قطعة الدم الغليظ أو الدم الجامد وهذه " علقه " أيضا (وهذه حقيقة علمية رابعة) . وهكذا ؛ فالقرآن المجيد يستخدم الكلمات

---

[٨٥] هذه العوالم الغيبية سيأتى الكلام عنها عند عرض النموذج القرآنى للأكوان المتطابقة ، أنظر " الدين والعلم .. وقصور الفكر البشرى " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

obeikandl.com

الجامعة ، التي تنطبق على الجزئيات والكليات معا [٨٦] ، وهذا هو الفارق بين الفكر البشرى المحدود ، والفكر الإلهى اللامحدود . وسنعود إلى استكمال مراحل تطور الجنين داخل رحم المرأة ــ كما ورد ذكره فى القرآن المجيد ــ فى كتابات أخرى إن شاء الله .

لقد استغلق فهم هذا التفسير على المفسرين حتى عهد قريب ، فالتفسيرات القديمة لكلمة " علق " لم تكن يتجاوز معناها " جمع علقة وهى القطعه اليسيرة من الدم الغليظ [٨٧] " ، ومع التقدم العلمى وفى ضوء إكتشافات علم الأجنة الحديث استقر فهم كلمة (العلق) فهما علميا صحيحا على النحو الذي تم ذكره ، فكان هذا أحد الأدلة على صدق الوحى الإلهي الذى نزل على محمد (ﷺ) من أربعة عشرة قرنا من الزمان [٨٨] . كما يلقى هذا التفسير السابق أيضا الضوء على معنى الآية الكريمة :

﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) ﴾

(القرآن المجيد : هود {١١} : ١)

وهذا هو مفهوم " البرهان المتحرك " أو البرهان الديناميكى (The dynamic proof) الذى يأتى به القرآن المجيد . فمفهوم النص القرآنى يتحرك مع الخلفية العلمية للعصر الذى يتم فيه التفسير . أو بمعنى آخر ؛ فإن تفسير النص القرآنى يعكس كلا من ثقافة الشخص القائم بالتفسير كما يعكس أيضا الخلفية العلمية لثقافة عصر الشخص القائم بالتفسير .

---

[٨٦] وربما كان هذا سببا أيضا فى استخدام المولى ــ عز وجل ــ اللغة العربية فى صياغة القرآن المجيد على النحو الذى نزل به . فمفردات هذه اللغة تتميز بالفكر الجامع أو المعانى الكلية والشمولية التى لا تتوافر فى مفردات كلمات اللغات الأخرى ؛ لهذا كان قوله تعالى :

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعقِلُونَ (٣) ﴾

(القرآن المجيد : الزخرف {٤٣} : ٣)

[٨٧] أنظر تفسير الجلالين (كتب هذا التفسير سنة ٨٠٧ هجرية / ١٤٠٤ ميلادية)

[٨٨] مازلت أكرر ؛ بأنه ينبغى أن نذكر بأن المسلمة الأساسية التى تم إفتراضها وهى أن " الديانة الإسلامية ديانة صحيحة " ، هى مسلمة مرجأ الحكم عليها ، حتى يتضح صحة ما تؤدى إليه من نتائج . فإن صحت النتائج صحة المسلمة ، وإن بطلت النتائج بطلت المسلمة . وليس فى هذا أى تجاوز علمى كما سبق وأن أشرت فى مقدمة الكتاب . وكما نرى فإننا بصدد إحدى النتائج الصحيحة الآن .

obeikandl.com

فكما سبق وأن ذكرت ؛ إن كلمتى ﴿ .. أُحْكِمَتْ آيـَاتُـهُ .. ﴾ تعنى أن الصياغة الكلامية لكل أية من آيات القرآن المجيد ، أو بمعنى آخر أن كل جملة من جمله ، تحوى أقل عدد ممكن من الكلمات ، التى تعطى أكبر طيف ممكن ــ إن لم يكن لانهائى ــ من المعانى الصحيحة ، والتى تصلح لوصف كل ما هو متعلق بالكليات والجزئيات العلمية والفيزيائية فى كل زمان ومكان ؛ مهما كانت طبيعة التقدم العلمى للعصر التى تشرح أو تؤول فيه هذه الآيات . كما يلقى التفسير السابق الضوء على قوله تعالى عن القرآن ..

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨) ﴾

(القرآن المجيد : ص {٣٨} : ٨٧ – ٨٨)

أى أن إدراك معانى القرآن المجيد ، لن يأتى إلا مع تقدم الحضارة البشرية.. وحينئذ سوف تعلم البشرية معناه ، كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ .

إن الله هو خالق الإنسان ؛ وهو الذى ركب فيه العقل أو بلغة الحاسب الآلى (الكمبيوتر) هو الذى ركب فيه " **اللوح الأم : The mother Board** " أو " **الدوائر الجامدة : The Hardware** " ، وهو الذى ركب فيه الإدراك والقدرة على تناول الموضوعات والظواهر المختلفه وتحليلها ، أو بلغة الحاسب الآلى (الكمبيوتر) هو الذى ركب فيه كذلك " **البرامج اللينة The software** " ، التى تؤدى مثل هذا العمل . وعلى الرغم من قصور هذه التشبيهات والفوارق غير المتناهية بين الواقع الإنسانى والحاسب الآلى (أى الكمبيوتر) ، إلا أنها تفى بالغرض لبيان وجود الخالق المتعالى على الإنسان . وننهى هذه العجالة بقوله تعالى :

﴿ يَا أَيـُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ (٦) الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِى أَىِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) ﴾

(القرآن المجيد : الإنفطار {٨٢} : ٦ – ٧)

[ما غرك بربك الكريم : ما الذى خدعك وصرفك عن ربك الكريم خالقك]

هكذا ــ بالقطع ــ ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ ، فالله هو الذى خلق الإنسان ، وفى الصورة التى شاءها هو ، فأين الإنسان من هذا . وسنعود الى معنى هذه الآية الكريمة فى الملحق الثالث من هذا الكتاب لبيان المعنى العريض الذى جاءت به ــ مع آيات أخرى ــ عن تطور الإنسان كماضى وحاضر ومستقبل ومصير ، ليخر ساجدا وباكيا حتى ليتلاشى أمام هذا المحيط اللانهائى من المعرفة لهذا المعنى (معنى التطور) ، والتى لم يدرك منه الإنسان إلا الجزئية الضئيلة التى جاء بها : دارون [٨٩] لتصبح هذه الجزئية شاهد صدق على ضآلة الإنسان وقصور فكره حتى عن إدراك واقع يحياه . ولا نملك إلا قوله تعالى لمحمد (ﷺ) ليبلغ الناس بقوله تعالى :

﴿ قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (١٠٤)﴾

(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ١٠٤)

٩ ــ الدين : " قضية غيبية " أم " قضية يقينية [٩٠] " .. والغايات من الخلق .

بداية ؛ لابد للإنسان من أن يقف موقف صدق مع نفسه ، فحسم القضية الدينية من ناحية "صوابها " أو " خطأها " ، أو من ناحية " وجودها " أو " عدم وجودها " ؛ هى فى الواقع " قضية وجود الإنسان نفسه ومصيره هو " . وربما كان من المهم تتبع الأخطاء البشرية التى أدت الى تردى الإنسان فى هذا الخضم الهائل من الوثنيات الفكرية والتخبط فى الرأى تجاه الدين ، والذى أدى إلى التعارضات الفكرية الواضحة بين الناس ، بين منكر للدين وبين معترف

---

[٨٩] أنظر " الملحق الرابع " من هذا الكتاب ، لمزيد من التفاصيل .

[٩٠] " اليقين " هو العلم الذى لاشك معه . فيجب العلم بأن أى نظرية فيزيائية هى دوما نظرية مؤقته ، فهى ــ فى الواقع ــ فرضية لا يمكن إثباتها . وبصرف النظر عن عدد المرات التى تنطبق فيها نتائج الاختبارات على نظرية معينة ، فلا يمكن الجزم بأن النتيجة فى الاختبار المقبل لن تتعارض معها . وفى كل مرة تنطبق فيها النتائج على التوقعات ، تكتسب النظرية الفيزيائية حياة جديدة وتتوطد ثقتنا فيها . ولكن إذا حدث أن تناقضت مشاهدة جديدة مع النظرية ، يصبح علينا أن نتخلى عنها أو أن نقوم بتعديلها . وبناءا على هذا فإن تناهى الصدق العلمى ، أى تناهى " القضية العلمية " هو " القضية اليقينية " أو هو " اليقين " .

به ؛ وبين معرض عن الدين وبين مقبلا عليه ؛ بين كافر بالدين وبين مؤمنا به . لذا لزم الأمر أن نلقى الضوء على أهم الأخطاء البشرية والتى أدت الى هذا الوضع الشاذ تجاه الدين .

وربما كان أهم هذه الأخطاء الشائعة هو عدم إدراك أن " القضية الدينية " ليست " قضية غيبية " ، كما يتصور الغالبية العظمى ، بل هى " قضية يقينية " بالمعنى العريض للكلمة وبالمفهوم العام " للقضية العلمية التى لا يشوبها أدنى شك " أو " القضية الفيزيائية المؤكدة ". وبديهى يكون الإعتراض الأول على هذا الفكر هو القول بأنه : كيف تكون " القضية الدينية " " قضية يقينية " وليست " قضية غيبية " ونحن لا نرى الله جهرة ؟ وقبل أن نجيب على هذا السؤال ، دعنا نتأمل قوله تعالى :

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٢١٠) ﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ٢١٠)

والآية الكريمة تشير هنا ضمنيا ــ ولكن بدلالة واضحة المعالم وعميقة ــ إلى قضية وجود الإنسان ومصيره وكذا الغاية من خلقه . ولكن قبل بيان ذلك دعنا نوضح ما نعنيه بالمثال التالى :

هب أن هناك مجموعة من الطلبة قد قيدوا أسماءهم فى فصل دراسى ما ، وذلك لدراسة مادة ما (لا يهم أدبية أو علمية) . وانتظم الطلبة فى الدراسة ، حيث أتموا دراستهم لها . وبديهى كلنا يعلم أنه لتقييم أداء الطلبة واستيعابهم لهذه المادة ، فإنه يلزم عقد إمتحان عقب الإنتهاء من هذه الدراسة . حيث يتم إعلان النتيجة بعد ذلك لبيان الناجح بتفوق والناجح العادى والراسب ، ويتم ذلك عادة بإعلان درجات الطلبة المختلفة .

ثم هب أنه أثناء تأدية الطلبه للإمتحان النهائى لهذه المادة ، قد جاء أستاذ المادة وقام بتعليق الإجابات النموذجية لهذا الإمتحان داخل الفصل ..!! فماذا سيكون رد فعل الطلبة ؟ بديهى لقد فقد الفصل الدراسى معناة ..!! وبديهى سيكون التساؤل .. ولماذا عقد الإمتحان إذن ؟ .. ولماذا عقد الفصل الدراسى من أساسه ؟ وبديهى لن يكون هناك معنى لإعلان النتيجة ..!! فقد تساوى فى ذلك من استوعب المادة وفهمها مع من لم يستوعب المادة ومن لم يفهمها ..!! كما تساوى فى هذا من عانى الليالى فى التحصيل مع من لم يلتفت إلى المادة وأنفق وقته فى اللهو

والعبث . ثم قل ما شئت عن هذا الأستاذ وسلوكه الشاذ ، فمثل هذا السلوك غير مألوف وغير متبع فى مثل هذه الحالات أو الحالات المشابهه .

وهكذا الحياة .. إنها فصل دراسى واحد .. قد قيد الإنسان نفسة فيها ، فى " مادة واحدة " داخل هذا الفصل . " مادة واحدة " فقط وقد قبل الإنسان التكليف بها بإختيارة ، حيث يخبرنا الحق تبارك وتعالى بهذا فى محكم تنزيله بقوله :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢) ﴾

(القرآن المجيد : الأحزاب {٣٣} : ٧٢)

[عرضنا الأمانة : التكاليف من أوامر ونواه / فابين : امتنعن / أشفقن منها : خفن من الخيانة فيها]

لقد **عرض** الله ــ سبحانه وتعالى ــ التكليف بالإختيار فى الفعل على ﴿ ... السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا [٩١] ... ﴾ ، فرفضوا ــ جميعا ــ هذا الإختيار وأدركوا أنهم دون هذه المسئولية ، لهذا ﴿ ... أَشْفَقْنَ مِنْهَا ... ﴾ أى إمتنعن عن حملها ، ولكن الإنسان قد قبل هذا **العرض** ، أى قبل حمل هذه الأمانة أو المسئولية بإختياره ﴿ .. وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ ..﴾ ، ولكنه لم يعطها العناية الكافية ، رغم قبوله لها ، لهذا فـ ﴿ ... إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ .

وهكذا يسجل الإنسان نفسه فى هذه المادة ، والتى تعنى حرية الإختيار فى الفعل ، وحرية الإهتداء إلى الله ومعرفة كمالاته الإلهية ، ومعرفة فعله الإلهى الكلى بما فى ذلك خلق الإنسان نفسه . وهى مادة دون مستوى ذكائه الفطرى بكثير ، وهو الذكاء الذى أودعه الله ، وركبه فيه لهذه الغايات .. ولكنه لم يعطها العناية الكافية ..!!

---

[٩١] بهذا المعنى ﴿ ... فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا ... ﴾ يصبح <u>القانون الطبيعى</u> ليس له إرادة ما أو مشيئةِ ما ، فى الكف أو التوقف عن الفعل عندما يشاء . وليس هذا غيبا .. ولكنه اعتياد رؤية لواقع نحياه .

والآن ، وبعد هذا الإيضاح ، دعنا نراجع معنى الآية الكريمة الأولى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ ... فماذا ينتظر الناس بعد قبولهم لهذا التكليف :

﴿ ... أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ... ﴾

في ماذا إذن يختبر الناس ، إذا ما جاء لهم الله جهرة ؟ إن معنى ذلك أن يفقد الوجود غايته .. وتنتهي القصه ..!!

﴿ ... وَقُضِيَ الْأَمْرُ ... ﴾

ولكن ما قدرها الله ــ سبحانه وتعالى ــ هكذا ..

﴿ ... وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾

فهذه هي دلالة الآية الكريمة ، ولا مبالغة في الدلالة ، ولا مبالغة في الشرح ؛ ولهذا قد عرّف (بتشديد الراء) الله قرآنه المجيد بأنه :

﴿ ... كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) ﴾

(القرآن المجيد : هود {١١} : ١)

ويكفي أن يعي الإنسان الترتيب الإلهي المحكم لكلمتي ﴿ ... حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ في الآية المذكورة ، ليدرك أن للوجود غاية ، الله ــ سبحانه وتعالى ــ هو مصدرها . ولم يقل القرآن المجيد بـــ " **خبير حكيم** " . لأن المعنى الأول (حكيم خبير) يعني وحدانية المصدر والتفرد ، بينما قد يعني المعنى الثاني (أي خبير حكيم) الشرك أو شائبة الشرك في طياته ، لأنها قد تعني أن ــ الله ــ خبير بما يفعله آخرون غيره أو مثله .

<u>إن الإيمان المبني على العقل هو أحد غايات الوجود</u> ، <u>وأحد الغايات من خلق الإنسان</u> ، ولهذا كان الإيمان المبني على رؤية منتهى المعجزات (وهي الخرق لقوانين الطبيعة) هو

إيمان مرفوض لأنه إيمان أقرب إلى القهر منه إلى العقل ، وبهذا لا تتحقق الغاية من خلق العقل البشرى على هذا المستوى ، ولهذا نجد قوله تعالى فى موضع آخر :

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٥٨) ﴾

(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ١٥٨)

وبهذه الآية ، يفيدنا المولى عز وجل بأنه لا قيمة للإيمان بعد رؤية المعجزات المتناهية الدامغة ، أى منتهى المعجزات ، لاحظ هنا تعدد وتتالى ظهور هذه الآيات فى قوله تعالى : ﴿ ... يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ ... ﴾ . فالغايات من الخلق تقضى بالإيمان المسبق المبنى على العقل ، وليس الإيمان المبنى على المشاهده المباشرة للمعجزات ، حيث لا ينبغي أن تكون هناك قهرية فى الإيمان .

ويتضح هذا المعنى جيدا عندما دعى السيد المسيح (عيسى ابن مريم) ــ عليه السلام ــ من الله سبحانه وتعالى أن ينزل عليه هو وحوارييه مائدة من السماء ، لتكون لهم عيدا وتكون لهم آية دالة على وجوده ، سبحانه وتعالى وهو الظاهر فوق كل ظهور .. كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) ﴾

(القرآن المجيد : المائدة {٥} : ١١٢ - ١١٤)

فيستجيب الله ــ سبحانه وتعالى ــ لدعاء عيسى (عليه السلام) ولكنها إستجابة مشروطة ، بأن من لا يؤمن به بعد هذه المشاهدة المباشرة للمعجزة (أو الآية) فإنه سوف يعذبه ــ أى سوف

يعذبه الله ــ عذابا لم يعذبه لأحد من العالمين (أى من كل العوالم) ، كما جاء فى قوله تعالى ، إستكمالا لسياق الآيات السابقة :

﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (١١٥) ﴾

(القرآن المجيد : المائدة {٥} : ١١٥)

فالكفر بعد مشاهدة المعجزات هو أشد أنواع الكفر إيغالا فى الضلالة ، ولهذا يستوجب العقاب المشدد . وليست الرغبة فى رؤية الله جهرة ، هى رغبة غريبه على الإنسان وفكره . بل هى رغبة عامة ومتأصلة لديه ، فحتى الأنبياء كانت لديهم مثل هذه الرغبة . وقد سأل موسى (عليه السلام) الله أن ينظر إليه ، ولكنه لم يدرك تبعات هذه الرغبة حتى أفاق منها ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) ﴾

(القرآن المجيد : الأعراف {٧} : ١٤٣)

[تجلى : ظهر / دكا : جعله مستويا بالأرض / صعقا : مغشيا عليه]

وهكذا نرى أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ لم يتجل لموسى ، بل تجلى فقط للجبل فجعله دكا ، وخر موسى صعقا ، فهذا هو الإنسان ومنتهى قدراته الفيزيائية التى قد خلقه الله عليها ، وهذه هى محدوديتة المتناهية . كما وإن كلام الله ــ سبحانه وتعالى ــ مع البشرية محكوم بقوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ من وَرَاء حجَاب أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (٥١) ﴾

(القرآن المجيد : الشورى {٤٢} : ٥١)

وحكم الرسل فى طلب رؤية الله ــ سبحانه وتعالى ــ هو حكم الإنسان العادى ، فقد سأل بنى إسرائيل موسى (عليه السلام) أيضا نفس هذا السؤال ، كما يبين لنا الله هذا فى محكم تنزيله بقوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قُلْتُــمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْــكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَــاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٦) ﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ٥٥ - ٥٦)

وهكذا فإن الآيات الكريمة السابقة تفيد بأن التركيب المادى ــ أو الفيزيائى ــ للإنسان لا يتحمل الرؤية المباشرة لله ، سبحانه وتعالى . فالإنسان قد تصعقه ظاهره جوية محدودة القدرة يمكن قياسها وتوصيفها بدقه كافية ؛ فكيف له برؤية الله جهرة ..!! خالق هذا الوجود المطلق ، وليس الصاعقة فحسب ..!! ولا يعنينا الآن التفاصيل الفيزيائية حول هذا المعنى ، ولكن كل ما يعنينا الآن هو الجانب الفكرى من قضية رؤية الله .

وهكذا فالإنسان على مستوى " تركيبه المادى الحالى " لا يمكن أن يرى الله ، كما وإنه على مستوى " الغاية من خلقه " لا ينبغى له أن يرى الله .

ثم نعود مرة أخرى ونتساءل .. طالما أن الحكمة الإلهية قد قضت بعدم إمكانية رؤية الله مباشرة ، فهل معنى ذلك أن تصبح " القضية الدينية " " قضية غيبية " ؟

فى الواقع ؛ لا ... فالتثبت من " وجود الله " له عدد لانهائى من البراهين الدقيقة والطرق الدالة عليه ، ومن هذه البراهين " الفطرة " . فكما سبق وأن بينت ، أن " برهان الفطرة " هو برهان يصل فيه حجم الإدراك والوعى " بوجود الله " إلى درجة ترقى الى مرتبة الحواس المباشرة أو اليقين الكامل . ومع ذلك إذا ما إستثنينا " الفطرة " ، فيمكن إدراك " وجود الله " عن طريق " فعله الكلى " والذى يشمل خلق الوجود على نحو شامل ، بما فى ذلك الإنسان ذاته . وسوف نعرض الى أهم هذه البراهين ــ بالصياغه الإنسانية والصياغة الألهية ــ فى الصفحات المقبلة ، ولكن لا بد لنا من إلقاء بعض الضوء على قصور حواس الإنسان ، ونتائج كفاحه للتغلب على هذا القصور (**Limitations**) .

بديهى كلنا يعلم أننا لا نرى الجسيمات الأولية للمادة مثل الإلكترون والبروتون والبوزيترون .. وخلافه ، وذلك لقصور حواسنا عن الإدراك المباشر لهذه الجسيمات ، وعلى الرغم من عدم رؤيتنا لهذه الجسيمات ، فنحن لا نشك إطلاقا فى وجودها ، بل ونحكم بوجودها بشكل مطلق ، وذلك لسبب بسيط جدا وهو أننا نشاهد آثار حركتها معمليا على بخار الماء أو بخار الكحول الإثيلى داخل " **غرفة ولسن السحابية Wilson Cloud Chamber** " ، أو آثار حركتها على الهيدروجين السائل داخل " **غرفة الفقاعة : Bubble Chamber** " . هذا إلى جانب إننا ندرك وجود بعض من هذه الجسيمات الأولية ، مثل الألكترون ، فى التطبيقات العملية المختلفة مثل الراديو والتلفزيون والرادار .. وخلافة .

ومما تقدم نجد ، أن الحكم بوجود شيء ما لكى يصل الى درجة اليقين ، إما أن يأتى بالإدراك المباشر للحواس لهذا الشيء ، أو أن يأتى بالإدراك غير المباشر لأثر وجود هذا الشيء على موجودات أخرى . ويتم ذلك عادة برصد هذه الموجودات قبل وبعد وجود هذا الشيء ، ورؤية أثر وجود هذا الشيء على هذه الموجودات . فإن ترك هذا الشيء أثرا على هذه الموجودات حكمنا بوجوده ، وإن لم يترك أثرا ــ على هذه الموجودات ــ حكمنا بعدم وجوده .

وهذا هو عين ما يحدث عند قيامنا بالتأكد من وجود الإلكترون ، فإننا نقوم برصد بخار الماء أو بخار الكحول الإثيلى فى داخل غرفة ولسن السحابية قبل مرور الإلكترون فى هذا البخار. وعندما يمر الإلكترون فى هذا البخار ، فإنه يترك أثرا من البخار المتكثف الذى يسهل رصده وتصويره ، وبالتالى يمكن التحقق من وجود الإلكترون . **وهذا هو غاية علم الإنسان للتحقق من وجود شيء ما .** وقياسا على ذلك ، فإذا ما أردنا عمل " **تجربة معملية نلبرهنة على وجود الله** " فإنه يلزم علينا إجراء تجربتين على حالة ما [٩٢] :

- أحدهما أو التجربة الأولى : يتم إجراؤها فى حالة وجود الإله .
- أما التجربة الثانية : فيتم إجراؤها فى حالة عدم وجود الإله .

وبمقارنة نتائج التجربتين ، يمكن لنا معرفة أثر " وجود الإله " من عدمه على هذه الحالة .

---

[٩٢] أى حالة يتم إختيارها هنا تفى بالغرض المطلوب ، فيمكن مثلا أن نتخيل أن التجربة هى عملية تحضير ثانى أكسيد الكربون , أو أى عملية طبيعية أخرى كإحتراق مادة عضوية ، أو نمو نبات ما أو حيوان ما أو حتى إنسان ؛ أو أى شيء آخر من هذا القبيل .

وبديهى يمكن الحكم على " وجود الإله " إذا ما اختلفت نتائج التجربتين ، كما يمكن الحكم على " عدم وجود الإله " إذا ما إتفقت نتائج التجربتين .

والآن ؛ إذا ما أخذنا بمبدأ " وجود الإله " فى كل مكان فلن يتاح لنا إجراء التجربة الثانية ؛ وهى الحالة التى لا يتواجد فيها الإله . وإذا أخذنا بفرضية أنه " لا يوجد إله " فلن يمكن إجراء التجربة الأولى ، وهى الحالة التى يتواجد فيها الإله . وبالتالى نخلص الى أنه لا يمكن إجراء التجربتين معا " حالة وجود الإله " و " حالة عدم وجود الإله " ، وننتهى من هذا الى أنه لا يمكن إجراء تجربة معملية ما للتحقق من " وجود الإله " أو التحقق من " عدم وجوده " . ففى الواقع ؛ إن الإنسان والوجود مستغرقان فى هذا الوجود الدائم لله ــ سبحانه وتعالى ــ وبالتالى فإن البرهان المقارن السابق ذكره ، يفقد معناه فى هذه الحالة . فماذا بقى للإنسان ــ إذن ــ لإدراك أن القضية الدينية هى " **قضية يقينية** " ، وليست " **قضية غيبية** " ، شأنها فى ذلك شأن أى قضية علمية أخرى .

فى الواقع ، لقد بقى للإنسان الكثير ، فقد بقى له الدين نفسه ، ولكن الدين هنا ليس بالمفهوم "**القضية الغيبية** " ، ولكن الدين هنا بمفهوم " **القضية العلمية** " . **فإذا ما قلنا إن الدين مصدره الإله ، فإننا نكون قد فرضنا هنا الحجة على الدين نفسه ، ليس بقيام الدين بالبرهنة على صحته فحسب ، بل بقيامه أيضا بالبرهنة على أن هذا الوجود قائم بالفعل على أساس الوجود الدائم لله .**

كما يجب أن يعطى الدين البرهان اللازم والكافى للإنسان ، لكى يصل به الى درجة اليقين الكامل الذى يدركه الإنسان من واقع القضايا العلمية ، أو من واقع الإدراك الحسى المباشر .

إن التجربه البشرية الفاشلة مع الأديان الوثنية عموما ، ومع الديانتين اليهودية والمسيحية تخصيصا (أنظر الفصل الرابع) ، جعلت من هذا الإنسان يعتقد فى أن :

" الدين ــ كما جاء فى الفلسفة المادية ــ باعثه الجهل ، ومادته العماية عن حقائق الكون ، وأن الأديان القائمة الآن ، هى حوادث تاريخية استلزمتها أدوار خاصة من مراحل تطور الفكر البشرى ، وإنها آخذه الآن فى الانحـــلال مع التقدم العلمى المعاصر ولن تكون للدين قائمة بعد ذلك " .

وسوف نرى إن هذا الإعتقاد فى الدين ، لهو خير شاهد أو دليل صدق على قصور الفكر البشرى عن إدراك المعنى الحقيقى للدين بـــدون المعاونة الإلهية المباشرة للإنسان على فهمه .

فعلى الإنسان أن يدرك أن " **الله هو مصدر الدين** " ، **وليس العكس أى أن** " **الدين مصدر الإله** " ، فكبرى مصائب البشرية هو الإعتقاد فى أن " **الدين مصدر الإله** " ، لأن هذا الاعتقاد يقود مباشرة إلى قيام كل دين بتشكيل أو توصيف أو تعريف إلهه بنفسه . أما إذا قلنا بأن " **الله هو مصدر الدين** " ، وأن الله واحد ولا متغير ، لذا لزم أن يكون الدين هو الآخر واحد ولا متغير .

وأرجو ألا يلتبس هذا الفكر على القارىء ، وليس فى هذا الأمر فلسفة أو خلافه ، فنحن معتادون أن نرى الله (صفات وفعل) فى الدين ، ولكن هذا لا ينفى أن يكون الله هو مصدر الدين . وهذا التحديد هام جدا فى تعريف الدين . **ففى الواقع ــ كما سنرى ــ أن " الله " يقوم بتقديم (أو بتعريف) نفسه للبشرية من خلال الدين** . وطالما أن الله هو مصدر الدين ، لذا لزم على الإنسان أن يعى :

" أن الله ــ خالق الوجود المدرك وغير المدرك ــ هو مصدر الدين ، وباعثه فى ذلك هو تعريف الإنسان بخالقة ، وبفعله (الإلهى) الكلى ، وكذا تعريف الإنسان بالغايات من خلقه ، وعلى الإنسان تحقيق هذه الغايات حتى يمكنه الفوز بالسعادة الأبدية المنشودة ، ومادة الدين هى العلم . ومن بعض مفردات هذا العلم ، الكون وفيزياؤه ، والإنسان وغاياته ، ووجوده ومصيره ، ولا غموض ولا لبس " .

وربما كان هذا المعنى هو جوهر البراهين المستخدمة فى " القرآن المجيد " فى الدلالة أو البرهنة على "وجود الله " . فطالما أن المتحدث فى الدين هو " الله " الخالق ، ذو الكمالات المطلقة ، والعليم بكل العلم المطلق ، لذا ينبغى أن يكون الدين هو مصدر للمعرفة البشرية ، ماضيها وحاضرها ، ووجودها ومصيرها ، وتكون القضايا الجزئية للدين هى المعرفة الكلية للقوانين الحاكمة للإنسان وللكون وللفيزياء .

كما يمكن أن يقوم الدين بتوسيع دائرة معارف الإنسان لإدراكات تخرج كثيرا عن نطاقات الفطرة ، والإدراك المباشر وغير المباشر للإنسان . وربما تدخل المعرفة بهذا المعنى فى

النطاق الغيبى أو " **المعرفة الغيبية** " ، ولكن جذور هذا الغيب تمتد الى العالم الفيزيائى المحيط بنا ، والذى يسهل التثبت منه بطرق مختلفة ، وبالتالى فإن الغيب فى الدين هو الإمتداد الطبيعى لوجود فيزيائى فعلى لواقع مشهود يمثل دليل صدق على هذا الغيب . كما يمكن أن توجد الومضات أو الإلهامات الإلهية ، التى يمكن أن تتجاوز وترقى بالإنسان ــ كثيرا ــ من فكر البراهين الوضعية أو الإستدلالات المنطقية لصحة الدين الى منطقة الرؤية المباشرة " لله " ــ سبحانه وتعالى ــ ولرؤية الوجود الكلى ، وهذه الرؤية الوجدانية قد تصل بالمرء فى معناها وفى مغزاها الى الإدراك اليقينى الكامل كما تجىء به الحواس المباشرة .

ونحن لم نتجاوز المنطق أو الفكر العلمى بمثل هذه الصياغة . **فالتاريخ العلمى** يبين لنا أن القضايا والنظريات العلمية حتى نهاية القرن التاسع عشر كانت تعتمد اعتمادا مباشرا على فرضيات أساسية تم إدراكها بالملاحظة المباشرة والإعتماد فيها على الحواس ، بينما أخذت هذه القضايا العلمية منذ بداية القرن العشرين [٩٣] طابع العموميات ، وأصبحت ــ هذه القضايا ــ تعتمد بدرجـــة كبيرة على أساسيات وفروض حدسية قاربت أن تدخل فى حيز الغيبيات . كما وإن النظريات العلمية الكبرى السابقة أصبحت تأخذ طريقها الآن فى تواضع شديد لتكون حالات خاصة من نظريات أعم وأكثر شمولية . وهناك أيمان الآن يكاد يكون مشترك بين جميع علماء الفيزياء ، بأننا نتجه بخطا واضحة نحو نظرية شمولية واحدة كافية لتفسير جميع الظواهر أو الحقائق الكونية [٩٤] .

وعموما فإننا كلما اتجهنا إلى النظريات الأعم والأكثر شمولا ، كلما زاد إعتمادنا بدرجة كبيرة على فرضيات أو مسلمات أكثر غيبا من المسلمات والفرضيات التى تبنى عليها النظريات الأكثر بساطة . بل وأصبحت النظريات الشمولية تأخذ طابعا غيبيا بدرجة كبيرة [٩٥] ، وأصبح لزاما على الإنسان توسيع دائرة فكره ومداركه لإستيعاب مثل هذه الفرضيات والنتائج الجديدة .

---

[٩٣] بالتحديد بعد سنة ١٩٠٥ ، وسنأتى الى تفصيل ذلك فى : " الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

[٩٤] أحد هذه النظريات المقترحة ، تعرف باسم " نظرية الخيوط أو الأوتار المتناهية : The Super String Theory " ، وهى نظرية مقترحة ولم يتم القطع بصحتها بعد . وتقول هذه النظرية بأن الإنفجار الكبير للكون قد بدأ نتيجة (شرخ) أو إنشطار هائل لكون ــ غير مستقر ــ ذى عشرة أبعاد ، إنقسم على أثره إلى كونين مختلفين : أحدهما كون متمدد ذى أربعة الأبعاد (وهو كوننا هذا) ، وآخر متقلص ذى ستة أبعاد . وسنأتى الى تفصيل الكون والأكوان المتطابقة فى الفكر القرآنى فى مرجع الكاتب : " الدين والعلم وقصور الفكر البشري " ؛ مكتبة وهبة .

ونذكر هنا على سبيل المثال ، أن **أحد نتائج حلول معادلات الجاذبية العامة** ، قد ألقت الضوء على احتمال وجود أكوان أخرى ذات طبيعة زمنية مخالفة لكوننا هذا . فقد أعطت أحد هذه الحلول ؛ نموذجا لكون الزمن فيه لا يمتد الى مالانهاية (مثل كوننا هذا) ، بل أن **زمن هذا الكون له قيمة محددة ودورى** ، وهو ما يعنى أن أحداث هذا الكون تتكرر تماما ــ كما هى بالضبط ــ كلما انتهت الفترة الزمنية المحددة لعمر هذا الكون الدورى ، ويشبه هذا المثل الأحداث التى تجرى على شريط فيلم سينمائى (أو شريط فيديو) حيث يعاد عرضها كلما انتهت ، وهكذا بصفة دورية .

وتاريخيا نجد أن مثل هذا النوع من الأكوان قد جاء ذكرة فى مرائى الرسول (ﷺ) ، فى رحلة الإسراء والمعراج ، وذلك عندما عرج به إلى السماوات أو الأكوان الموازية [٩٦] . وبهذا نجد أن غيبيات قضية دينية يمكن أن يشير إليها أحد حلول المعادلات الرياضية / الفيزيائية ، والتى نتجت من قضايا كونية يمكن إدراكها بطريقة مباشرة ، ألا وهى معادلات الجاذبية العامة .

والمقدمات (أو الفروض) والنتائج فى القضايا الرياضية هى عمليات قابلة للعكس ، أى أننا نبدأ بالحل لننتهى بالمعادلات ، وليس ــ كما هو شائع ــ أن نبدأ بالمعادلات لننتهى بالحل . أو بمعنى آخر ؛ إننا نستطيع مثلا أن نبدأ بالكون ذى الزمن الدورى المحدود كفرضية أولى ــ وهى فرضية غيبية ــ لننتهى من هذه الفرضية الغيبية إلى معادلات الجاذبية العامة كنتائج ، وهى واقع يمكن الحكم أو القطع بصحته **فى تطبيقات أخرى . وبهذا المعنى فإن الغيب والواقع يمكن أن يتبادلا المواقع فى القضايا " الرياضية / الفيزيائية " أو " الفيزيائية / الرياضية "** .

ولابد لنا أن نعترف أن الخبرات العادية المكتسبة من الحواس المباشرة لم تعد الآن كافية لصياغة القوانين الفيزيائية ، ووصف الظواهر الكونية المختلفة ، بل وأصبح لزاما علينا البحث عن الأفكار الغيبية الأكثر شمولية والتى يمكن أن تؤخذ كمسلمات أو فروض ابتدائية نستطيع أن نبنى عليها الصرح العلمى الموحد والمناسب لوصف الظواهر الكونية كما وكيفا .

---

[٩٥] وما أقلام الخيال العلمى إلا بعض نتائج هذه النظريات العلمية .

[٩٦] الأكوان المتطابقة فى الفكر القرآنى ؛ هو فكر أعم وأشمل بكثير من فكر الأكوان الموازية التى جاءت بها ميكانيكا الكم والنظرية النسبية وفلسفتها ، وسنأتى إلى هذه المعانى بالتفصيل فى المرجع السابق .

إن العلم الحديث ، أو بمعنى أدق العلم المعاصر ، أوشك الآن أن تمتد جذوره ، كما امتدت نتائجه ، إلى الحيز الغيبى ، وأصبح إدراكنا ينحصر فقط فى منطقة متوسطة منه . كما أصبحت الآراء الغيبية تلعب دورا هاما ليست فى صياغة العلم الحديث فحسب ، بل فى صياغة الوجود أيضا . وتأكيدا لهذا المعنى نعرض بعض حقائق ميكانيكا الكم التالية :

- **الحقيقة الأولى فى ميكانيكا الكم تقول بأنه :**

" لا توجد حقيقة بالمعنى العميق للكلمة " :

" Quantum Reality # ١ : There is no deep reality .

- **كما تقول الحقيقة الكمية الرابعة بأن :**

" الحقيقة تتكون من عدد متزايد باطراد من الأكوان الموازية " .

Quantum Reality # ٤ : Reality consists of a steadily increasing number of parallel universes.

- **وتقول الحقيقة الكمية الخامسة بأن :**

" العالم يخضع لنوع من التفسير المنطقى مغاير للتفسير البشرى له "

Quantum Reality # ٥ : The world obeys a non-human kind of reasoning .

وعلى الرغم من غيبيات هذه الفرضيات ، إلا إننا نستعمل لفظ " **حقائق** " للدلالة عليها . وهذا هو معنى الغيب فى " القضية العلمية " . وبهذا المعنى فإننا نتكلم عن القضايا الغيبية فى الدين . فمثل هذه القضايا فى جوهرها هى قضايا علمية بالدرجة الأولى ، وقد سبق أن بينت أن الدين علم بالمعنى العريض للكلمة . والمتحدث فى الدين هو الله بكل الكمالات المطلقة ، وهو العليم بكل العلم المطلق ، فهو خالق هذا العلم . فالمنطق هو منطق إلهى حتى وإن قال به إنسان ، والفكر هو فكر إلهى حتى وإن جاء على فكر بشر فى صورة فيزياء أو علم وضعى . فالله هو المصدر الحقيقى لكل المعارف البشرية ، كما جاء فى قوله تعالى للبشرية الغافلة :

﴿ وَاتَّقُوا الَّذِى أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) ﴾

(القرآن المجيد : الشعراء {٢٦} : ١٣٢)

أى لا علم للبشرية إلا بما أمدها " الله " ــ سبحانه وتعالى ــ به أو زودها به . كما يقول الله ــ عز وجل ــ عن كلماته هو لمحمد (ﷺ) ــ فى محكم تنزيله ــ ليبلغها عنه إلى البشرية :

﴿ قُل لَّوْ كَانَ البَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّـي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّـي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩) قُلْ إِنَّمَا أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) ﴾

(القرآن المجيد : الكهف {١٨} : ١٠٩ - ١١٠)

وهذا هو الفرق بين المحدود الذى أمدنا وزودنا الله به ؛ وبين اللامحدود الذى يملكه هو (سبحانه وتعالى عما نحيط وندرك) . وكلمات الله هى الحق المطلق ، لذا يحسم الحق ــ تبارك وتعالى ــ القول بأن " القضية الدينية " هى ــ فى الواقع ــ " قضية يقينية " ، وليست " قضية غيبية " ، بقوله تعالى :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) ﴾

(القرآن المجيد : فصلت {٤١} : ٥٣)

و" الآفاق " فى الآية الكريمة السابقة تشير إلى المتناهى العلمى ، والمتناهى الزمانى ، والمتناهى المكانى (أو الزمكانى) . و" الحق " فى الآية الكريمة يشير ــ فى أحد معانيه ــ إلى القرآن المجيد ، وفى معانى أخرى يشير إلى الله ــ سبحانه وتعالى ــ نفسه . وكما نرى من الآية الكريمة السابقة أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ يقدم الملاحظه والتحقيق فى قوله تعالى : ﴿

---

[٩٧] واستخدام المولى ــ عز وجل ــ لكلمة " .. اتقوا ... " ــ فى هذه الآية الكريمة ــ إنما تعنى أنه مزودنا بكل أنواع العلم والمعارف والتى يمكن أن تستخدم فى الخير كما يمكن أن تستخدم فى الشر ، كل على حد سواء ؛ وذلك من باب الاختيار والابتلاء فى هذه الحياة الدنيا . لذا لا يجب استخدام العلم إلا فى كل ما هو فيه فائدة ونفع للبشرية فحسب ، ولا يجب استخدامه فيما هو فيه ضرر أو شر بالبشرية ، لأن الإنسان محاسب على هذا وذاك .

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ ... ﴾ ، على الإيمان : ﴿ ... حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ... ﴾ ، الذى يمكن أن يأتى كنتيجة طبيعية تالية لهما ، أى للملاحظة والتحقيق .

كما تنفى الآية الكريمة السابقة بشكل قاطع " **غيبية القضية الدينية** " ، ولكن إدراك هذه الحقيقة منوط بالتقدم العلمى والفكرى للإنسان . فعند وصول الإنسان الى قدر كاف من النضوج الفكرى والمعرفة العلمية ، فسيدرك أن الدين حق ، أو بمعنى آخر فسيدرك أن " **القضية الدينية** " هى " **قضية يقينية** " وليست " **قضية غيبية** " . فالحائل الوحيد ــ إذن ــ الذى يحول دون إدراك الإنسان فى الوقت الحالى لهذا ، أى أن " **القضية الدينية** " هى " **قضية يقينية** " ، هو جهل الإنسان ذاته ليس إلا . وبهذا المعنى نرى أن الغيب القرآنى ، هو غيب قابل للتحرك أو بمعنى أخر هو غيب قابل للإنكماش مع التقدم الحضارى للإنسان .

وليعد القارىء قراءة هذه الآية الكريمة السابقة مرة أخرى ليستيقن من هذا المعنى . وليعلم الإنسان أن جهله ــ فى الواقع ــ هو الحائل الحقيقى بينه وبين إدراكه لهذه الحقيقة البسيطة ، وهو أن الدين : " **قضية يقينية مدركة** " **وليس** " **قضية غيبية معلقة** " .

وبديهى يبقى لدينا السؤال الأخير هنا وهو : هل يجب علينا الإنتظار أجيالا وأجيالا ، حتى يصل الإنسان إلى أوج حضارته ، وحتى يعلم أن " **الله حق** " ، وأن " **القرآن حق** " ، وحتى ندرك هذا العلم القاطع بأنفسنا ... ؟! والإجابه على هذا السؤال : هو بديهى بالنفى ، فليس علينا الإنتظار كل هذه الأجيال ، لندرك هذه المعرفة القاطعة .. فقد ندركها الآن إذا ما أحسنا التوجه إلى الله ، وأخلصنا النية فى هذا . وهذا ما يقوله لنا المولى ــ عز وجل ــ فى قانونه الإلهى المحيط ، بأن التوجه الصحيح إليه يصل بالمرء مباشرة إلى درجة اليقين الكامل ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ وَاعْبُــدْ رَبَّــكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩) ﴾

(القرآن المجيد : الحِـجْر {١٥} : ٩٩)

واليقين : هو العلم القاطع الذى لا يأتى معه أى شك [٩٨] . ونلاحظ هنا ، بأن الفكر البشرى دائما يقول بالعكس ، أى إنه يقول بعكس هذا المعنى . فدائما ما يطلب الإنسان اليقين الكامل قبل بدء الإيمان بالله ، وبدون ــ حتى ــ محاولة استخدام عقله . **وهو بهذا الفكر مثله فى هذا مثل ذلك الطالب الذى يشترط إعطاءه الشهادة العلمية أولا ، قبل أن يبدأ فى الدراسة وتحصيل العلم الذى يؤهله لهذه الشهادة .**

وبهذا نخلص إلى أن العبادة ــ بعد إحسان التوجه إلى الله ــ هى الطريق الحق إلى المعرفة الإلهية ، وهى المعرفة التى يترقى بها الإنسان قربا إلى الله سبحانه وتعالى ، حتى يصل

---

[٩٨] لابد وأن أشير هنا ، إلى إنه يوجد إجماع لدى المفسرين ، على أن كلمة " يقين " هنا تعنى " الموت " ، حيث يقولون بأن الخطاب فى هذه الآية الكريمة موجه إلى الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) . ولكن يجب أن يفهم أن الخطاب موجه للبشرية جمعاء ، وليس للرسول فقط . فكلمة " يقين " ورد ذكرها فى القرآن المجيد سبع مرات ، منها بمعنى ــ ما بعد ــ الموت .. ومنها بمعنى غير ــ ما بعد ــ الموت ولكن بمعنى العلم المطلق الذى لا شك معه ، وقد يحدث هذا العلم فى الحياة الدنيا ، كما جاء فى قوله تعالى فى " سورة النمل " عن الخبر اليقين :

﴿ ... أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) ﴾ (القرآن المجيد : النمل {٢٧} : ٢٢)

وكما يمكن أن يحدث هذا العلم المطلق والذى لاشك معه مع الناس فى الآخرة بعد الموت ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) ﴾ (القرآن المجيد : المدثر {٧٤} : ٤٦ – ٤٧)

فكلمة يقين هنا تعنى ؛ حتى آتانا هذا العلم المطلق بوجود يوم الدين عقب الموت أو فيما بعد الموت ، أى فيما نحن فيه الآن . فالموت ليس باليقين ، ولكن اليقين يأتى عقب الموت . كما يمكن أن يجىء هذا اليقين ، أو العلم المطلق والذى لاشك معه ، بما يجزم به الله ــ سبحانه وتعالى ــ من حق فى وعده للمكذبين بهذا القرآن ، والضالين فى هذه الحياة الدنيا ؛ كما فى قوله تعالى :

﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٦) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ (القرآن المجيد : الواقعة {٥٦} : ٩٢ ــ ٩٦)

وفى قوله تعالى عن القرآن المجيد :

﴿ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢) ﴾
(القرآن المجيد : الحاقه {٦٩} : ٥٠ – ٥٢)

وهكذا ففى جميع هذه المعانى نرى أن كلمة " يقين " تعنى العلم المستيقن والذى لا شك معه .

الإدراك النهائى ــ للإنسان ــ لهذا الوجود الإلهى إلى درجة اليقين القاطع الذى تأتى به الحواس المباشرة . كما أرجو ألا ينصرف الذهن هنا إلى أن العبادة فى المنهاج الإسلامى تقتصر على أداء الصلاة . فالصلاة هى إحدى صور العبادة ــ فقط ــ وليست كل العبادة ، لقول الرسول الكريم (ﷺ) :

" تفكر ساعة خير من عبادة خمسين عاما " [٩٩]

وهنا يبين الحديث أن آلية أداء شعائر العبادات بدون إمعان الفكر ، أو غير مصحوبه بالفكر الكافى ، لا تسرع بالمرء كثيرا نحو اليقين . فالفكر أساسى ولازم نحو تحقيق اليقين الكامل لإدراك وجود الله ، سبحانه وتعالى .

١٠ ــ كلمة حول الأدلة العقلانية للبرهنة على " وجود الله "

كما سبق وقد أشرت إلى أنه من البديهى أننا لا نتوقع أن نجد تجربة معملية للبرهنة على " وجود الله " ، وذلك لسبب بسيط جدا ، وهو إننا إذا أردنا أن نعرف هل يوجد " إله " أم " لا " معمليا ، فإنه يلزم علينا إجراء تجربتين على حالة ما [١٠٠] ، حيث :

- تجرى التجربة الأولى : " حال تواجد الإله "
- وتجرى التجربة الثانية : " حال عدم تواجد الإله "

وبمقارنة نتائج التجربتين ، يمكن لنا معرفة " تأثير وجود الإله " على التجربتين والفرق بينهما . وبديهى أنه يمكن الحكم بـــ " وجود الإله " إذا ما تباينت أو إختلفت نتائج التجربتين . كما يمكن الحكم على " عدم وجود الإله " إذا ما إتفقت نتائج التجربتين .

والآن إذا ما أخذنا بمبدأ أن " الله موجود " فى كل الوجود ، فلن يتاح لنا إجراء التجربة الثانية ، وهى الحالة التى لا يتواجد فيها الإله . أما إذا أخذنا بفرضية " عدم وجود الإله " فلن نتمكن من

---

[٩٩] " العقيدة " ؛ إصدار الأزهر الشريف . ص : ٤٠ .

[١٠٠] كما سبق وأن ذكرت ، أن أى حالة يتم اختيارها هنا تفى بالغرض المطلوب ، فيمكن مثلا أن نتخيل أن التجربة هى عملية تحضير ثانى أكسيد الكربون . أو أى عملية طبيعية أخرى كإحتراق مادة عضوية ، أو نمو نبات ما أو حيوان ما أو حتى ملاحظة نمو إنسان ؛ أو أى شىء آخر من هذا القبيل.

إجراء التجربة الأولى ، وهى الحالة التى يتواجد فيها الإله . وبالتالى نخلص إلى أنه لا يمكن إجراء التجربتين معا ؛ " حال وجود الإله " و " حال عدم وجود الإله " . وننتهى من هذا إلى أنه لا يمكن إجراء تجربة معملية ما للتحقق من " وجود الإله " من عدمه . وبذلك لم يعد لدينا للبرهنة على " وجود الله " إلا " البراهين العقلية " ، التى تعتمد على ملاحظة الوجود بتباياته المختلفة ، **وإعتبار هذا الوجود نتيجة حتمية لفعل إلهى محيط** ، ولهذا يجب أخذه (أخذ هذا الوجود) كدليل على " وجود الله " .

وربما قصدت أن أعرض هذا الموضوع على هذا النحو السابق ، لأستفز القارىء لأن يقول : إن مثل هذا البرهان العقلانى الذى تقول به ، أصبح الآن " **برهانا قهريا** " ، فإن الإله يرغمنا الآن على قبول الوجود كنتيجة حتمية لـ " وجوده هو " ، شئنا هذا أم أبينا . وبذلك لم يترك لنا " الله " فرصة الخيار ، أو لم يترك لنا براهين أخرى بديلة للدلالة على وجوده مستقله عن هذا الوجود . وبذلك ينتقل الفكر البرهانى فى الدين إلى " **فكر المسلمات الدينية** " ، ويصبح الدين " مسلمة كبرى " تقضى بأن يسلم أتباعها بمضامينها ، وربما يفقد الدين ـ بهذا المفهوم ـ موضوعيته ، إذا ما بنى على مسلمات فقط تنقصها البراهين أو التجارب اللازمة للدلالة على صحتها .

وبديهى إن ما انتهينا إليه ليس صحيحا بالمرة ، فعلى الرغم من " قدرة الله " ـ عز وجل ـ على جعل الإيمان بوجوده " إيمانا قهريا " وبطريقة مباشرة ، إلا أن الحكمة الإلهية المتعالية قد قضت بألا يكون هناك قهرية فى " البراهين الدالة على وجوده " ، وبهذا يكون الإيمان بوجوده إيمانا إختياريا .

وفى هذا الشأن ينبه الله ـ عز وجل ـ رسوله الكريم (ﷺ) ، بأنه لاداعى للحزن على عناد قومه ، بأن يأتيهم هذا القرآن ولا يؤمنوا به ، لأنه لو شاء لقهر الناس جميعا على الإيمان به . ولكن هذا القهر مناف للعلة الغائية من وراء الخلق ، وهو الاجتهاد والسعى الاختيارى وراء معرفة الله وكمالاته وفعله الإلهى الكلى ، وما وراء ذلك من ثواب وعقاب . حيث نجد هذا المفهوم واضحا فى قوله تعالى :

﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤمِنِينَ (٣) إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِّنَ السَّمَاءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٤) وَمَا يَأتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (٥) ﴾

(القرآن المجيد : الشعراء {٢٦} : ٣-٥)

[باخع : قاتل ومهلك نفسك من الغم على قومك / فظلت أعناقهم لها خاضعين : بمعنى لن يستطيع أحد أن يلوى عنقه ، أو التحول عن الإيمان بهذه الآية وبوجود الله / محدث : مما يحدثه الله إليك]

وبهذه الآية يقرر الله ــ سبحانه وتعالى ــ أنه لاقهرية فى البرهان على وجوده . بل ويتجاوز بنا المولى (ﷻ) " فكر اللاقهرية فى البرهان " إلى " فكر الظهور المباشر له " فى كل شىء . وبذلك تنتفى حتى الحاجة إلى البرهان على وجوده . بل ويصبح الإنسان فى محاولته للبرهان على وجود الله ، كمن يحاول أن يبرهن على وجود الماء ، وهو يقف أمام البحر حيث يرى الماء . أو كمن يحاول البرهنة على وجود الهواء ، والهواء يحيط به من كل جانب . ولهذا يصف الله ــ سبحانه وتعالى ــ نفسه فى محكم تنزيله بأنه :

﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) ﴾

(القرآن المجيد : الحديد {٥٧} : ٣)

وإدراك المعنى الكلى لهذه الآية الكريمة بدرجة كافية من الدقة ليس من السهوله بمكان ، إذا ما علمنا أن " الله " باطن فى كل ظهور . فالدلالات الصوفية العميقة لهذه الآية الكريمة ، فى الجمع بين الباطنية والظهور ، أعمق من أن تحاط ، ويمكن أن يفرد لها كتاب كامل حتى يمكن إستيعاب معناها العريض . ولكن نكتفى هنا بالقول فقط بأن الله قد خلق الإنسان مزودا بالملكات الكافية لإدراك [١٠١] هذا الظهور ، ومع ذلك فإنه باطن أو غير مدرك لمن لا يستفيد من هذه الملكات .

فـــ " العامة " : هم تلك الفئة من الناس التى لا تستفيد من هذه الملكات لإدراك وجود الله من واقع ظهوره ، وبالتالى فهم فى حاجة دائمة إلى برهان أو براهين للتدليل على وجود الله ، أما "الخاصة " أو " أهل الخصوص " أو " العارفين بالله " : فهم تلك الفئة التى تدرك وجود الله من واقع ظهوره ، وبذلك تنتفى حاجتهم إلى برهان للتدليل على " وجود الله " .

هذا وقد أشرت ــ من قبل ــ فى البند السابع إلى أن " **الوعى الفطرى بوجود الله** " ، هو أحد هذه الظهورات التى تمثل الإدراك المباشر لـــ " وجود الله " . وما على الإنسان إلا التنبه فقط

---

[١٠١] الإدراك هنا هو إدراك وجدانى ، وليس إدراك بالحواس المباشرة . فكما سبق وأن بينت ، ليس الإنسان بتركيبته المادية الخارجية الحالية ، ولا بالعلة الغائية من وجوده يمكن أن يرى الله جهرة .

لملاحظة أثر هذا الوجود (أى أثر وجود الله) لديه .. أو ملاحظة التأثير المباشر لهذا الوجود ، على **الجانب المادى والنفسى والوجدانى للإنسان** . هذا وقد سبق أن بينت ، أن هذا " **الوعى الفطرى بوجود الله** " **هو المسئول المسئولية الحقيقية ــ هذا إلى جانب عدم فهم دور الدين فى حياة الإنسان ــ عن ظاهرة تعدد الأديان** . فطالما أن الإنسان لا يدرك فطرية هذا الإنفعال ، فإنه يعتقد خطأ بأن الوثن المنصوب أمامه (أى أمام الإنسان) هو مصدر هذا الإنفعال ، وبالتالى فهو الإله ، وبهذا يعبد الوثن وتتعدد الأديان .

وعودة بنا إلى البراهين العقلية للبرهنة على " وجود الله " . فكما سنرى ؛ فإن طبيعة البراهين التى يتبعها القرآن المجيد فى البرهان على " وجود الله " ، لها سمة البراهين العلمية كما تأتى بها النظريات العلمية أو الفيزيائية الكبرى . فهو يبدأ البرهان بمسلمة ما ، ثم ينتهى منها بنتائج قابلة للملاحظة والتحقيق ، فإن صدقت النتائج صدقت المسلمة ، وصدق وجود الله ، سبحانه وتعالى ، وهو الظاهر فوق كل ظهور . وهذا هو عين البرهان العلمى فى القضايا الفيزيائية الكبرى ، والتى تستند إلى مسلمات أساسية لا يمكن البرهنة على صحتها ببراهين مباشرة . ومن أوضح الأمثلة على هذا : " **النظرية النسبية الخاصة** [١٠٢] " و " **النظرية النسبية العامة** [١٠٣] " .

فعادة ما يبدأ القرآن المجيد البراهين القرآنية بمنطقة الوجود الفعلى للإنسان أو الكون المادى الذى نحيا فيه ، ثم يتدرج بعد ذلك فى الدخول إلى الإمتداد الطبيعى لهذا الوجود (أى إلى منطقة الغيب) مارا بالمنطقة المتوسطة بين الوجود والغيب ، **وهى منطقة غروب الوجود** ، أو " **منطقة الشفق الوجودى : The twilight zone** " ، ثم ينتهى بعد ذلك إلى المنطقة الغيبية ، وكل هذا بمنطق متصل ، يكاد يصل فيه الإدراك الحقيقى بالمعنى المراد إلى درجة اليقين الكامل أو الإدراك الذى تأتى به الحواس مباشرة . كما يمكن أن يأتى البرهان على نحو أو

---

١٠٢ تعتمد " النظرية النسبية الخاصة " على مسلمتين أساسيتين ؛ فالمسلمة الأولى تقول : بمبدأ ثبات سرعة الضوء بغض النظر عن سرعة المصدر أو المستقبل لها . أما المسلمة الثانية فتقول : بمبدأ اللاتغيرية فى معادلات الفيزياء العامة ، بالنسبة للأنظمة القصورية . وكلا المسلمتان لاتقوم عليهما برهان مباشر ، ولكن يثبت صحتهما فقط من صحة النتائج المترتبة عليهم (أنظر كذلك مقدمة هذا الكتاب ، لصياغة أخرى لهذه المسلمات).

١٠٣ تعتمد " النظرية النسبية العامة : The General Theory of Relativity " على مسلمة واحدة هى : مبدأ التكافؤ بين الأنظمة القصورية الساكنة والموجودة فى مجال جذبى عام (ذو عجلة محددة) ، وبين الأنظمة غير القصورية والمتحركة فى غير المجال الجذبى العام السابق ، بنفس العجلة بالنسبة إلى النجوم الثابتة .

ترتيب عكسى . وفى كلا الحالتين يصبح الغيب هو " المسلمة " الأولى ، ويكون الإمتداد العكسى لها ــ أو المطرد ــ فى الوجود هو " التجربة الدالة على صدق هذه المسلمة " .

أما إذا إنتقلنا إلى الأدلة العقلانية التى يتبعها الفلاسفة والمفكرون فى البرهنة على " وجود الله " ، **فإننا نجد معظمها ــ إن لم يكن كلها ــ يدور فى فلك فكر واحد أو حول فكرين أساسيين :**

الفكر الأول : وهو يقول بأنه " طالما أن الوجود متغير وغير ثابت [١٠٤] ، فلا بد له من موجد وهذا الموجد هو الله " . أما ؛

الفكر الثانى : فهو يتعلق بـــ " الإنسان ووجوده ، وفطريته الأخلاقية والإجتماعية ، وفطرية إدراكه لوجود الله ". وقد ناقشنا فطرية وجود الله بتفصيل كاف فى البنود السابقة .

وتتعدد الزوايا التى يعالج بها المفكرون والفلاسفة هذين الفكرين ، حتى ليخيل إلينا ، ويخيل إليهم أيضا ، بأنهم يأتون ببرهان جديد فى كل مرة يعالج بها أحد هذين الفكرين من أحد زواياة المختلفة . فعلى سبيل المثال ــ كما سنرى حالا ــ يقوم الفلاسفة والمفكرون بتناول جزئية واحدة من هذا الوجود :

كالكون ، والحركة ، والإنسان ، والعالم ، .. إلى آخره

لينتهوا منها بأن :

للكون موجد ، وللحركة محرك أول ، وللإنسان خالق ، وللعالم صانع ... وهكذا

وفى كل مرة يتناول فيها المفكر أو الفيلسوف ، جزئية من هذا الوجود إلا ويقول ، إنه قد أتى ببرهان جديد مغاير عن البراهين الأخرى ــ لمن سبقوه ــ عن وجود الله . ولكن فى الحقيقة أن كل هذه البراهين تدور فى فلك المضمون الشامل عن الوجود السابق ذكره ؛ وما هذه المفردات إلا جزئيات متباينة من هذا الوجود .

---

[١٠٤] أرجو ألا يغيب عن ذهن القارىء أن " نظرية الإنفجار الكبير : The Big Bang Theorem " تحدد بداية خلق كوننا المادى . ومن المتفق عليه الآن أن عمر الكون يبلغ حوالي (١٣,٥ إلى ١٤) بليون سنة .

opelkanal.com

ويجب أن أنوه ــ هنا ــ إلى أنه : على الرغم من بساطة الأفكار الأساسية للبراهين العقلانية أوالفلسفية الدالة على وجود الله ، إلا أن هذه البراهين تتسم بصعوبة التعابير اللغوية المستعملة فى صياغتها ؛ حتى ليصعب على القارىء العادى ، وغير المتمرس على مثل هذه القراءات ، تتبع المعنى المراد الوصول إليه . وعموما فإن قراءة هذه البراهين تستلزم درجة من التركيز لا تتوافر ــ عادة ــ لدى القارىء المستلقى على جانبه ، وكذا ألفاظها ليست سهلة التداول ، بل ويصعب فى أحيان كثيرة إعادة صياغتها أو التكلم بها . وعادة ما يفترض كاتب هذا النوع من البراهين وجود حد أدنى لثقافة القارىء ، أو نوعا من النضوج الفكرى حتى يصبح كتابه مقروءا ، أو بمعنى آخر حتى يصبح كتابه مفهوما .

وبديهى لن ألجأ هنا إلى إعادة صياغة هذه البراهين بألفاظها ، ولكن سأكتفى بصياغة أفكارها الأساسية بصورتها الحقيقية البسيطة ، والتعليق عليها بإسلوب مبسط مبتعدا تماما عن التراكيب اللفظية الفلسفية المعقدة والمتبعة فى مثل هذا العمل . وأود أن أشير إلى أن جميع البراهين العقلانية التى تم ذكرها هنا ؛ هى خلاصة الفكر البشرى على مدار تواجده على سطح هذا الكوكب المحدود ، وعلى مدار حضاراته وثقافاته المختلفة . فهذا هو ما انتهى إليه الإنسان ، وهذا هو غاية تفكيرة ، وهذا هو منتهى علمة ونضوجه الفكرى ..!!

وللحق لقد وقفت طويلا أمام هذه البراهين العقلانية ، كما جاء بها الإنسان أو قادة الفكر البشرى (كما نجمع على تسميتهم بهذا الإسم أو تسميتهم بالفلاسفة والمفكرين) وعلى ضحالة ما جاء فى هذه البراهين ، إذا ما قورنت بنفس هذه البراهين كما جاء بها القرآن المجيد ، أو كما صيغت بالمنطوق الإلهى . فالفارق بين الصياغتين أضخم من أن يحسب .

فعند تأمل صياغة البرهان العقلانى الذى جاءت به البشرية ، فإننا نجد أنفسنا أمام أشلاء لجثة إنسان لا حركة فيها ولا حياة ، بل وقد لا تبدوا أنها جثة لإنسان ، بل هى تبدو مجرد إحتمال عن بعد لأن تكون هذه الجثة لإنسان . فالفكر ــ كما جاء ــ فى هذه البراهين محدود للغاية ، ولم يتجاوز فكر الواقع الفعلى لوجود متجمد يحوى معنى واحد هزيل . فالبرهان البشرى هو " **برهان ساكن أو برهان استاتيكى : Static Proof** " إلى حد بعيد . بمعنى أن بدايته واضحة ونهايته محدودة وتعكس معنى واحدا ثابتا يكسوه الضباب ويكتنفه الغموض ، ولا ندرى من خطوات البرهان إن كانت هذه صياغة برهانية ، أم هى مجرد سرد لواقع مألوف لا يضيف لنا معرفة جديدة . وتقرأ الصياغة لهذه للبراهين ــ البشرية ــ ثم تعيد قراءتها فلا تحس بإشباع معرفى ما ، فأنت تقف فى مكانك فى هذه البراهين ، لا تتقدم باستخدامها خطوة واحدة عما كنت

عليه قبلا ، أو حتى يمكن أن تخرج منها بفكر قد يرضيك وتستطيع معه الإعتماد عليه فى صفة الحسم للنتيجة المستخلصة من الخطوات أو من البرهان نفسه .

وربما كان هذا دائما دأب الإنسان ، ذلك المسكين الذى يستهويه الغموض ، ويستعذب أن تكون الحياة لديه لغزا أبديا لا يستطيع حله ، ويأخذه الكبرياء بالجهل إذا ما عثر على صدفة (a shell) ، ويعتقد أنه بهذا قد أدرك شيئا أو أنه هو الذى أوجد أو صنع هذه الصدفة (The shell) .

وعلى الجانب الآخر ، فإننا نجد هذه الصورة جد مختلفة إذا ماتم تناول نفس هذه البراهين فى الفكر القرآنى . ففى الواقع ؛ نجد هذه البراهين القرآنية مفعمة بالحركة ومملوءة بالحيوية ، وتتفطر منها الحياة فى كل خطوة ، فهى " براهين متحركة أى ديناميكية : Dynamic proofs " إلى أبعد مدى . بمعنى أن النتيجة المستخلصة منها تتوقف دائما على ثقافة الفرد وحضارة عصره ، وليس هناك حدود نهائية لما تنتهى إليه هذه البراهين من علم . فالفكر الفردى ، ونضوجة ، وثقافته ــ إلى جانب حضارة العصر ــ هى الصفات التى تحدد الحدود النهائية للعلم أو النتيجة المستخلصة من هذه البراهين . وقلما يحيط الفرد ــ كما سنرى ــ بإدراك نهائى للمعلومات أو العلم الوارد بالبراهين القرآنية .

وللحق كدت أتوقف مرارا عن الكتابة عن هذه البراهين القرآنية ــ هذا إن لم أكن قد توقفت فعلا عدة مرات ــ وذلك لضحالة ما كتبت بالمقارنة إلى ضخامة ما أدركت ، من معانى واردة بهذه البراهين ، ولم أستطع التعبير عنها ، وذلك حتى لا أكون قد أسأت أو أخللت بالمعنى العام لهذه البراهين ،.وخصوصا عندما يفرض على الكاتب الإيجاز الشديد فى العرض قصدا فى المساحة ووقت القارىء .

وعموما قد آثرت الإستمرار فى الكتابة عن هذه البراهين على الرغم من هذا . لذا لزم ضرورة التنويه هنا ؛ بأن البرهان القرآنى عادة ما يعالج الموضوع من كل زواياه فى عدة آيات متفرقة ومنثورة فى عدة سور (أو فصول Chapters) من سور القرآن المجيد ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً (١٠٦) ﴾

(القرآن المجيد : الإسراء { ١٧} : ١٠٦)

[فرقناه : نزلناه مفرقا (زمانا ومكانا . والمكان هنا له معنى مطلق . بمعنى المكان الخارجى ــ وقت نزول الآيات على محمد (ﷺ) ــ ومكان داخلى هو مواقع الآيات داخل القرآن المجيد نفسه) / على مكث : على مهل وتؤده / ونزلناه تنزيلا : أى نزل شيئا فشيئا على حسب المصالح والمواقف]

ولما كان جمع كل هذه الآيات يعنى الإطالة فى صيغة البرهان ، لذا فقد تم الاكتفاء بأقل عدد ممكن من الآيات التى تخدم الخطوط العريضة فقط للبرهان . وليس معنى هذا أن هناك تكرارا ما فى البرهان القرآنى ، ولكن معناه ــ فقط ــ أن ما جاء فى القرآن المجيد هو تناول الموضوع من كافة جوانبه ، واكتفيت هنا بعدة جوانب فقط للبيان . لذلك فإن ما كتب هنا عن البراهين القرآنية ، المناظرة للبراهين الإنسانية ، هى أقل القليل عما ورد ذكره فى القرآن المجيد عن هذه البراهين . وبالتالى فإن كان هناك تقصير ما فى عرض هذه البراهين ، فهى مسئوليتى وحدى ، ولا يعنى هذا وجود أى قصور فى البرهان القرآنى نفسه . ولكن هو تقصير ذاتى فى عدم الأخذ بكل ما جاء فى القرآن المجيد حول هذه البراهين ، وذلك توخيا للإيجاز الشديد .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر يجب أن أشير هنا إلى أن الطيف العريض للمعانى القرآنية فى كل جزئية من البرهان الواحد أوسع من أن يحاط أو أن يدرك ، لذا لزم الإشارة فقط إلى بعض هذه المعانى فى اقتضاب شديد . كما يتم أحيانا إرجاء المناقشة الموسعة لبعض هذه الموضوعات ــ كما هو الحال فى موضوع السماوات ــ إلى كتابات لاحقة ، حيث ستأتى فيما بعد فى سياق تعريف الإنسان والعلم الفيزيائى ، **وما يمكن أن يضيفة الدين إلى العلم ، وليس العكس فأن العلم لا يضيف شيئا إلى الدين ولكن الدين هو الذى يضيف كل شىء للعلم** ، وليس هذا فقط ، بل ويسبغ المعنى العام على هذا الوجود الإنسانى أيضا . فينبغى للإنسان أن يتنبه ، وأن يعى أن الدين هو العلم الكلى أو العلم الإلهى ، وما العلوم الإنسانية والعلوم الفيزيائية إلا جزئية متواضعة .. لا تكاد ترى أو تبين ، من هذا العلم الإلهى الكلى والشامل .

وعموما فإننى لن أتعرض هنا فى هذا الكتاب إلى جميع البراهين العقلانية ، التى خلفتها الحضارة الإنسانية للتدليل على وجود الله ، بل سأكتفى بأهمها ، والتى تعتبر البراهين الحاكمة أو الأساسية ، والتى يمكن القول ــ وبدون أدنى تجاوزات ــ أن **البراهين الأخرى التى قد تركت يمكن أن تندرج بصورة ما أو بأخرى تحت واحد من هذه البراهين الأساسية التى سوف يتم مناقشتها هنا .**

وبديهى يكون من المتوقع من الديانة الصحيحة أن تحوى هذه البراهين الأساسية ، كما تحوى أيضا الوجود الكلى للإنسان ؛ أى التركيب المادى ، والتركيب النفسى ، والتركيب الروحى له . هذا إلى جانب تحديد مكان الإنسان فى داخل الإطار العام للمخلوقات على نحو مطلق . أو بمعنى آخر يجب أن تحوى الديانة الصحيحة الخريطة العامة للوجود على نحو مطلق ، مع تحديد مكان وجود الإنسان وهويته من هذا الوجود الكلى ، أى موقعه العام على هذه الخريطة الكلية .. أو بانوراما الوجود .

كما ينبغى أن تحوى الديانة الحقة أيضا الغايات الكلية من الخلق ، فالإنسان غير مؤهل فطريا بمعرفة المقاصد الإلهية الكلية لهذه الغايات ، مالم يتم إخباره بها بشكل مباشر بمعرفة الله ، عز وجل . كما يجب أن تحدد الديانة الصحيحة طريق الخلاص الإنسانى ، وفيما هو مختبر فيه ــ إن كان هناك غاية من هذا الوجود ــ حتى يضمن النجاة والحصول على السعادة الأبدية المرجوة .

وكذلك يجب أن يحوى الدين الصحيح دليل صدقه ، أو بمعنى آخر البينات الدالة على صحته وصدقة ، شأنه فى هذا شأن أى نظرية علمية أو فيزيائية عامة . كما ينبغى ألا تتناقض ــ فى أى لحظة أو فى أى موقع أو فى أى مكان ــ مضامين الدين ذاتيا ، وإلا قضى الدين على نفسه بنفسه . بل يجب أن تتوافق ووتتناغم هذه المضامين مع بعضها البعض ولا تتناقض تحت أى ظروف أو تحت أى دعوى أو تبرير ما .

فيجب العلم بأن آفة أى نظرية فيزيائية ، هو **(التناقض الذاتى : The self inconsistency)** فالتناقض الذاتى يفقد أى نظرية علمية منطقيتها ، وهو السيف الذى يحطم أى نظرية فيزيائية مهما كانت دقة وصدق النتائج الجزئية أو الفرعية التى تؤدى إليها هذه النظرية . فنحن نحكم على أى نظرية فيزيائيـــة بالفناء التام إذا ما تناقضت مضامينها الداخلية مع بعضها البعض .

فيجب التنبه إلى أن الديانة الصحيحة ، هى التى تجعل من الإنسان ، ووجوده ، وكونياته ، وفيزياؤه .. وخلقه وغاياته .. جزئية صغيرة فى داخلها ، فى إطار متعال للفعل الإلهى الكلى .. للخالق المطلق .. أى " لله " .. سبحانه وتعالى ..

١١ ــ الأدلة العقلانية للبرهنة على " وجود الله "

فى هذا البند سوف يتم عرض أهم البراهين العقلانية ، التى قالت بها الحضارة الإنسانية للتدليل على وجود الله . وفى الواقع ؛ تعتبر هذه البراهين هى البراهين الحاكمة أو البراهين الأساسية التى جاء بها قادة الفكر البشرى ، أو غاية ما جاء به الفكر البشرى ، والتى يمكن القول ــ وبدون أى تجاوزات ــ أن ما ترك من براهين أخرى ، يمكن أن تندرج بصورة ما أو بأخرى تحت واحد من هذه البراهين الأساسية التى سوف يتم مناقشتها فى هذا البند .

كما سيتم ــ فى هذا البند أيضا ــ مناقشة البراهين القرآنية المناظرة للبراهين الإنسانية التى سوف نناقشها هنا . وسوف يرى القارىء بدون أى عناء يذكر أن ما جاء به الفكر الإنسانى على مر حضاراته المختلفة ، يتضاءل تواضعا وهوانا إذا ما قورن بنفس هذه البراهين كما جاء بها الفكر الإلهى فى القرآن المجيد . فالفكر الإلهى يتميز بالإحاطة المدركة والغير مدركة ، أى يشمل كل من جانبى الغيب والشهادة (أى العالم الغيبى والعالم المرئى أو المشهود) ، حيث يمثل الغيب الإمتداد الطبيعى والمنطقى لعالم الشهادة ، بل والأكثر من هذا أن الغيب يمكن فى أكثر الحالات استنتاجه من عالم الشهادة مباشرة ، وهو العالم الخاضع للمشاهده المباشرة والتحقيق . وبذلك يتأكد صدقة ــ أى صدق الجانب الغيبى ــ بدون الإعتماد على مسلمات دينية خاصة قد تقضى على صفاء الرؤية المباشرة للإنسان .

وفى هذا البند سوف نتناول بالمناقشة **ثلاثة عشر حجة** أو برهانا للتدليل على " **وجود الله** " ، سبحانه وتعالى عما نحيط أو نعلم . وتناقش الست حجج أو البراهين الأولى منها مشكلة " **الوجود المتغير** " وما يتبع ذلك من " **موجد لهذا الوجود** " . وسيتم التعليق على هذه الحجج أو البراهين الستة جميعها **بآية واحدة فقط من آيات القرآن المجيد** ، لا تشمل المعنى العام لهذه الحجج ــ الستة ــ المذكورة فحسب ، بل تشمل أيضا **التنبأ** بما سوف يؤول عليه الكون فى نهاية عمرة ، وهو مالم يستطيع العلم المعاصر تحديدة حتى الآن . وربما كان القصد من هذا هو توجيه نظر علماء الفيزياء نحو مفهوم محدد لمحاولة إثباته ؛ تصديقا لقوله تعالى :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) ﴾

(القرآن المجيد : فصلت {٤١} : ٥٣)

وهذا الاقتضاب الشديد فى العرض الذى أقدمه سببه هو أننى سوف أعود مرة أخرى لمناقشة الفيزياء الكلاسيكية والفيزياء المعاصرة بشيء من التفصيل من خلال الفكر القرآنى ، فى الكتابات التالية بإذن الله . لذا فقد أرجئ الموضوع برمته إلى هذه الكتابات ، وإكتفيت هنا فقط بالإشارة بآية واحدة لما فيها من الإحاطة ما يكفى . أما الحجج السبعة الباقية ، فهى تناقش الفطرة البشرية لدى الإنسان وما تجيء به من قوانين . وسيتم مناقشتها هنا بشيء من التفصيل من خلال الفكر القرآنى .

١١. ١ ــ برهان العلة الأولى [١٠٥]

ويسمى هذا البرهان أيضا بإسم " **العلة الفاعلة** " ، أو " **حجة العلية والعلة الأولى** " ، وهذه الحجة تشبه إلى حد بعيد جدا الحجة التالية لها ، ولكن بصياغة مختلفة . ويقول هذا البرهان على وجود الله :

بأننا نجد فى عالم المحسوسات علا فاعلة متسلسلة (بمعنى أمور مترتبه على بعضها البعض) ، ولا نجد ما هو عله لذاته (أى ما هو مترتب على أمر نفسه) . ومن المستحيل صعودا إلى غير نهاية فى سلسلة من العلل الفاعلة . لذا لزم الإقرار بوجود علة أولى (أى السبب المسبب لكل هذه الأسباب) ، وهى التى يسميها الناس جميعا بإسم " الله " . وهذا هو جوهر هذه الحجة ، أو هذا البرهان . ولشرح هذا المعنى سنعرض أولا للحجة التالية ، وهى قريبة من هذا المعنى إلى حد بعيد أيضا .

١١. ٢ ــ دليل (أو برهان) أن العالم حادث ولابد له من محدث

وملخص هذا الدليل أو البرهان أن العالم بكل كائناته ، وأجسامه ، وما يشتمل عليه من أنواع الحيوان والنبات والجماد ، وجميع الأفعال والأقوال والاعتقادات كلها مخلوقة عن كائن أول . فهى حادثة بعد أن لم تكن شيئا ولا عينا ولا ذاتا . والدليل على حدوثها أنها تتغير عليها الصفات ، وتخرج من حال إلى حال .

---

[١٠٥] **العلة (فى الفلسفة) : هو أمر أول يترتب عليه أمر ثانى ، والأمر الثانى معلول له ، أى معلول للأمر الأول .**

ونحن نعرف من ظاهر الأمور أن كل حادث يوجد سبب لحدوثة . فالفعل يتعلق بفاعل ، فالكتابة تتعلق بكاتب ، والصناعة تتعلق بصانع ، .. وهكذا . ولم يحدث أن كانت هناك كتابة بغير كاتب ، ولا صناعة بغير صانع . وبما أن العالم محدث فيلزم أن يكون من فعل الصانع الذى أحدثه . وليس من صانع لهذا العالم إلا " الله " .

أما السؤال التقليدي الذى يقول به دائما الملحدين : **إذا كان الله قد خلقنا ، فمن خلق الله ..؟!** فهو سؤال غير صحيح ، لأنه لا يصح وصف " الله " بأنه " خالق " مرة ، وبأنه " مخلوق " مرة أخرى ، لأن فى هذا تناقض . فالمخلوق يستلزم الخالق لحدوثة ، بينما الخالق لا يستلزم خالقا آخر وإلا أصبح مخلوقا هو الآخر (وفى هذا تناقض فى التعريف) . فـ " الخالق " هو المحدث للوجود ، وهو لا يستلزم المحدث له ، **وإلا تعددت المحدثات وبغير نهاية** .

ويقول برتراند رسل [١٠٦] فى سيرته الذاتية [١٠٧] :

" لقد ظللت على إعتقادى فى وجود الله حتى أتممت عامى الثامن عشر ، وعندئذ قرأت فى الترجمة الذاتية التى كتبها " مل [١٠٨] " عن حياته ، هذه العبارة : " لقد علمنى أبى أن سؤالى : **من خلقنى ؟ " ليس بذى جواب** ، لأنه إذا قلنا الله ، فإنه يثير على الفور سؤالا أخر هو : **ومن خلق الله** [١٠٩] **..؟!** وفى اللحظة التى قرأت فيها تلك العبارة إستقر منى الرأى على أن **" برهان العله الأولى " على وجود الله هو برهان باطل .**

---

[١٠٦] برتراند راسل : Bertrand Russelle (Lord) (١٨٧٢ - ١٩٧٠) ، رياضى وفيلسوف إنجليزى ، وهو من معتنقى مذهب اللاأدرية (Agnosticism) . أنظر كذلك تذييل رقم ٨ السابق .

[١٠٧] " برتراند راسل " د. زكى نجيب محمود ، دار المعارف ؛ ص ١٢ - ١٨ .

[١٠٨] جون ستيوارت مل : Jhon Stewart Mill (١٨٠٦ - ١٨٧٣) ، عالم اقتصاد إنجليزى ، نادى بالحرية الفردية ودعا إلى الأخذ بمذهب المنفعة .

[١٠٩] عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق اللهُ الخلقَ ، فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله " .
وفي رواية أخرى : " يأتي الشيطانُ أحدكم فيقول من خلق كذا وكذا ؟ حتى يقول له من خلق ربَّك ؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته " . رواها جميعا الإمام مسلم .

فكما نرى أن **برتراند رسل** قد اختلط عليه أمر الخالق والمخلوق ، حيث مزج بين التعريفين . فقد اعتبر أن " الله " خالقا مرة ثم اعتبره مخلوقا مرة أخرى ، وذلك نظرا لحداثة سنه فى ذلك الوقت ، فقد كان سنه لا يتعدى الثامنة عشر من عمره ، كما ورد فى سيرته الذاتية .

وربما يوجد من يحتج على هذا ، لأن رسل كان يحتفظ بنفس هذا الفكر أثناء كتابته لمذكراته ، أى بعد وصوله إلى قمة نضجه الفكرى . ولكن لابد لنا من الأخذ فى الاعتبار ظروف البيئة المحيطة به ، والتى كانت ترفض الديانة المسيحية ، وهى التى يعتبرها برتراند رسل ــ فى نفس الوقت ــ غاية الفكر الدينى المتاح ، بمعنى إنها الديانة الوحيدة الصحيحة المتاحة لديه ، لذا فإن خبرته قد استمرت معه بنحو أو بآخر على أن تكون مزيجا بين جهل محلى بالديانات من جانب ، وديانة وثنية ــ من جانب آخر ــ يجب رفضها ، ولهذا لم يفهم معنى " الخالق " المطلق الذى ليس بعده خالق آخر . ويتأكد هذا المعنى ، الذى قلنا به ، مما كتبه استكمالا لسيرته الذاتية ، حيث يقول حول نشأته :

" ولما بلغ والدى الحادية والعشرين من عمره ، أحس فى نفسه كفرا بالمسيحية ، وأبى (أى رفض) أن يذهب إلى الكنيسة فى أيام أعياد الميلاد . وقد جعل من نفسه تلميذا لـــ "جون ستيوارت مل " الذى علمت منذ أعوام قليلة إنه كان لى أبا فى العماد " .

وأراد أبى أن أنشأ فى الفكر حرا من القيود ، وكذلك أراد لأخى ، فأقام علينا وصيين عرفا بحرية الفكر ، ولكن جدى وجدتى معا سعيا لدى المحكمة المختصة أن تغض نظرها عن وصية أبى ، فكان نصيبى أن أنشأ على العقيدة المسيحية . وانتقلت إلى منزل جدتى ، وكان ذلك فى عام ١٨٧٦ .

ويستطرد رسل فيقول ؛ كانت جدتى متزمته العقيدة ــ أى متزمته للعقيدة المسيحية ــ صارمة الأخلاق ، تزدري الترف ولا تأبه لطعام ، تمقت الخمر وتعد التدخين خطيئة ، **إلا أنها تحولت فى السبعين من عمرها إلى عقيدة " الموحدين " (أى الذين ينكرون ربوبية المسيح)** ، أى إنها كفرت هى الأخرى بالعقيدة المسيحية . ثم يضيف رسل قائلا ؛ ولما بلغت الثانية عشر ، أهدت إلى جدتى إنجيلا (ما زلت محتفظا به إلى اليوم) ، وقد كتبت على الورقة التالية لغلافه بعض ما أحبت من آيات ، ومنها :

" لا يجوز أن تتبع أكثر الناس فى فعل الشر " ومنها " كن قويا شجاعا فاضلا ، لا تخف ولا يأخذنك اليأس ، فربك المولى فى رعايتك أينما ذهبت "

فكان لهاتين الأيتين أثر عميق فى حياتى ، ولا أحسب ذلك الأثر قد أصابه الوهن حتى بعد أن أمسكت عن الإعتقاد فى الله " .

وهكذا رفض رسل " وجود الإله " من الناحية الشكلية فقط ، ولكنه فى نفس الوقت لم يستطع التخلص من فطرية وجود الله فى نفسه ، ولهذا ظل يعتقد فى : " **... ربك المولى فى رعايتك أينما ذهبت** " . وهذا هو الوعى الفطرى لدى الإنسان فى إدراك وجود الله . فهذه الفطرة ــ وليست لها عضو خاص فى الجسم ــ هى التى يستطيع بها الإنسان إدراك وجود الله ، وبدون عناء .

وكان التوقع أن يتنبه **برتراند رسل** إلى إدراك وجود مثل هذه الفطرة فى نفسه ، بل ويعتبرها ــ أى يعتبر هذه الفطرة ــ دليلا كافيا على وجود الله ، ولكنه لم يتنبه . وربما تنبه إلى هذا ، ولكنه رفض " وجود الإله " من حيث المبدأ ، لأن البدائل سوف تفرض عليه قبول صفات وثنية عن الإله ، نابعة من الفكر المسيحى ، وهو الدين الوحيد المتاح لديه والتى تعتقد بيئته فى عدم وجود غيره صحيحا .

إن الخطأ الشائع فى الفكر البشرى ــ والذى يجب التنبه إليه جيدا ــ هو الإعتقاد بأن الله نابع من الفكر الدينى ، بينما الحقيقة التى يجب أن يعيها الإنسان ، هو أن الديانة نابعه من الله ، كما وإنه ليس ثمة ــ وجود ــ علاقة ما بين إدراك وجود الله وبين المضامين الواردة بالديانة ذاتها . فإدراك وجود الله ، هى علاقة مباشرة بين الإنسان والله ، كما سبق وأن بينت ؛

فـــ " الإنسان ليس فى حاجه إلى الدين لإدراك وجود الله "

وغالبا ما تخطىء الأديان الوضعية فى تحديد ماهية الله ، وطبيعة كمالاته الإلهية . كما يمكن أن لا تقول هذه الاديان كلمة واحدة عن الإله . ولهذا أصبح صياغة التعريف الصحيح للدين أمر ضرورى وحتمى ، حتى يستطيع الإنسان أن يصحح موقفه منه .

وربما كان هذا شأن اللاأدريين ، فهم ــ جميعا ــ يدركون فطرية الله التلقائية فى أنفسهم ، ومع ذلك لا يستطيعون التوجه الصحيح إليه من خلال ديانة حقة تمنعهم من السقوط أو التردى فى مستنقع الوثنيات . وربما كان فكر اللاأدريين أقرب ما يمكن إلى فكر " **بوذا** " نفسه (مؤسس الديانة البوذية) ، وليس إلى **فكر الديانة البوذية نفسها** بعد أن **أَلَّه** الأتباع بوذا فيما بعد . فقد كان بوذا يدرك وجود الله بالفطرة هو الآخر ، ولكنه لم يكن يدرك ماهيته ، وبذلك لم يستطع الكلام عنه ، وطلب من الأتباع الإهتمام بما للإنسان ، وترك التفكير فى الله ، حيث لا سبيل إلى الوصول إليه ، كما سبق ذكره فى " بند ٧ " السابق .

وننتقل الآن إلى إستكمال سرد باقى الأدلة والبراهين الدالة على " وجود الله " ، وهى كما سبق وأن ذكرت لم تخرج عن المنطوق العام الذى يقول بأن " **طالما أن الوجود متغير وغير ثابت ، فلابد له من موجد ، وهذا الموجد هو الله** " . وسنكتفى بالتعليق على بعض هذه الأدلة نظرا لصراحة ووضوح العناوين الدالة عليها بدرجة لا تحتاج إلى شرح آخر .

١١. ٣ ــ حجة أو دليل أن للعالم أول

١١. ٤ ــ حجة أو دليل أن للعالم صانع

١١. ٥ ــ دليل أن الإنسان أكبر حجة على وجود الله

وجميع هذه الأدلة الخمسة السابقة لم تخرج عن وصف بعض مفردات الوجود ، بصياغات مختلفة .

١١. ٦ ــ حجة أو دليل الحركة والمحرك الأول

وفى هذا الدليل أو الحجة يقول الإنسان ، يتبين لنا مما نشاهده بالتجربه فى مجال الفيزياء العامة ، أن كل متحرك له محركه إلى أن نصل بالضرورة إلى محرك أول لا يحركه محرك آخر ، وهذا المحرك الأول هو " الله " .

وقد يحتج على هذا بعض الفيزيائيين ، حيث يقولون بأن " قانون نيوتن الأول " **يسوى بين الحركة المنتظمة فى خط مستقيم وبين السكون** . وليس هذا فحسب ، بل يذهبون إلى أبعد من

هذا ويقولون ليس هناك خطوط مستقيمة فى الفضاء ذو الأربعة أبعاد ، والذى يمثل متصل الفضاء والزمن معا . وفى هذه الحالة فإن القانون السائد هو " **مبدأ أقل فعل : Principle of Least Action** " . وبموجب هذا المبدأ فإن الجسم لا يتحرك فى الفراغ على خط مستقيم ، بل يتحرك على خطوط منحنية تعرف بإسم " **الخطوط الجيوديسية Geodesic lines** [١١٠] " ، والرد على ذلك ببساطة شديدة هو : أن حركة الكواكب أو النجوم المزدوجة أو المجرات (فى تمدد الكون) حتى وإن انتهت إلى هذه الخطوط الجيوديسية ، فلابد وأنها قد بدأت حركتها تحت تأثير قوة محركة أولى هى التى سببت لها هذه الحركة . وما " **نظرية الإنفجار الكبير : The Big Bang Theory** " ، والتى تلقى قبولا ــ الآن ــ فى الأوساط العلمية حول نشأة الكون ، إلا خير دليل على هذا المحدث لهذه الحركة أى وجود المحرك الأول ، الذى سبب هذا الإنفجار الكبير .. وحرك تمدد الكون .

وقبل أن نتعرض هنا إلى الفكر القرآنى المناظر للبراهين السابقة ، لابد لنا وأن **نعرض باختصار شديد لنشأة الكون من خلال الفكر المعاصر .**

فنقول لقد أصبح من المقبول علميا الآن أن الكون قد نشأ من إنفجار **نقطة متفردة أو شاذة (Singular point)** [١١١] ، وهى نقطة يستحيل تخيلها أو التكهن بطبيعتها . ولكن يتفق العلماء على أنها نقطة لانهائية فى الصغر ، أى لا حجم لها على الإطلاق ، وبالتالى فإن إنحنائها يكون لانهائيا (وهذا يعنى رياضيا أن نصف قطرها صفر) ، ودرجة حرارتها لانهائية ، كما وإنها تحوى مادة كثافتها لانهائية أيضا . وتحتوى هذه النقطة الشاذة على كل شىء فى هذا الكون .. المادة ، الطاقة ، وحتى الفضاء والزمن نفسهما ..!!

---

[١١٠] الخط الجيوديسى Geodesic line ؛ هو أقصر خط (أو منحنى) يصل بين نقطتين على سطح منحنى أو فى فراغ منحنى رباعى أو متعدد الأبعاد .

[١١١] وتعريف النقطة المتفردة أو الشاذة على حسب النموذج القياسى لميكانيكا الكم ؛ هى النقطة التى تحوى مادة ذات كثافة لانهائية ، وإنحنائها لانهائى (أى نصف قطرها صفر) ، ودرجة حرارتها لانهائية . وهذه النقطة هى النقطة التى بدأ بها الكون (أى عند الزمن صفر بالتعريف) .

According to the standard model , at the time zero (by definition) the universe had an infinite matter density , infinite curvature and infinite temperature . A state known as Singularity .

لمزيد من التفاصيل أنظر : [" الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى " لنفس مؤلف هذا الكتاب] .

ولا يعرف العلماء : لماذا ظهرت هذه النقطة الشاذة ؟! ولا من أين أتت ؟! ومن الذى سبب إنفجارها ؟! فى صورة هذا الإنفجار الكبير (The Big Bang) منذ حوالى (١٤ أو ١٣,٧) بليون سنة مضت (البليون هو ألف مليون ، أى واحد وأمامه تسعة أصفار) . كما لا يعرف العلماء ما إذا كان يوجد " شىء ما " قبل حدوث هذا الإنفجار أم لا ، أو حتى هل يوجد معنى لكلمة " قبل " ، أي قبل أن يحدث هذا الإنفجار الكبير أم لا . ويقف خلف **نظرية الإنفجار الكبير** ثلاث مشاهدات وقياسات كونية أساسية هى :

- **أولا ؛ تمدد الكون** : فقد اكتشف الفلكى الأمريكى : **إدوين هوبل Edwin Hubble** ، فى سنة ١٩٢٤ أن الكون آخذ فى التمدد ، وكان ذلك عندما لاحظ هوبل أنه يوجد إزاحة فى خطوط طيف المجرات فى إتجاه اللون الأحمر ، وهذا يعنى بإستخدام ظاهرة دوبلر (Doppler Effect) أن هذه المجرات تتحرك متباعدة عنا وعن بعضها البعض . تماما كما تتطاير الشظايا متباعدة عن بعضها البعض من القنبلة بعد لحظة إنفجارها .

- **ثانيا** : درجة حرارة الفضاء الخارجى ؛ فقد وجد أنه يساوى ثلاث درجات كالفنية (أى يساي -٢٧٠ درجة مئوية) وليس صفرا مطلقا (أى ــ٢٧٣ درجة مئوية) ، وهو ما يعرف بإسم : " **الخلفية الكونية للموجات المتناهية فى الصغر : Cosmic microwave background** " . وقد سبق حساب هذه الدرجة من قبل ــ بطريقة نظرية بحته ــ لما سوف تؤول إليه درجة حرارة الكون منذ بدء الإنفجار الكبير وحتى الآن ؛ أى بعد حوالى (١٤) بليون سنة تقريبا من بدء التمدد والانتشار فى الفضاء المطلق . وقد تم اكتشاف هذه الدرجة ــ **مصادفة** ــ فى سنة ١٩٦٤ ، كل من د. روبرت ولسن (**Robert W. Wilson**) ، وأرنو بنزياس (**Arno A . Penzias**) ، من معامل تليفونات بل (فى أثناء بحثهم عن أسباب التشويش الذى يحدث عند إجراء الإتصالات مع الأقمار الصناعية) وقد منحا ــ عن هذا الاكتشاف ــ جائزة نوبل فى الفيزياء فى عام ١٩٧٨ .

- **ثالثا : وفرة العناصر الخفيفة في الكون** على حسب القياسات والمشاهدات الكونية ؛ **مثل الهيدروجين والهيليوم** .. حيث اعتبرت هذه الوفرة تدعيم لنموذج الإنفجار الكبير .

وننوه هنا بأنه لا توجد نظرية علمية كاملة على نحو مطلق ، ففى كل نظرية علمية توجد مساحة ، وإن كانت صغيرة ، للشك . وبديهى أن نظرية الإنفجار الكبير ليست مستثناه من هذا

الفكر العام . لذا فإن هذه النظرية قد واجهتها أربع مشاكل رئيسية ، حل بعضها وما زال البعض الأخر قائما بلا حل ، وهذه **المشاكل الأربعة هى :**

١. **المشكلة الأولى : هى ندرة وجود " المادة المضادة : Anti-Matter " فى الكون** [١١٢] ، ونعنى بهذا أن جميع القياسات المتاحة قد دلت على أن كمية المادة المضادة ، أقل بكثير من كمية المادة العادية أى المادة المألوفة لدينا .
٢. **المشكلة الثانية : هى كيفية حدوث أو تكون المجرات .**
٣. **المشكلة الثالثة : وتسمى مشكلة الأفق ، وهى تعنى تساوى خواص الفضاء على الرغم من** وجود مركز لإنفجار الكون .
٤. **المشكلة الرابعة : هى مشكلة تسطيح الكون .**

وقد تم حل الثلاث مشاكل الأولى على وجه تقريبى بإستخدام ميكانيكا الكم ، وسنعود إلى هذه الحلول بالتفصيل فى كتابات تالية إن شاء الله . أما **المشكلة الرابعة** ؛ **وهى مشكلة تسطيح** الكون ، فهى تعنى أنه يوجد ثلاث إحتمالات لمصير الكون الحالى :

وأول هذه الإحتمالات : هو أن يظل الكون يتمدد إلى الأبد على النحو الذى نراه عليه الآن ، ويعرف الكون فى هذه الحالة بأنه : **" كون مفتوح : Open Universe "** . وبديهى سوف تبرد النجوم والمجرات ثم ينتهى الكون إلى **الموت الحرارى فى فضاء مطلق لانهائى .**

وثانى هذه الإحتمالات : هو أن يبطئ هذا التمدد إلى أن يتوقف عند حجم ما ، ويسمى الكون فى هذه الحالة بأنه : **" كون مسطح : Flat Universe "** . وبديهى سوف تبرد النجوم فى هذه الحالة أيضا ثم ينتهى الكون **بالموت الحرارى** ــ كما فى الحالة السابقة ــ فى هذا الفضاء المطلق اللانهائى .

---

[١١٢] **المادة المضادة : هى المادة التى إذا تقابلت مع المادة العادية فإنهما يحدثان فناءا كاملا لبعضهما البعض ويتحرر من جراء ذلك كمية هائلة من الطاقة . وتتكون المادة المضادة من برتونات ذات شحنات سالبة (بدلا من الشحنات الموجبة فى المادة العادية) ، وتدور حولها إلكترونات موجبة الشحنة تعرف بإسم " البوزيترونات " (وذلك بدلا من الإلكترونات السالبة فى المادة العادية) . كما تحوى النواة أيضا على النيوترون المضاد ، أى النيوترون المضاد للنيوترون الموجود فى المادة العادية ؛ حيث وجد لكل جسيم أولى جسيم مضاد له .**

أما الإحتمال الثالث : فهو أن يبطىء الكون تمدده بفعل الجاذبية العامة إلى أن يتوقف عند حجم ما ، ثم يعود مرة أخرى إلى التقلص والإنكماش ، إلى أن ينتهى أمرة إلى النقطة الشاذة مرة أخرى ، وهو ما يعرف بإسم " **الإنسحاق العظيم : The Big Crunch** " . ويسمى الكون فى هذه الحالة بأنه : " **كون مغلق : Closed Universe** " . وقد تنفجر النقطة الشاذة النهائية ، لإعادة الدورة مرة أخرى أو قد لا تنفجر ، فهذه أمور لا يمكن التكهن بها نظريا ، على الأقل الآن . ولا يغير من هذا الاحتمال تمدد الكون بعجلة تزايدية ، فبعد نفاذ الطاقة المظلمة (٧٤%) من كتلة الكون يمكن أن ينغلق الكون (أنظر تذييل ١١٣ التالي) .

والإحتمالان الأول والثالث السابقان يشبهان إلى حد كبير ؛ بالذى يلقى بكرة إلى أعلى ، فإن كانت سرعتها كبيرة بدرجة كافية فإنها سوف تترك الأرض وتسبح فى الفضاء الخارجى بلا عودة . أما إن كانت سرعتها بطيئة فإنها سوف تتوقف عند إرتفاع معين ، ثم سوف تعود للرجوع مرة أخرى إلى الأرض . وفى الواقع ؛ إن حدوث واحد من الإحتمالات السابقة ، مرتبط إرتباطا مباشرا بكمية المادة الموجودة فى الكون . فإذا كان بالكون كمية كافية من المادة ، فإن الكون سوف ينتهى إلى الإحتمال الثالث .

وعموما ، فإن حل هذه المشكلة مرتبط بالقياسات والأرصاد الفلكية التى يمكن عملها لحساب متوسط كثافة المادة الموجودة فى الفضاء الكونى بدقة كافية . وكان يمكن إجراء هذا العمل ــ على مافيه من صعوبة بالغة ــ إذا ما كانت كل المادة الموجودة بالكون هى مادة مرئية على نحو النجوم والمجرات التى يمكن رصدها . ولكن ــ فى الواقع ــ يوجد هناك نسبة كبيرة ولا يستهان بها من " **المادة المظلمة : The Dark Matter** " [١١٣] ، والتى لا يمكن رصدها بالمناظير الفلكية بشكل مباشر ، ولكن يمكن إدراك وجودها من تأثيراتها المختلفة ،

---

١١٣ تشير القياسات الحالية إلى أن الكون يتكون من : (٤ %) من المادة العادية .. أي المادة المرئية ، و (٢٢ %) من المادة المظلمة ، و (٧٤%) من الطاقة المظلمة . وتعتبر المادة غير المرئية مادة مظلمة .. مثل المجرات المظلمة والغبار الكوني ، والكواكب والثقوب السوداء ، حيث توجد دلائل تشير إلى أن عدد الثقوب السوداء فى مجرتنا (الطريق اللبنى) أكبر من عدد النجوم المرئية فيها (والذى يبلغ عددها حوالى مئة ألف مليون نجم تقريبا) . والدليل على ذلك أن الجاذبية الخارجية لمثل هذا العدد الكبير من الثقوب السوداء ، قد يفسر لنا لماذا تدور مجرتنا بالمعدل الذى تدور به الآن ، حيث أن كتلة النجوم المرئية لا تكفى لإحداث هذا الدوران بمثل هذا المعدل . كما يوجد دلائل على وجود ثقب أسود فى مركز مجرتنا كتلته تعادل مئة ألف مرة كتلة الشمس ، ويعتقد أيضا فى وجود ثقوبا سوداء ذات كتل كبيرة جدا تبلغ حوالى مئة مليون مرة كتلة الشمس فى مراكز الكوازارات (جمع كوازار: Quasar) ، وهى الأجسام شبه السماوية والموجودة فى أعماق الفضاء السحيق لهذا الكون . لمزيد من التفاصيل العلمية أنظر : " الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

ومنها التأثيرات الجذبية على المادة النجمية التى يمكن رصدها بشكل مباشر . ولم يصل العلماء حتى الآن ، إلى نتيجة قاطعة حول هذه القياسات لتقدير متوسط كثافة المادة [١١٤] الموجودة بالكون .

وجملة القول أن جميع الحسابات ، والقياسات والأرصاد التى تمت ــ حتى الآن ــ قد بينت أن **كتلة الكون تقع مابين واحد من مائه (١٠٠و٠) ، وعشر (١٠) مرات الكتله الحرجة ، وهى الكتلة اللازمه لجعل الكون يتوقف عن التمدد** . وبالتالى لا يعرف العلماء ، على وجه التحديد ما إذا كان الكون " مفتوحا " أو " مسطحا " أو " مغلقا " (أى سوف يعود مرة أخرى لحالة التقلص ، ثم ينغلق على نفسه حتى يصل إلى النقطة الشاذة مرة أخرى فى النهاية) على النحو السابق ذكره .

والآن ، وبعد هذه المقدمة عن مشكلة تسطيح الكون ، يمكننا أن نتناول وجهة نظر الفكر القرآنى لهذه البراهين الستة السابقة ، فى آية واحدة فقط . والآية لا تقول بخلق هذا الوجود الكونى فحسب ، بل تعطينا ما سيؤول إليه الكون من تسطيح ، وهى المشكلة التى لم يستطع الإنسان الفصل فيها حتى الآن على الرغم من التقدم العلمى الهائل الذى نعاصره .

ويقرر القرآن المجيد بأن الكون المخلوق هو " **كون مغلق** " ، بمعنى أن التمدد الكونى الذى نراه الآن سوف يتوقف فى يوم ما ، ثم يعود الكون للإنكماش مرة أخرى ، وينغلق على نفسة ، كما جاء فى قوله تعالى فى قرآنه المجيد :

﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٤) ﴾

(القرآن المجيد : الأنبياء {٢١} : ١٠٤)

[طوى (الشىء) : ضم بعضه على بعض ، وطوى بمعنى ضمر وتقلص وإنكمش / والسماء [١١٥] : معناها الكون المادى الذى نحيا فيه ، وأشدد هنا على أن " الطي" يحدث بالقدرة الإلهية .. وقد لا يستلزم هذا زمنا ما .]

---

[١١٤] **القيمة التقديرية لمتوسط كثافة الكون هي : (١٠ x ١٨ – ٤,٥ $^{-٣٠}$ gram/cm^{٣}) ، أي بمعدل ٣ ذرات أيدروجين في كل متر مكعب . وعموما هي أرقام غير مؤكدة في جميع الأحوال ..!!**

وهذه الآية صريحة الدلالة حول معنى أن الكون سوف ينغلق على نفسه في وقت ما ، ولا تناقض هنا إذا قلنا ــ كما سنرى ــ أن الكون يتمدد بعجلة تزايدية لأن " **الطي** " ــ هنا ــ قد يحدث بطريقتين : الأولى قد يحدث بعد الموت الحراري للكون وانتهاء الطاقة الموجودة بالكون والتي تمثل (حوالي ٧٤ %) من كتلة الكون ، بشكل مباشر بالقدرة الإلهية وقد لا يستلزم هذا وقت ما ، تماما مثل بداية خلق الكون ، فقد يحدث هذا " **الطي** " في نهاية زمان الكون .. أي في وقت قيام القيامة . والتشبيه الوارد فى هذه الآية الكريمة له دلالة كونية فى غاية من العمق . فهو يرد التفاصيل ، أو التنوع الهائل وغير المتناهى فى الخلق ، إلى الجسيمات الأولية الأساسية التى يتكون منها هذه التفاصيل . تماما كما يضم فهرس المكتبه العامة عناوين الكتب التى تحتوى على التفاصيل المتنوعه لهذه العناوين .

وقد ينتاب الفزع بعض علماء تفسير القرآن لهذه المجازفة العلمية ، إذ ماذا يمكن أن يطرح الموقف إذا ما ثبت بعكس هذه النبوءة العلمية . ولى أن أدافع عن هذا التفسير بالحجج الخمس التالية :

أولا : كما سبق وأن بينت ، أن العلم هو أحد المضامين الجزئية من القضية الدينية القابلة للملاحظة والتحقيق . لذا فالعلم من وجهة نظر الفكر الإلهى أو الفكر القرآنى ، هو تجربة معملية يجريها الإنسان للتثبت من صحة وصدق القضية الدينية .

ثانيا : لقد إعتاد علماء التفسير بألا يزجوا بالمعانى القرآنية فى القضايا العلمية ، إلا بعد التثبت من الظاهرة الدالة على المعنى القرآنى ، وعند ذلك يقبلوا بالفكر القائل بهذا التفسير . وبهذا المفهوم نجد علماء التفسير قد فوتوا فرصا كثيرة على البشرية حتى الآن . لأن عليهم أن يقوموا بالإنتظار الطويل حتى يتم التقدم العلمى ، ثم يشيروا ــ بعد ذلك ــ إلى وجود هذا التقدم العلمى فى القرآن المجيد . وبهذا يسبغوا الدور السلبى على القرآن ، فى مجال تقدم العلوم بصفة عامة . وأنا أعتقد أن هذه خسارة كبيرة قد فقدتها البشرية نفسها من جانب ، كما وإن هذا المفهوم يتناقض مع الفكر الإلهى المحيط الوارد بالقرآن المجيد من جانب آخر ؛ كما جاء فى قوله تعالى :

---

١١٥ سنعود إلى معنى السماوات ، فى النموذج القرآنى للكون ــ أى كوننا هذا ــ والأكوان الموازية له فى : " الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

obeikandl.com

﴿ ... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩) ﴾

(القرآن المجيد : النحل {١٦} : ٨٩)

[ونزلنا عليك : يا محمد / الكتاب : القرآن المجيد / تبيانا لكل شيء : لبيان كل شيء فى هذا الوجود]

فالقرآن يموج بالنبوءات العلمية شديدة الوضوح ، ومع ذلك فقد تردد المفسرون السابقون فى الخوض فى تأويل مثل هذه النبوءات مما أساء إلى القرآن المجيد نفسه ، وأضاع كثير من المجهود على البشرية نفسها كذلك ، ومن أهمها إقامة الدليل والحجة الدامغة على صحة القرآن المجيد ، وبالتالى إقامة الدليل على صحة القضية الدينية .

ولم تخطىء أى نبوءة علمية للقرآن المجيد من قبل ، حتى تخطىء من بعد . وسنأتى إلى شرح هذا المعنى فى الكتاب التالى إن شاء الله . ولكن سنعرض هنا لمثال واحد فقط لأحد القضايا العلمية الهامة ، وهى قضية تاريخ حياة الأرض . فقد قام القرآن المجيد ــ منذ خمسة عشر قرنا ــ بتأريخ لحياة الأرض فى عشرة كلمات فقط على النحو التالى ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) ﴾

(القرآن المجيد : النازعات {٧٩} : ٣٠ – ٣٢)

[الأدحوة : موضع بيض النعامة وتفريخة ، والدحية : هى بيضة النعام ، كما يقال أيضا (دحا) الشيء أى بسطه ، فكلمة (دحاها) تعنى البسط والتكوير معا]

وهنا نجد أن القرآن المجيد قد قال بمراحل تكون الأرض التى تتلخص فى الآتى : التكوين البيضاوى لها ، ثم ظهور الماء على سطحها ، ثم تكون المملكة النباتية وهى المملكة اللازمة لظهور المملكة الحيوانية ، ثم أخيرا قال بعملية تكون سلسلة الجبال والتى مازالت خاضعة للتغييرات التكوينية كناتج طبيعى للزلازل والبراكين والتى تحدث حتى الآن . وتفيد جملة (**والجبال أرساها**) ، إلى معنى سيولة باطن الأرض ، فالرسو كلمة تستخدم للسفن ، أى الطفو فوق سطح مائع . وبهذا المعنى ترسو الجبال على سطح مائع من جانب ، وتكون أيضا قابلة أيضا للتحرك أو حتى الإختفاء (الغرق) من جانب آخر . وهذا ما يحدث على وجه التخصيص فى ظواهر الزلازل والبراكين ، وما يتبعها من تكون جبال جديدة أو إختفائها .

والقارىء لتاريخ حياة الأرض ، يجد أن ما تم ذكره هو ملخص دقيق لتاريخ حياة الأرض وكيفية تكونها . فبعد ما تكورت الأرض وأخذت شكلها البيضاوى [١١٦] وبردت قليلا ، أصبح يلفها الماء فى صورة سحب من الماء تغلف الكرة الأرضية بالكامل . وبعد أن بردت أكثر ، تكاثفت هذه السحب ونزل الماء إلى سطح الأرض . ثم بعد ذلك ظهرت المملكة النباتية على الأرض ، وهى المملكة اللازمة لظهور المملكة الحيوانية التى سوف تحيا عليها . أما عملية تكون الجبال فهى آخر ما ظهر على سطح الأرض ، ومازالت مستمرة الجبال فى التكون إلى الآن ، طالما أن باطن الأرض ملتهب وقابل للبرودة وبالتالى للإنكماش ، وما ينتج عن هذه الإستمرارية من زلازل وبراكين .

والآن ؛ فماذا لو اجتهد المفسرون الأوائل ، وقالوا بهذا العلم من خمسة عشر قرنا أو حتى عشرة قرون من قبل ، أليس كان فى هذا إدخار للجهد البشرى ، ومعاناة البشرية فى إثبات ذلك على مر القرون السابقة .

ثالثا : بديهى طالما أن القرآن المجيد قد أخبر عن الشكل النهائى للكون ، فلابد له وأن يخبر أيضا عن بدايته وشكله الحالي . أى يخبر عن طبيعة خلق الكون وتمدده (بمعنى الإخبار عن تمدد الكون) ، وهذا هو الحادث فعلا ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْـدٍ وَإِنـَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) ﴾

(القرآن المجيد : الذاريات {٥١} : ٤٧)

[والسماء : معناها ــ هنا ــ الكون المادى بكامله كما سبق ذكره / بأيد : رمز للقوة والشدة ، وتشير هذه الكلمة إلى الوحدانية والتفرد فى القيام بالخلق بدون معاونة / موسعون : أى أن سعة الكون أخذة فى الإزدياد ، فعندما يقال إزداد الإناء سعة ، فمعناها إزداد حجم الإناء ، وكلمة " أيد " هنا ، تشير إلى الإزدياد المتسارع للكون ، أي بعجلة تزايدية]

---

[١١٦] نصف قطر الأرض الإستوائى (Equatorial Radius) هو ٦٣٧٨ كيلومتر ؛ بينما نصف القطر القطبى (Polar Radius) هو ٦٣٥٧ كيلومتر ؛ أى أن الفرق بين نصفى القطر هو ٢١ كيلومتر . وقد قام الفلكيون العرب في عهد الخليفة المأمون (سنة ٨٣٠ م) بقياس محيط الكرة الأرضية فوجدوه (٤٠,٢٤٨) كيلومترا ، وهي قيمة قريبة جدا من القيمة الحديثة وهي (٤٠,٠٥٤) كيلومترا . هذا مع ملاحظة أن رحلة : " فرديناند ماجلان : Ferdinand Magellan " حول الارض والتي قطعت بكرويتها كانت في القرن السادس عشر ، في الفترة من (١٥١٩ – ١٥٢٢ م) ، أي بعد حوالي سبعة قرون من تقدير المسلمين لمحيط الأرض .

فالآية شديدة الوضوح والدلالة على خلق الكون وإن حجمه يزداد على نحو مستمر (وليس من الضروري أن يكون بدأ بنقطة شاذة على النحو السابق ذكره) . فقوله تعالى ﴿ ... وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ تعنى الإستمرارية فى إزدياد سعة الكون أى إزدياد حجمه ، أى أن الكون يتمدد على نحو مستمر (بعجلة تزايدية ، وهو ما تم اكتشافه أخيرا مع بداية القرن الواحد والعشرين) ، ولكن الاستمرار في التوسع موقوت بزمن محدد .

رابعا : أن البرهان العلمى على صحة القرآن المجيد سيأتى من أعماق الكون ، وفي خلق الإنسان ، كما يقرر بهذا ، المولى عز وجل فى قوله تعالى :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) ﴾

(القرآن المجيد : فصلت {٤١} : ٥٣)

والآفاق هى المتناهى الكونى ، أو المتناهى الزمانى والمكانى (لاحظ عند رصد أحد النجوم أو المجرات فإننا نعود بالزمن إلى الوراء أيضا ، أى إننا نرصد المكان والزمان معا) .

وربما تكون " **المادة المظلمة : The dark matter** " هى أحد هذا التناهى الكونى . إذ أن إكتشاف كمية هذه المادة بدقة كافية فى الكون ، هى التى سوف تحدد ما سوف يؤول إليه الشكل النهائى للكون ، أى هو **كون مفتوح** ، أو **كون مسطح** ، أو **كون مغلق** ، كما سبق شرح ذلك .

خامسا : أن من حق كل ذي العلم الإجتهاد فى التأويل (أى جوازا الإجتهاد فى التفسير) ، إستجابة لقوله تعالى :

﴿ ... وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ (٧) ﴾

(القرآن المجيد : آل عمران {٣} : ٧)

[الراسخون فى العلم : هم العلماء الذين أتقنوا علمهم وحفظوه حفظا لا يداخلهم فيه شك / كل من عند ربنا : أى الآيات القرآنية على وجه مطلق ، المحكم منها والمتشابه هى من عند الله عز وجل / أولوا الألباب : أى ذوو العقول والفكر . وهناك اختلاف على الوقفات عند قراءة هذه الآية الكريمة . فبعض العلماء يقولون بأن الوقفة تجب بعد "... إلا الله ... " ، وهو ما يعنى بأن " الله "

فقط هو الذى يعلم تأويل القرآن المجيد . بينما يرى البعض الآخر بأن الوقفه واجبة بعد " ... الله والراسخون فى العلم ... " ، وهو ما يعنى بأن " الله والراسخون فى العلم " يعلمون بتأويل القرآن المجيد .

وعموما فإن الكاتب يميل إلى الأخذ بالرأى الأخير ؛ لأن الرأى الأول يعنى بأن تأويل القرآن لا يعلمه إلا الله فقط ، وهو ما يعنى بأن القرآن يصبح ــ بهذا المعنى ــ غيبا يستغلق فهمه على الإنسان ، وهو ما يتنافى مع وضوح جوهر التكليف والدراية بمعرفة الغايات من الخلق . وليس فى الرأى الثانى تناقضا ما ... بين ما هو بشرى وبين ما هو إلهى ؛ إذا ما أخذ فى الإعتبار أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ يعلم تأويل القرآن على نحو مطلق ، بينما الراسخون فى العلم يعلمون هذا التأويل على نحو جزئى ونسبى ومحدود . وعموما ؛ فإن الإجتهاد فى تأويل القرآن يستلزم رحلة علم مسبقة كضرورة أساسية حتى يصبح القائل بالتأويل من " الراسخون فى العلم " .]

وعلى هذا ؛ فإن إجتهد العالم وأصاب فله أجران ، هما أجر الإجتهاد وأجر الإصابة . وإن إجتهد وأخطأ فله أجر واحد ، هو أجر الإجتهاد ، كما قال بهذا رسول الله (ﷺ) .

سادسا : أن التفسير ــ أو التأويل ــ لا يفرض نفسه على النص القرآني ، فنحن نؤول أو نفسر بما نعلم وبما هو متاح من علم في هذه الفترة الزمنية ، فإن أصبنا فخيرا ، وإن لم نصب فإن علمنا لم يبلغ بعد ــ من النضوج ــ ما يكفي لنبلغ به علم الآية الكريمة .. ولا علاقة لها بما فهمنا أو لم نفهم .. فعلمها النهائي لا يعلمه إلا الله .. وسنبلغه في نهاية حضاراتنا أو في نهاية حياتنا .. كما جاء في قوله تعالى ..

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ (٥٣) ﴾

(القرآن المجيد : الأعراف {٧} : ٥٣)

١١. ٧ ــ البرهان الأخلاقى (أو الفطرة الأخلاقية)

بديهى أن القول بأن " **الأخلاق تخضع لمعايير المنفعه الفردية** " هو قول باطل تماما ، فإننا نستطيع أن نتصور مواقف كثيرة يكون فيها : الظلم والكذب هى المعايير النفعية للأفراد . وأمثلة هذا كثيرة ؛ منها على سبيل المثال ، الأنظمة الدكتاتورية المبنية على حكم الفرد ، والسلوك الإجرامى للأفراد ، ففى عالم الجريمة نجد أن القانون النفعى السائد هو " **اللاأخلاق أو عدم الأخلاق هى التى تحكم المعايير النفعية لهذه الفئة** " .

فطبقا لأحد تقارير [١١٧] بوليس شيكاغو (بالولايات المتحدة الأمريكية) ، أن أكثر من ٩٠ % من جرائم السطو لم يتم التوصل إلى مرتكبيها ، ويقول علماء الجريمة ، إن المجرمين الأمريكيين ينتهبون ملايين الدولارات ويتمتعون بغنائمهم عادة بلا وازع من ضمير . ويضيفوا إلى أن الجريمة تكون مربحة على الأخص بالنسبة لأولئك الذين يشرفون على تنظيمها ، ولا يقومون بإرتكابها بأنفسهم مثل عصابات المافيا ، وغيرها من العصابات الإجرامية . وقد أكد أحد علماء الجريمة الأمريكيين بأنه ، كلما زاد الربح من وراء جريمة قتل ما ، كلما قلت الفرصة للقبض على المجرم ومعاقبته . فالجريمة إذن ، أصبحت علما ودراسة ، وتخضع لمقاييس السوق التجارى .

وإذا اتجهنا إلى القول بأن " **الأخلاق تتفق مع المصلحة المشتركة للمجتمع** " ، نجد أن هذا القول هو قول باطل كذلك ، لأنه قد تتفق المصالح المشتركة على إبادة جنس ما . والأمثلة الدالة على هذا كثيرة ، فعلى سبيل المثال ؛ نجد أن الأسبان قد قاموا بإبادة الهنود الحمر فى المكسيك ، كما نجد أن المستوطنين البيض قاموا بإبادة منظمة لسكان أمريكا الشمالية من الهنود أيضا [١١٨] . فبديهى إن مثل هذا السلوك لا يتفق والأخلاق على نحو أو آخر .

فبديهى أن المصلحة المشتركة لتلك المجتمعات من الأسبان ، والمستوطنين البيض لأمريكا الشمالية ، **كانت تتسم بالوحشية واللاأخلاقيات اللامتناهية معا** . فقد اغتصبوا الأرض ، ولم يكتفوا بهذا ، بل أبادوا أهلها أيضا . وقل ما شئت فى هذا المضمار عن الحروب العدوانية ، واستعمار الدول الضعيفة ، واضطهاد الأقليات .. وخلافه .

وبهذا ننتهى إلى أن " **الأخلاق** " لا يمكن أن تنسب إلى " **المنفعة الشخصية** " ، ولا إلى " **السلوك الإجتماعى للأفراد** " ، فكلاهما قد يفقدا الغاية أو الهدف عندما لا تتفق الأخلاق مع أهواء أو رغبات الأفراد فى تحقيق منفعة ما . وعلى ذلك فينبغى أن تنسب الأخلاق إلى وجود

---

[١١٧] " الإسلام بين الشرق والغرب " على عزت بيوجوفيتش ، الناشر مؤسسة بافاريا ، ص: ٢٠٢.

[١١٨] **تقول التقديرات الإحصائية ؛ بأنه قد تم إبادة أكثر من مائة مليون هندى أحمر فى أمريكا ، كما تم خطف ١٥ مليون أفريقى وترحيلهم عبر البحار للعمل كعبيد فى الحقول والمصانع . والأرقام هنا غير دقيقة ، حيث تقول " موسوعة كتاب العالم : The World Book Encyclopedia " لعام ١٩٩٥ (ج ١٠ ، ص : ١٨٣) ؛ بعد أن كسب الرجل الأبيض حربه مع الهنود غالبا ما أعاد كتابة التاريخ بما يتناسب مع وجهة نظره ومصالحه (وهو ما يعنى إخفاء الأرقام الحقيقية) .**

مطلق متعال ، ومتعلق بالتركيب الفطرى للإنسان ، وأن " الخالق " ــ سبحانه وتعالى ــ هو الذى قام بتركيب هذا الجانب الأخلاقى فى الإنسان .

وعلى الرغم من وضوح هذا الفكر ، كما إنه لا يحتاج إلى فلسفة خاصة أو خلافه ، إلا إننا نجد أن الفيلسوف الألمانى **كانط** [١١٩] ؛ كان يعتبر أن " **البرهان الأخلاقى** " هو أكبر حجة على إثبات الألوهية . حيث انتهى " كانط " فى أعوامه الأخيرة إلى أن :

" مفهوم " الله " لا ينتمى أصلا إلى الفيزياء أو إلى العقل النظرى ، بل إلى الأخلاق [١٢٠] **"**

وذلك بدعوى أن الإستقراء أو الخبرة اليومية تبين لنا أن الأخلاق موجودة عند كل الناس ، وإننا نفضل أخلاقيا أن نفعل ما قد لا تكون فيه مصلحة لنا ، أو ما قد يتعارض مع مصالحنا ، وكأن هناك قوة تأمرنا بما ينبغى أن نفعله أخلاقيا . فنفعل هذا ونترك هذا ، حتى وإن كان فيه ضرر مادى ما علينا ، أو ليس فيه مصلحة مباشرة لنا . وإنما تربط ــ هذا الأمر ــ الإرادة فينا بالقانون الأخلاقى الكلى ، بحيث إذا فعلنا ، فإن فعلنا على المستوى الأخلاقى ينبغى أن يتوجه لمصلحة المجتمع ، والأفضل من ذلك أن يكون لمصلحة الإنسانية كلها . فالقانون الأخلاقى هو قانون صالح لكل الناس ، وليس لفئة بعينها دون غيرها ، وبالتالى لا يمكن أن تكون الأخلاق مصدرها الواقع ، فالواقع سئ ومضطرب ، ومتغير ونسبى وموجه ؛ بينما الأخلاق ثابتة وموحدة ومطلقة ؛ **وهذا يؤكد أن وجودها فى العقل الإنسانى هو " وجود قبلى " ، أو بمعنى آخر هو " وجود فطرى (By Default) " .**

وهذا هو ملخص البرهان الأخلاقى كما جاء به **عمانويل كانط** ، أحد أعظم الفلاسفة فى جميع العصور ، أو غاية الفكر البشرى ، وهو كما نرى لم يتعد الرؤية المحلية لواقع موجود فعلا .. فهو يبرهن على وجود الله من واقع وجود هذا القانون ــ أو الفطرة الأخلاقية ــ فحسب ..

﴿ ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ العِلْمِ ... (٣٠) ﴾

(القرآن المجيد : النجم {٥٣} : ٣٠)

---

[١١٩] **عمانويل كانط : Immanuel Kant (١٧٢٤ - ١٨٠٤) فيلسوف ألمانى ، يعتبر أحد عظماء الفلاسفة فى جميع العصور .**

[١٢٠] **" الله ــ فى الفلسفة الحديثة " ، جيمس كولنز ، ترجمة فؤاد كامل . مكتبة غريب . ص : ٢٧٦ .**

ولنا هنا الحق ــ الآن ــ فى أن نضيف هذا التساؤل .. ولماذا ركب هذا القانون الأخلاقى فى الإنسان ؟ والإجابه على هذا السؤال .. هو بديهى لكى نلتزم به . وإذا لم نلتزم به ؟ بديهى سوف نحاسب علي ذلك ، **وإلا انتفت الحكمة من وجود هذه الفطرة الأخلاقية فى الإنسان** ، وإن الأخذ به يعنى الإثابة ، وتركه ــ بالمقابلة ــ يعنى العقاب . وهذا المفهوم يؤدى بنا إلى التسليم بخلود النفس ، بمعنى أن يكون هناك عالم آخر يتم فيه حساب المرء على مدى إلتزامه بقانون الأخلاق الفطرى لديه أو تركه له . وما من سبيل لإفتراض الثواب والعقاب دون إفتراض " وجود البعث والجزاء .. ووجود الله " كذلك .

فإذا ما إنتقلنا إلى مثل هذا البرهان فى القرآن المجيد ، فإننا نجد أن المعنى القاصر الذى قال به كانط ، قد تم تعميمه فى القرآن المجيد بمعنى عريض للغاية . فليس هناك معنى لإدراك الفضيلة مالم يوجد الجانب المضاد لها وهي الرذيلة . فالإنسان يحمل بين طياته كلا من جانبى الخير والشر معا ، فكلا الجانبين قد ركبهما الله فى الإنسان . **فكلا الخير والشر فطرة فى النفس البشرية** . ثم منح الله الإنسان العقل وأودع فيه التمييز بينهما ، ثم ترك له (أى للإنسان) حرية الاختيار فيما يفعل فى هذه الحياة . وهذه المعانى كلها تتجلى فى قوله تعالى فى محكم تنزيله :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَـأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَـقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَـدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠) ﴾

(القرآن المجيد : الشمس {٩١} : ٧ – ١٠)

[سواها : أنشأها / فجورها : عمل الشر / والتقوى : إتقاء غضب الله ــ سبحانه وتعالى ــ بإتباع المنهاج الإلهى / زكاها : طهرها أى طهر نفسه / خاب : خسر / دساها : أخفى فضائلها]

وتشير هذه الآيات بوضوح إلى فطرية المعرفة ، والواردة هنا بالإلهام الإلهى ، فى النفس البشرية لإدراك طريق الشر وطريق الخير ، حيث تمثل التقوى غاية المثاليات الإنسانية . كما نرى بوضوح أن معيار مكسب الفرد ــ لخلاصه ــ هو تطهير النفس من الشر ، فالتزكية هنا معناها التطهير ، وإن خسران الفرد ــ لخلاصة ــ هو الأخذ بالمعصية وعمل الشر ، وخاب بمعنى خسر .

وتقديم الفجور على التقوى فى الآية الكريمة ، يعنى تغليب فعل الشر فى النفس البشرية على فعل الخير . **فالشر جزء من النفس البشرية ، تماما مثل الخير جزء منها أيضا** ، وكلاهما من تركيب الله سبحانه وتعالى فى الإنسان لحكمة الاختبار والابتلاء . كما وإن الإنسان مفطور بطبعه نحو الميل إلى عمل الشر بدرجة أكبر من الميل إلى عمل الخير (نتيجة لهذا التقديم فى النص) ، وإن كان يعى ــ الإنسان ــ تماما الفرق بينهما ولكنه حر فيما يأتى به من أفعال .

فالآية الكريمة تنبه الإنسان إلى أنه قد تم تزويده بالملكات الكافية لإدراك الجانب الأخلاقى ، وإدراك الجانب اللاأخلاقى ، فكلا الجانبين موجود لديه بالفطرة . ولكن الأخذ بالأخلاق ليس بالأمر الهين أو اليسير على الإنسان ، بل إنه ــ فى الواقع ــ يمثل الأمر الأصعب منالا له . ومن هنا يتم إثابة الإنسان عند قدرته على تغليب جانب الخير المتأخر لديه (وهو الجانب المتأخر فى الصياغة فى القرآنية) على جانب الشر المتقدم لديه أى فى نفسه (وهو الجانب المتقدم فى الصياغة القرآنية) . فكلا من جانبى الشر والخير هى جوانب فطرية فى النفس البشرية كما تقررها الآيات الكريمة .

وبهذا المعنى يكون المولى ــ عز وجل ــ قد قام بإحاطة الإنسان علما ، بما تحويه نفسه من شر وخير ، وما يتبع ذلك من بذل جهد خاص منه ، حتى يمكن تغليب جانب الخير لديه على جانب الشر لديه أيضا ، وحتى يتم له عبور هذه الحياة ــ الدنيا ــ بسلام . والموقف هنا يشبه إلى درجة كبيرة الأستاذ الذى ينبه على طلبته ، بأنه سوف يرفع من مستوى أسئلة الأمتحان النهائى ، حتى يضمن حسن أداء الطلبة فى التحصيل أثناء العام الدراسى .

ويتأكد هذا المعنى أيضا فى سورة يوسف ، حين قالت إمرأة العزيز [١٢١] ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّـفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٣) ﴾

(القرآن المجيد : يوسف {١٢} : ٥٣)

ويتأكد هنا المعنى العام بأن النفس البشرية تميل بطبعها إلى الشهوات وتزيين عمل السوء والشر . ويرى بعض المفسرين أن الذى قال بهذا ، أى قال : ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّـفْسَ لأَمَّارَةٌ

---

[١٢١] العزيز هو " فوطيفار " رئيس الشرطة فى مصر فى أيام يوسف ، عليه السلام .

بالسُّوءِ ... ﴾ هو يوسف (عليه السلام) نفسه وليس إمرأة العزيز . وهذا جائز أيضا ، **لأن ترك الضمير أو عدم تحديده فى الصياغة الإلهية ، إنما يعنى " عمومية القضية "** ، وليس للتخصيص فيها مكان ، فهذه المقولة يمكن أن تنطبق على **يوسف** (عليه السلام) ، كما يمكن أن تنطبق على إمرأة العزيز ، فنحن ــ فى الواقع ــ بصدد قانون فطرى ينطبق على الإنسان على وجه عام ليس فيه خصوصية ما ، بغض النظر عن ماهية مفردات تطبيقه . **ولهذا ترك القرآن المجيد تحديد الضمير فيه ، ليعنى أن كلا التفسيرين جائز ، وهذه هى الإحاطة فى العلم الإلهى الكلى .**

وليس من اليسير ــ الآن ــ تناول النصف الثانى من الآية الكريمة ﴿ ... إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّى إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، وهى تعنى إلا النفس التى حفظها الله من السوء وصرفها عن الشر ، فمثل هذا الإستثناء قد يوقع العامة فى الفكر القائل بالتصيير ، بمعنى أن " **الإنسان مصيرا وليس مخيرا** " ، وهذا ما سوف نتناوله بالشرح فيما بعد [١٢٢] .

كما يجب التنويه هنا كذلك ، إلى إننا لم نتوقف عند معنى " **النفس** " المستخدمة فى سياق الآيات الكريمة ، فمعناها أعمق من أن نتناوله على نحو عابر ، ولذلك سوف نعود إلى معناها بالتفصيل فى كتابات أخرى . ولكن نكتفى هنا بالقول :

بأن النفس هى مناط التكليف فى الإنسان ، فهى شخصية الإنسان وخواصه ، أما الروح فهى أبدية الإنسان ووجوده .

أما الشكل المادى الذى نحن عليه الآن ، فما هو إلا ــ مجرد ــ الإرتباط الظاهرى للنفس والروح ، بهذا الكون المادى الذى نحيا فيه . فالعلاقه بينهما ، أى بين (النفس والروح) وبين الجسد المادى ، لا تمثل أكثر من العلاقه القائمة بين الساكن والبيت [١٢٣] ، أو بين السائق والعربة . ونكتفى هنا بأن نقول بأن النفس فى السياق القرآنى السابق تشير إلى الإنسان الحقيقى أو الدائم ، من وجهة نظر الجانب المكلف فيه .

---

[١٢٢] أنظر : " الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

[١٢٣] أنظر مقولة الحلاج : " قيل : مات الحلاج ؟ وما مات الحلاج ؟ ولكن البيت خرب ، والساكن إرتحل " . تذييل رقم ٤٦ من نفس الفصل .

وننتهى من هذا بأن على الإنسان أن يجاهد نفسه ، بمعنى أن يعمل على أن ينتصر فيها جانب الخير ، وهو الجانب المتأخر لديها ، على جانب الشر ، وهو الجانب المتقدم لديها . أو كحد أدنى يجب أن يغلب الإنسان ــ ولو قليلا ــ جانب الخير فيه على جانب الشر فيه .. وهذا هو جانب من معنى كلمة " **الجهاد** " [١٢٤] أي جهاد النفس فى الفكر الإسلامى ، وليس معناها " **الحرب المقدسة** " كما يروج لها الفكر المسيحي الغربى المغرض أو القاصر ..!!

﴿ ... ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَـمُونَ (٢٨١) ﴾
(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ٢٨١)

وهذه هى النتيجة النهائية لعمل الإنسان .. ويأخذ الإنسان الندم على عمل السوء ..

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَـفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالعِبَادِ (٣٠) ﴾

(القرآن المجيد : آل عمران {٣} : ٣٠)

فأين عمانويل كانط ، بالفكر الهزيل الذى أتى به ، من هذا الفكر الإلهى المحيط هنا ..!! سبحان الله العلي العظيم ..!! ويالقصور الفكر البشري ..!! ويالضعف إدراك الإنسان ..!!

أما إذا انتقلنا إلى الفكر الأخلاقى فى القرآن المجيد ، فسوف نجد أنه يموج بمكارم الأخلاق ، فلا يوجد موضع ، إلا وحث الإنسان على الأخذ بمكارم الأخلاق . والحديث عن الأخلاق ، فى القرآن المجيد ، يتشعب كثيرا ، حتى يمكن أن نخرج معه عن الهدف المقصود من هذا البرهان ، لذا نكتفى بقول رسول الله (ﷺ) بوصف بعثته بقوله :

" إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " (متفق عليه)

وهو ما يعنى أن بعثة رسول الله (ﷺ) إلى البشرية ، إنما لإتمام مكارم الأخلاق ، ومن ضمنها تنزيه الله ــ سبحانه وتعالى ــ والإتجاه إليه بالعبادة وحده دون سواه . وسنعود إلى بعض من الفكر الأخلاقى فى الفصل الرابع من هذا الكتاب إن شاء الله .

---

[١٢٤] أنظر معنى " الجهاد " كما تجيء به الديانتين اليهودية والمسيحية فى الفصل التالى (بند ٤. ١. ٥) . والذي يعني اشتباك الإنسان في قتال مع " الخالق المطلق للوجود " .. بالأيدي والأرجل ..!!

ونلخص ما سبق بأن نقول ؛ أن غاية فكر الإنسان عن " **قانون الأخلاق** " ، المركب فطريا فى الإنسان ، يدل على وجود الله فحسب . بينما القرآن المجيد ، أو الفكر الإلهى ، يعامل كلا من مشكلة الشر والخير (أى الجانب اللاأخلاقى ، والجانب الأخلاقى) بفكر متساو . فكلاهما برهان على وجود الله . فالله هو الذى ركبهما فى الإنسان ، وكلاهما جزء مكمل من حكمة كلية متعالية من خلق الإنسان ، وكلاهما مرتبط بحرية الإنسان فى الإختيار، وكلاهما يحددان الغاية والحكمة من خلق الموت والحياة للإنسان فقط ، وهذه الغاية هى الإختبار ــ أو الإبتلاء ــ فى حسن الأعمال وصدق النوايا فقط ، وهى جزئية فقط من كل ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) ﴾

(القرآن المجيد : الملك {٦٧} : ٢)

ومفهوم الموت والحياة ، فى هذه الآية الكريمة ، هو فترة تواجد الإنسان المحدودة على سطح هذا الكوكب المحدود (الأرض) ، وهذا التواجد على سطح الأرض ليس هو الهدف الأساسى من خلق الإنسان كما قد يتبادر إلى الذهن ، بل هو إحدى الغايات المخلوقه للإنسان ، وليس كلها ، كما سنأتى إلى تفصيل ذلك فيما بعد (أنظر بند ١١. ١٣) .

١١. ٨ ــ البرهان الغائي

لا يقصد بالبرهان الغائى هنا ؛ هو مناقشة العلة الغائية من الوجود أو مناقشة العلة الغائية من الخلق ، (بمعنى : لماذا خلق الله الإنسان ؟ .. ولماذا خلق الله الكون أو الوجود على نحو مطلق ؟) ، فمثل هذه الغايات هى غايات إلهية متعالية ، لا يستطيع الإنسان التكهن بها أو إدراك القصد الإلهى منها من بعيد أو من قريب مالم يلهم أو يحاط بها ؛ إما فطريا (بمعنى أن يتم تركيبها فى النفس البشرية ــ بمعرفة الله ــ أثناء عملية التكون الجنينى للإنسان مثلها فى ذلك مثل الغرائز والحواس المختلفة الأخرى ، ومثل فطرية الإحساس بوجود الله) ، وهذا لم يحدث ؛ أو بالإخبار المباشر عنها ، أى عن هذه الغايات ، ويتم ذلك بمعرفة الله أيضا ــ سبحانه وتعالى ــ وذلك بوحيه للأنبياء والرسل ، حيث يقومون بالتبليغ بدورهم عنه ، وهذا هو الحادث فعلا ، وسوف يتم مناقشة ذلك فيما بعد .

ولكن ما نعنيه بالبرهان الغائي ــ هنا ــ فله مفهوم محدد جدا وقاصر جدا ، وهذا المفهوم مبنى على ما استطاع الإنسان ملاحظته وإدراكه من أن المفردات ، والمفردات الفرعية للوجود

والخلق لها دور محدد ، ومرسوم بدقة وعناية فائقة ، من حيث أنها تحقق غايات معينه ، وقصدا من خلقها .

وهذا البرهان ــ أى البرهان الغائى ــ هو برهان مماثل لبرهان عصر التنوير (فى القرن الثامن عشر) على مذهب الألوهية ، وهو الوصول إلى " الله " بطريقة إستقرائية ، **على أساس التصميم (The Design) الماثل فى الطبيعة** [١٢٥] . حيث يمكن القول بأن هذا التصميم ، لا يمكن أن يتأتى إلا إذا كان هناك " **علة عاقله** " ، تتولى تحديد الأدوار والغايات لكل من المفردات والمفردات الفرعية لهذا الوجود . **لأن المادة الصماء أعجز من أن تحدد لنفسها أى دور ، أو يمكن أن تدبر أمر نفسها بنفسها . وهذه " العلة العاقلة " هى " الله " ، سبحانه وتعالى .**

فعلى سبيل المثال فإننا نجد لكل عضو ، وكل خلية فى الكائن الحى ، دور محدد ، يقصد به غاية معينه ، وهدف محدد . فالعين للإبصار ، والأذن للسمع ، والخلايا العصبية للحس .. وهكذا . فهذا الجمع والتكامل الوظيفى .. وهذا التحديد لا يمكن أن تقوم به المادة الصماء بنفسها . فلابد من " وجود الله " لتحديد هذه الوظائف والغايات لهذه المفردات والمفردات الفرعية .

*** * * * * * * * * * ***

ولمزيد من إلقاء الضوء على هذا البرهان ؛ فإننا نجد أن الجسم البشرى عبارة عن مفردات غير متجانسه من الناحية التشريحية ، ولكنه متكامل ومتجانس من الناحية الفسيولوجية (علم وظائف الأعضاء) . وهو يؤدى أعمالا بسيطة فى المفردات الفرعية الصغرى كالخلية والأعضاء البسيطة ، ولكن يظهر لنا تركيب بالغ التعقيد فى إجماليه . فعلى سبيل المثال الكليتين وهما عضوان متماثلان من وجهة النظر الفسيولوجية ، ولهما نفس الوظائف . لكن إذا ما أزيلت إحداهما من الجسم ، فإن حجم الأخرى يزداد فى النو ليعوض الناتج الوظيفى من إستئصال الأخرى .. فهذه بعض الغايات للمحافظة على حياة الكائن الحى ، وبدرجة مسموح بها .

وأعضاء الجسم ، كالمعدة والكبد والقلب والرئتين .. إلى آخره ، لا سيطرة لإرادتنا عليها . فنحن لا نستطيع التحكم فى نظام نبضنا ، ولا فى تقلصات أمعائنا ، ولا فى أقطار شرايينا [١٢٦] **، ولا فى**

---

[١٢٥] " الله فى الفلسفة الحديثة " جيمس كولنز ، ترجمة فؤاد كامل . صفحة ٤٧٧ وما بعدها .

[١٢٦] يبلغ طول الأوعية الدموية داخل جسم الإنسان البالغ أكثر من (٩٦ ألف كيلومتر أو ٦٠ ألف ميل) ، أى حوالى (٤ ، ٢) طول محيط الكرة الأرضية ..!! (عن موسوعة : Body works , v. ٣, ١٩٩٣) .

درجات نمونا .. إلى آخرة ، فكل هذه الأعضاء تعمل فى إنسجام تام لغاية محددة هى الحفاظ على وجود الكائن الحى ، لتحقيق هدف مقصود من وجوده . والقول بأن الجهاز العصبى اللاإرادى [١٢٧] هو الذى يقوم بالتحكم والسيطرة على هذه الأعضاء ؛ كالغدد والأوعية الدموية والأمعاء وبقية الأحشاء ، لا يعنى أن هذا الجهاز قد خلق هذه الأعضاء ، ولكنه نفسه قد خلق للإشراف على وظائف هذه الأعضاء ليس إلا ، فهو يعمل هو الأخر فى إطار غاية محددة .

بل وسنذهب إلى أبعد من هذا .. فقد دلت الأبحاث التى أجريت أخيرا ، وأستخدمت فيها العناصر المشعة ، على أن تجديد خلايا الجسم البشرى تتم بسرعة لم تكن تخطر على البال [١٢٨] . فالكبد مثلا ، يتم تجديده أو تبدله فى مدة لا تزيد كثيرا عن الشهر ، أما الجلد والعظام فيتم تجديدهما أو تبدلهما بعد حوالى سنة . وعلى هذا يمكن القول بأن جسم الإنسان ، بما فيه من أنسجة وغدد وعظام .. تتغير كل خلية فيه من سنة إلى أخرى .. أى أن جسم الإنسان الذى نراه الآن ليس جسمه الوحيد ، وإنما هو نسخه من أجسام متعددة تعاقبت عليه على مر السنين . أى أن أجسامنا تبعث مرارا ولكننا لا نشعر بهذا البعث . ومن الغريب أن يتبدل الجسم ويتغير ، بينما كيانه الداخلى من أثبت الأشياء تركيبا . ويحرس هذا الثبوت أعضاء وغدد خلقت لهذه الغايات . فنسبة الماء فى جسم الإنسان ، وفى الخلية ثابته . ونسبة الحموضة فى أجسامنا ثابته ، ونسبة الملح ثابتة ، ونسبة السكر ثابته .. ناهيك عن النسب الضئيلة للغاية لهرمونات الغدد الصماء [١٢٩] .. إلى آخره . ليأتي قوله تعالى ..

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) ﴾

(القرآن المجيد : القمر {٥٤} : ٤٩)

---

[١٢٧] يتكون الجهاز العصبى اللاإرادى من مجموعتين هما ؛ المجموع العصبى السمبتاوى (Sympathetic nervous system) ، والمجموع العصبى الباراسمبتاوى (Parasympathetic nervous system) ، وعمل كل منهما مضاد لعمل الآخر ، ولكنهما يعملان فى توازن وتجانس لتنظيم حركة أعضاء الجسم الداخلية .

[١٢٨] لا يعتمد هذا البرهان على مدى دقة الأرقام الواردة هنا ، وخصوصا إذا كان العلم لم ينته بعد إلى قيم قطعية لهذه الأرقام . ولكن البرهان يعتمد فقط على وجود التغيير من حيث المبدأ ، وهذا هو الحادث فعلا .

[١٢٩] على سبيل المثال فإن " الغدة النخامية : Pituitary Gland " ، وهى توجد فى قاعدة المخ وحجمها فى حجم البندقة ، حين تنشط تحول المرء إلى عملاق يتجاوز طوله المترين ، أما إذا خملت فإن نمو المرء يقف عند المتر ، كما تنظم هذه الغدة النشاط الجنسى ، وتؤثر على نمو الذكاء وقوة البصر ، وتحفظ التوازن بين السوائل فى الجسم . وتصنع هذه الغدة ثلاثة عشر هرمونا تؤثر على أكثر الغدد الأخرى ، وبالتالى كل أعضاء الجسم . ويعتقد أن المخ يسيطر على هذه الغدة ، وعن طريقها يشرف على الجهاز الكيماوى للجسم ، كما يشرف المخ على الجسم كله بالجهاز العصبى .

أى أن : أي تغير فى هذه النسب ، يؤدى إلى هلاك الإنسان الحتمى ، فمثلا إذا نقصت نسبة الزلال فى الدم بسبب مرض ما ، فإن الجسم يتورم ورما شديدا .. ولو نقصت نسبة السكر فى الدم لفقد الإنسان وعيه ، ولو زاد هذا النقص لفقد الإنسان حياته .. وملح الطعام إذا نقصت نسبته لأنتابنا الإعياء والضعف ، وتهدد حياتنا الأخطار .. وقل ما شئت عن جهاز المناعة [١٣٠] فى الجسم ، والإعجاز الذى يقوم به لحماية الجسم من أخطار الجراثيم والفيروسات .. وهكذا .

والغريب كذلك أن الأبحاث الحديثة قد دلت ، على أن عين الإنسان تدرك الألوان المختلفة ، نتيجة قيام العقل البشرى بإجراء عمليات رياضية مثيرة وتلقائية فى غاية من التعقيد لتنتهى إلى معرفة اللون ، تماما مثل قيام الحاسب الآلى بحل مجموعة من المعادلات التفاضلية عدديا للحصول على الإجابات النهائية لقضية علمية ما ..!! فهذا هو جسم الإنسان .. إنه غايات محددة لأعضائه .. ومفرداته .. للحفاظ على كيانه وحياته .. لهدف معين .. ولأجل محدود ..

﴿ وَفِى الأَرْضِ آيَـاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِى أَنـفُسِكُمْ أَفَلاَ تُـبْصِرُونَ (٢١) ﴾

(القرآن المجيد : الذاريات {٥١} : ٢٠ -٢١)

* * * * * * * * * * * *

فإذا ما إنتقلنا إلى الكون .. فإن العلم المعاصر يكشف لنا مدى الدقة البالغة ، لقوانين الجاذبية العامة (وإن كان المجال الجذبى العام ما زال يمثل أحد الألغاز الكونية والذى لم يحل طلاسمه حتى الأن) . والجاذبية العامة هى التى يتحدد على أساسها دوران الأرض حول الشمس ، وتتابع الفصول الأربعة ، وتحديد سمك الغلاف الجوى ، وتحديد سرعة هروب الغازات منه .. حيث يتأكد الإنسان من أنه لولا هذه الدقة المتناهية ، لهذه القوانين السرمدية الفائقة ، لأصبح هلاك الإنسان مؤكدا وحتميا ..!!

وكذلك نجد قوانين الكهرومغناطيسية ، وميكانيكا الكم ، والنسبية .. جميعها تبين لنا الدقة البالغة التى تعمل بمقتضاها الذرات والجزيئات والمركبات وكذا الكون . وتبين لنا أيضا هذه القوانين

---

١٣٠ على سبيل المثال ؛ نجد أن الجزىء الواحد من جسيمات المادة المضادة يحتوى على (١٣٢٠) نوع من الأحماض الأمينية . فهل كل هذه الأحماض ـ فى الجزىء الواحد ـ تركيبات عشوائية ..؟! وتقوم بها المادة الصماء .. سبحان الله ..!!

أن أى تغير فى القوانين التى يعمل عليها الكون ، يكون معناه فناء الإنسان والحيوان والنبات .. وهكذا . والآن ؛ لنا أن نتساءل ..

- من الذى حدد للجسيمات الأولية وللذرات قوانينها (قوانين ميكانيكا الكم) ..؟
- ومن الذى حدد للموجات الكهرومغناطيسية قوانينها (معادلات ماكسويل) ..؟
- ومن الذى حدد للكونيات قوانينها (قوانين النسبية الخاصة والعامة والكونيات) ..؟
- ومن الذى حدد قوانين الكيمياء الحيوية ... وغيرها ..؟
- ومن الذى قرر أن تكون القوانين على هذا النحو اللازم لإستمرار الحياة ..؟

وليس هذا فحسب ، بل أيضا .. من الذى وضع الفضول ، وحب الإستطلاع ، والعقل ، والتعقل (أى المنطق) فى ذلك الإنسان لسبر غور هذا الكون فى محاولة منه لكشف أسراره وحل ألغازة ، ومنها الإنسان نفسه ..؟ ثم ما الغاية من معرفة هذه الأسرار .. مالم تكن ــ الفطرة لدينا ــ تدرك بأنها تقود مباشرة إلى معرفة الله سبحانه وتعالى ..!!

فكما نرى أن القوانين التى عرفها الإنسان ، هى قوانين بالغة الدقة ، ومحدد لها غايات معلومة ، وهى لازمة لاستمرار بقاء الكون ، وكذا استمرار التنوع الهائل للحياة على النحو الذى نراها عليه . ونستطيع القول ، بأنه يمكن أن يندرج تحت هذا البرهان الغائى ، علم الإنسان كله ، وحضاراته القديم منها والحديث فى كل قطاعات العلم والمعرفة من طب ، وفيزياء ، وكيمياء ، وفلك ، وعلم الأحياء .. إلى آخره . ويجمل الله ــ عز وجل ــ كل ما يندرج تحت هذا البرهان الغائى فى قانونين أساسيين :

" هما قانونى : الدقه والتسخير "

يصيغهما ــ الله ــ فى ايجاز شديد فى محكم تنزيله فى القرآن المجيد ، كالنحو التالى ؛ فالقانون الأول ، يجىء فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) ﴾

(القرآن المجيد : القمر {٥٤} : ٤٩)

فالله ــ سبحانه وتعالى ــ يخبرنا بأن كل شىء ، قد خلقه بدقة بالغة ومتناهية **﴿ .. بِقَدَرٍ ﴾** . وكلمة **" قدر "** ؛ هى كلمة لا تسمح بوجود أى سماحية **(No Tolerance is allowed)** ، فهى

تعنى التحديد المطلق ، أى بـــ " الضبط Exactly " . فوجود أى سماحية قد تعنى فناء الوجود ، ولهذا يخبرنا المولى (عز وجل) ، بعدم وجود هذه السماحية . وهناك آية أخرى ، تطلب من الإنسان التحقق والتأكد من ذلك ، أى إنها آية تعنى بالتطبيق العملى لهذا القانون ، كما جاء قوله تعالى ، فى سورة الملك :

﴿ ... مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤) ﴾

(القرآن المجيد : الملك {٦٧} : ٣ - ٤)

[تفاوت : عدم تناسب / فطور : تصدع / ينقلب : يرجع / خاسئا : ذليلا لعدم إدراك أى خلل / حسير : منقطع عن رؤية الخلل]

فالآية الكريمة ، تحث الإنسان على تكرار المحاولة ، لرؤية هذه الدقة الإلهية فى خلقه . فهى تطلب من الإنسان تكرار المحاولة ثلاث مرات ، لاحظ أن المحاولة الثالثة ترجح أحدى المحاولتين أو النتيجتين إذا ما حدث توازن فى المحاولتين الأولى والثانية ، ولكن مع هذا يقرر الله ــ سبحانه وتعالى ــ أن الثلاث محاولات سوف تكون إيجابية وفى إتجاه تحقيق الدقة الإلهية فى الخلق . كما يلزم التنويه هنا إلى أن :

" مبدأ عدم التحديد أو مبدأ الشك The Uncertainity Principle "

الذى جاء به **هيزنبرج** فى ميكانيكا الكم ، إنما يعكس ــ فى الواقع ــ الضعف البشرى فى عدم القدرة على تحديد وقياس بعض الكميات أو المقادير الفيزيائية بدقة كافية ، ولا يعنى هذا أن هذه الكميات أو المقادير غير دقيقة فى حد ذاتها . فالقضية هنا هى قضية عجز بشرى ، وأجهزه لا يمكن أن يقوم الإنسان بتصنيعها بدقة كافية ، وبما هو متاح من الطيف الفيزيائى والمسموح له بالتحرك فيه .

أما القانون الثانى (أى قانون التسخير) الذى يقول به المولى (ﷻ) فهو يعنى بأن الله ــ سبحانه وتعالى ــ قد خلق هذه الفيزياء فى صورة يستطيع معها الإنسان أن يستفيد منها ، وأن الله هو الذى سخرها له . كما فى قوله تعالى :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْـهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَـاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣) ﴾

(القرآن المجيد : الجاثية {٤٥} : ١٣)

والتسخير هو التكليف والقهر على مالا يريد المرء ، وكذلك التكليف بالعمل بلا مقابل . وليس من السهل إستيعاب الجمع بين المعنيين ، خصوصا إذا ما قصد بهذا قانون طبيعي لا نعرف له إرادة ما . ولهذا نجد المولى (ﷻ) يشير إلى أن إدراك تلك المعانى لا يتأتى إلا لمن له القدرة على التفكير .. ﴿ .. إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَـاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

إن إدراك هذه المعانى المتعالية ، هى إدراكات للخاصة ، تماما مثل إدراك " ظهور الله " ، حيث تستلزم رحلة علم لا يقوى عليها الكثيرين ، تماما كإستكمال الدراسات العليا للحصول على الدرجات العلمية العليا . وكلمة " منه " ، فى الصياغة القرآنية ﴿ .. جَمِيعًا مِّنْـهُ .. ﴾ ، تعنى التفضل من الله (ﷻ) على الإنسان ، ورحمة به . فهى " مِنَّةً " من الله .. سبحانه وتعالى على الإنسان .. فهل أدرك الإنسان هذا ؟! . فقد كان يمكن أن تجيء الفيزياء فى صورة لا نستطيع معها ، الإستفادة منها أو السيطرة عليها .. أو حتى الإقتراب منها ــ كالصواعق والبرق مثلا ــ ... ولكنها هى الرحمة الممتدة من الله بالإنسان . **وتسخير الفيزياء** أو الطبيعة للإنسان قد ورد ذكره فى القرآن ستة عشر مرة . منها قوله تعالى :

﴿ ... وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنـْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَـيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَـاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُـمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤) ﴾

(إبراهيم {١٤} : ٣٢ – ٣٤)

[دائبين : مثنى دائب ، ودائب تعنى الجد والإجتهاد والإستمرار فى العمل]

ونلاحظ أن (**تسخير الليل والنهار**) ليس نتيجة (**تسخير الشمس**) ، وإلا كان هناك تكرار فى الآية الكريمة . فـ (**تسخير الشمس**) تعنى امدادنا بالجاذبية العامة والطاقه بجميع صورها من ضوء وحرارة وإشعاع .. وخلافه . بينما (**تسخير الليل والنهار**) ، **فأمره مرتبط** بدوران الأرض حول محورها ، وبذلك لا يكون هناك تكرار فى الإية الكريمة . وهذا هو

الإنسان الظالم لنفسه الكافر بنعم الله ، الذى لا يستطيع أن يحصيها إن أراد أن يفعل ، وهذا يعكس العجز والجهل البشرى معا .

ثم تبقى كلمة أخيرة وهى ؛ ليس معنى إدراكنا لقانون فيزيائى ما ، أو إكتشافنا له وفهمه ، ثم استخدامنا له فى التطبيقات المختلفة لصالح الإنسان ، ليس معنى هذا ؛ هو أننا نكون قد نفينا تلقائيا وجود الخالق لهذا القانون . فمن غير المقبول منطقيا أو عقليا أن نقول :

" إن المعرفة بالقانون الطبيعى تنفى تلقائيا وجود الخالق المطلق لهذا القانون "

لقد دأب الإنسان ، أو الغالبية العظمى من مُـدّعى العلم ــ بكل أسف ــ على الاعتقاد فى هذا الفكر واعتباره قانونا مطلقا . بينما الصياغة الحقيقية لهذا القانون يجب أن تكون على عكس النحو السابق تماما ، إذ يجب أن تكون :

" إن المعرفة بالقانون الطبيعى تؤكد على وجود الخالق المطلق لهذا القانون "

وليس العكس .

١١. ٩ ــ الجدل النازل والجدل الصاعد ..

يقصد بـــ " **الجدل النازل** " هو التحرك بالبرهان نزولا من " المستوى الإلهى " أو من " مستوى الخالق " إلى " مستوى المخلوق " . وبالمقابلة يكون " **الجدل الصاعد** " هو التحرك بالبرهان صعودا من " مستوى المخلوق " إلى " مستوى الخالق " . ويقوم برهان " **الجدل النازل** " على التَسليم بثلاث بديهيات أساسية ، ثم تطبيق هذه البديهيات على مسألة " الوجود الإلهى " فنجد أنها تؤيد هذا الوجود . والبديهيات الثلاث الأساسية هى :

- **البديهية الأولى هى : بطلان الترجيح**

ومعنى الترجيح هو تغليب فكر معين بلا سبب معقول ، أو بلا مبرر . وهذه البديهية تقودنا مباشرة إلى الإنتهاء بأن الصدفة وحدها غير كافية لخلق هذا الكون بقوانينه الفيزيائية المختلفة ، ومفرداته اللانهائية من إنسان وحيوان ونبات وجماد .. وأطياف مرئية وغير مرئية . أو بمعنى آخر أن هذه البديهية تبطل القول بأن " **الصدفة** " **هى** " **الخالق** " .

- **البديهية الثانية هى : بطلان الدور**

ومعنى ذلك أن الشيء ليس له " **دور** " فى إيجاد نفسه بنفسه ، وإلا أصبح الشيء علة ذاته ، وهذا محال . إذ كيف يكون الشيء ما يزال فى العدم ، ولم يوجد بعد ، ومع ذلك يستطيع أن يوجد نفسه بنفسه . ونتهى من هذه البديهية ، بأن لابد من موجد أو خالق للشيء مستقل عن الشيء ذاته .

- **والبديهية الثالثة هى : بطلان التسلسل**

ونتهى من هذه البديهية ، بأن الخالق قد خلق الخلق . أما القول بـــ " من خلق الخالق ؟ " فإنه سوف يخلق تسلسلا لانهائيا بتكرار هذه المقولة . لذا لزم أن نبطل هذا التسلسل ، ونتوقف عند خالق نهائى هو " الله " .

وعلى ذلك فتطبيق " **فكر الجدل النازل** " يقود حتما إلى " **وجود الخالق** " . وبرهان " الجدل النازل " فى القرآن المجيد ، أعم من أن يحاط ، وربما يتطلب كتابا كاملا لبيانه . ولكن نكتفى هنا بالصياغة المحكمة فى قوله تعالى :

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) ﴾

(القرآن المجيد : الطور {٥٢} : ٣٥)

وبهذا التساؤل ، ينفى الله (ﷻ) أن يتم الخلق بغير شيء ، كما ينفى أن يكون الإنسان هو الخالق لنفسه . ونلاحظ هنا أن " الله " (ﷻ) لم يقل (**أم خلقوا من غير خالق**) بدلا من ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ... ﴾ ، لينفى التكرار ويبين لنا ، أن قضية الخلق حتى وإن اعتمدت على الصدفة وحدها ــ كما يقولون ــ فهى يجب أن تعتمد على " **شيء ما** " ؛ مثل وجود " **الجسيمات الأولية : The Elementary Particles** " . وكذا وجود القوانين الفيزيائية الحاكمة للتفاعلات النووية لتكوين الذرات ، ووجود القوانين الحاكمة للتفاعلات الكيماوية لتكوين المركبات ، ووجود البيئات المناسبة لهذا ، ووجود قوانين الوراثة .. إلى آخره من قوانين لا حصر لها .. هذا بالإضافة إلى قوانين الإحتمالات نفسها [١٣١] ، فهذا كله يستلزم من يخلق هذه

---

١٣١ **توجد عشرات الكتب فى المكتبة الرياضية تحمل إسم " نظرية الاحتمالات " ، فهذا علم مستقل بذاته .**

الجسيمات الأولية ، وهذه القوانين الحاكمة ، ومن يخلق البيئات المناسبة التى تسبب هذا التراكب البالغ التعقيد .. وحتى إن انتهى هذا التركيب إلى الصورة المُسَمَّاه بالجسد المادى للإنسان ، فأين الوعى ، وأين النفس ، وأين الروح .. وكلها تمثل المكونات الأساسية لاستكمال ما يسمى بالإنسان .

وعلى ذلك ، فحتى القول بالصدفة يستلزم الإعتماد على " شىء ما " و " قوانين ما " و " ظروف ما " .. إلى آخره .. وكل هذا يستلزم وجود الخالق . لذا نرى أنه فى جميع الأحوال سواء قلنا بالصدفة أم بغيرها فـ " **وجود الخالق** " هو أمر حتمى ومقطوع به ، لاعتماد الخلق على " **شىء ما** " ، وليس على الإنسان ، الذى لم يخلق نفسه من العدم .

وهناك مثال طريف يرويه عالم الفيزياء المشهور **فيرنر هيزنبرج** [١٣٢] حول هذا المعنى فيقول :

" كان عالم الرياضيات **فون نيومان** [١٣٣] ، يتحاور مع أحد البيولوجيين المقتنعين بمبدأ الدارونية (أى بمفهوم التطور بدون الحاجه إلى إله) ، بينما كان **فون نيومان** متشككا فيه . وفى إحدى اللحظات قاد الرياضى البيولوجى إلى نافذة حجرته قائلا : هل ترى هذا البيت الجميل الموجود فوق التل ؟ لقد وجد هناك بمحض الصدفة . فعلى مر ملايين السنين تكون التل خلال عمليات جيولوجية مختلفة ، ثم نمت الأشجار هناك ثم تعفنت وتحللت ثم نمت مرة أخرى ، ثم بعد ذلك غطت الرياح قمة التل بالرمل ، ثم أتت الأحجار فوق التل ، ربما خلال عملية بركانية . ومن خلال الصدفة انتظمت الأحجار فوق بعضها لتكون المنزل . وبالطبع لقد تكونت على مر تاريخ الأرض وخلال كل العمليات المبنية على الصدفة ، وغير المنتظمة غالبا أشياء أخرى . ولكن فى إحدى المرات بعد وقت طويل ، وجد هذا البيت الريفى الجميل . ثم انتقل إليه أناس ، وهم يعيشون فيه الآن . وبديهى لم يكن البيولوجى ــ بالطبع ــ سعيدا بهذا الجدل " .

---

١٣٢ " الجزء والكل ــ محاورات فى مضمار الفيزياء الذرية " تأليف فيرنر هيزنبرج . ترجمة محمد أسعد عبد الرؤف . الهيئة المصرية العامة للكتاب . ص ١٤٢ . ومؤلف هذا الكتاب ، هو فيرنر هيزنرج (١٩٠١ - ١٩٧٦) ، الحائز على جائزة نوبل فى الفيزياء لعام ١٩٣٢ ، عن أعماله فى ميكانيكا الكم ، وإكتشافة لـ " مبدأ الشك أو مبدأ اللاتحديدية : The Uncertainity Principle " . وهو مؤسس أيضا لمعهد ماكس بلانك للفيزياء بجوتنجين ، بألمانيا .

١٣٣ عالم رياضيات مجرى (١٩٠٢ - ١٩٥٧) .

والسبب فى أن الإنسان يستطيع قبول مبدأ الصدفة فى بناء وخلق الإنسان ، بينما لا يستطيع أن يقبل مبدأ الصدفة فى بناء مبنى متكامل مثل " الإمباير ستات [١٣٤] : **Empire State Building** " بالولايات المتحدة المريكية مثلا ، هو فى الواقع ، مرجعة إلى الألفة فى تكرار رؤية مولد الإنسان بلا مشاركه منه (اللهم إلا فى عملية الجماع الأولى) . مع ملاحظة أن مجموعة قوانين الإحتمالات التى يخضع لها بناء مبنى متكامل مثل " الإمباير ستات " ، بمصاعدها وأثاثها ، أقل بقدر لانهائى من مجموعة قوانين الإحتمالات التى يخضع لها بناء جسم الإنسان ، بأجهزته المختلفة وعملها المذهل كذلك ؛ مثل الجهاز الدورى والجهاز الهضمى والجهاز العصبى والجهاز المناعى .. وملحقاتها ووظائفها الغير محدودة . أضف إلى هذا أن " **الوعى الإنسانى أو الإدراك** " نفسه ، لا يمكن التعبير عنه فى أى شكل أو أى قالب رياضى ما ، بأى صورة من الصور ، حتى وإن استطعنا التعبير عن بعض العمليات البيولوجية بإسلوب رياضى ما .

ثم ننتقل ــ الآن ــ إلى برهان " **الجدل الصاعد** " فكما سبق وأن بينا ، هو التحرك بالبرهان فى إتجاه عكسى للجدل النازل ، أى التحرك صعودا من " **مستوى المخلوق** " إلى " **مستوى الخالق** " . وبذلك علينا أن نبدأ بمن أخبر عن الله ، وهم الأنبياء والرسل . وننظر فى أمرهم ، وسيرتهم ، وما تواتر عنهم ، ومضمون دعواتهم ، وهل دعوا إلى الله أم دعوا إلى أنفسهم . وفى هذا الشأن نجد أن " الله " (ﷻ) يخبرنا ، بأن الأنبياء هم اصطفاء إلهى لبشر ليخبروا عنه ، ولا يسألوا الناس أجرا ، إن أجرهم إلا على الله . ويتكرر تنبيه المولى ــ عز وجل ــ للناس لهذا المعنى فى تسع مواقع فى القرآن المجيد على النحو التالى :

فبدءًا بـ " نوح " عليه السلام ، نجد الحق ــ تبارك وتعالى ــ يقول له قل لقومك :

﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢)﴾

(القرآن المجيد : يونس {١٠} : ٧٢)

---

١٣٤ يعتبر هذا المبنى أول ناطحة سحاب فى العالم ، وقد تم تشييده بمدينة نيويورك عام ١٩٣١ . وهو يتكون من هيكل من الفولاذ يتألف من (١٠٢) طابق ، ويبلغ إرتفاعه (٤٤٣,٢) مترا ، حتى نهاية صاري مانعة الصواعق .

والأجر هنا له معنى عام ، فقد يكون ماديا أو معنويا . فقد يكون جاها ، أو مالا أو تحقيقا لذات ، أو تحقيقا لملك .. أو أى شىء آخر . لذا نجد نوح ــ عليه السلام ــ يقول لقومه ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ وَيَا قَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ... (٢٩) ﴾

(القرآن المجيد : هود {١١} : ٢٩)

و" هود " ــ عليه السلام ــ يقول لقومه :

﴿ ... يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (٥٠) يَا قَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلاَ تَعْقِلُونَ (٥١) ﴾

(القرآن المجيد : هود {١١} : ٥٠ – ٥١)

ويتوالى قول الإنبياء ، فهذا قول شعيب (عليه السلام) :

﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠) ﴾

(القرآن المجيد : الشعراء {٢٦} : ١٨٠)

وينتهى ترديد " الأجر " على لسان الأنبياء فى القرآن المجيد ، بأنه على الله ، حتى يأتى فى آخر موقع له (أى فى آخر موقع لكلمة " أجر ") فى القرآن المجيد ، لمحمد (ﷺ) ــ آخر الرسالات ــ على النحو التالى ، كما فى قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى [١٣٥] وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٦) قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٤٧) ﴾

(القرآن المجيد : سبأ {٣٤} : ٤٦ – ٤٧)

---

١٣٥ تشير التجربة التي أجراها أحد الباحثين في جامعة تورنتو عن " فعالية المناقشة الجماعية " ، وفيها جمع أعداداً مختلفة من المناقشين ، وقارن النتائج فاكتشف أن أقصى فعالية للنقاش تكون عندما يكون عدد المتحاورين اثنين ، وأن الفعالية تقل كلما زاد هذا العدد .

obeikandl.com

وفى هاتين الآيتين الكريمتين يعرض " الله " ــ سبحانه وتعالى ــ لبرهان " **قضية الجدل الصاعد** " ، أربع قضايا أساسية هى كالنحو التالى :

القضية الأولى : هى أن يعى الإنسان أن الهدف الأساسى من الدين هو معرفة الله حق المعرفة ، فهذا هو غاية الوجود ، كما سنرى . وعلى هذا يجب االتحرر من العصبيات والوثنيات والجاهليات الموروثة ، كما جاء فى سياق الآية الكريمة : ﴿ ... أَن تَقُومُوا لِلَّهِ ... ﴾ فعلى الإنسان عند مناقشة القضية الدينية ، يجب أن يضع نصب عينيه الغاية النهائية لمطلبه ، ألا وهى معرفة ... " الله " ... و" الله " فقط ... ولا يجب أن ينقاد الإنسان وراء أى كسب مادى زائل ، أو التعصب لفكر وثنى ما ... أيا كان نوعه .

القضية الثانية : منطقية الدعوى ، وطرحها للحوار والنقاش الفكرى للفرد والجماعة على حد سواء ، كما جاء فى الآية الكريمة : ﴿ ... أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ... ﴾ ، بهذا الوضوح ﴿ ... ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ... ﴾ ، أى أن الله (ﷻ) قد حدد أول أساسيات الدين ألا وهو " **الفكر** " . فالفكر أساسى هنا ومطلوب بذروته . فقضية الدين هى ــ فى الواقع ــ تمثل قضية وجود الإنسان ومصيره ، والغاية من خلقه . فهى القضية الأولى فى حياة الإنسان ووجوده ، والخاسر الوحيد ، إذا لم يحسن الحكم فيها ، هو الإنسان ذاته . لذا لزم التفكر فيها عن كثب وروية متناهية ، وليس الإعراض عنها بجهل وترفع وبدون ترو .

القضية الثالثة : سيرة الرسول ، وسلوكه قبل الدعوة ، كما وردت فى قوله تعالى : ﴿ ... مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ... ﴾ [١٣٦] . فبديهى أن يعرض الله (ﷻ) إلى الجانب النفسى للرسول (ﷺ) ، حيث ينفى عنه الجنون . إذ أن الذى يأتى مثل هذا الأمر ، وهو لم يكلف من الله ــ عز وجل ــ بأدائه ، لا بد وأن يكون مصابا بنوع من الجنون .. كجنون العظمة ، أو جنون

---

[١٣٦] **وينبهنا المولى ــ عز وجل ــ إلى الجانب النفسى للإنسان هنا ، بأن القضية ليست فى " إتهام رسول بالجنون أو خلافه " ، بل القضية ذاتية ، حيث تقع فى داخل الإنسان ذاته . فالأصل أن أكثر الناس كارهون للحق ، كما جاء فى قوله تعالى :**

﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٠) ﴾
(القرآن المجيد : المؤمنون {٢٣} : ٧٠)

فهذا هو الأساس ، هو كره الحق إذا تعارض مع هوى النفس أو المصلحة أو التغيير .

الاستحواذ ، أو جنون السيطرة ، أو جنون التملك ، أو جنون الإستعلاء .. إلى آخره من كل أنواع الجنون ، والتى لا يمكن أن يصاب بها المرء دون أن ينعكس آثارها عليه ، وعلى سيرته الخاصة قبل الدعوة ، وسلوكه فى وسط عشيرته على مدى حياته .

أما القضية الرابعة : فهى الأجر ؛ **فحقيقة الأمر هنا** ؛ أن أجر " اعتناق الديانة الحقة " هو للفرد ذاته ، وليس لأحد سواه ، كما جاء فى سياق الآية الكريمة ، فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ... ﴾ . فهل وعى الإنسان ﴿ ... مَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ... ﴾ ، فأجر النبى لن يصيب منه الفرد شيئا . فالمنفعة الحقيقية هى للفرد ذاته ، والأجر هو للفرد المهتدى أولا وآخرا . أما أجر النبى فهو على الله : ﴿ ... إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ . ولا أدرى .. إن وعى الإنسان معنى ﴿ .. وَهُوَ ــ أي الله ــ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ .. أم لا ..!!

تلك هى القضايا الأربعة الرئيسية المطلوب تناولها ، عند تناول برهان " **الجدل الصاعد** " ، وهذا هو ترتيب تناولها . وهى تمثل الإحاطة الإلهية فى الفكر القرآنى ، والتى لم يتطاول إليها أصحاب برهان " الجدل الصاعد " من فلاسفة وعلماء الغرب . وهذه هى طبيعة البراهين القرآنية .

فالقارىء لبرهان " **الجدل الصاعد** " فى الفكر الغربى ، يجد أن القائلين بهذا الفكر لم يتجاوزوا فكر " **سيرة الرسول** " ، أى القضية الثالثة فقط . فبديهى لا يحوى لديهم هذا البرهان أى مناقشة لموضوعية القضايا الأخرى لمنطقية الدعوى والدين . فالدين لديهم ملىء بالوثنيات والخرافات ، لذا اقتصر الأمر على مناقشة " سيرة الرسول " فقط .. (وليتها صدقت ، فالرسل لديهم تتصف بصفات متردية ، كما سنرى فى الفصل التالى) . ثم يأتى بعد ذلك ــ من وجهة نظر الغرب ــ التسليم بما يجىء به الرسول من دين ، أيا كان ، ومهما يحوى من وثنيات .. وهذا من الأخطاء البشرية الفادحة ، والتى يعانى منها الإنسان إلى الآن .

والمطلع على سيرة **محمد** (ﷺ) ، يجد أن الدعوة ــ للدين الجديد ــ ظلت سرية لمدة ثلاث سنوات ، بعد نزول الوحى عليه ، ثم أمره الله (ﷻ) بأن يجهر بها ، كما جاء فى قوله تعالى:

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) ﴾

(القرآن المجيد : الحِجْر {١٥} : ٩٤)

[فاصدع : امض وافرق / بما تؤمر ؛ بالقرآن]

ثم تبع ذلك ، قوله تعالى :

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) ﴾

(القرآن المجيد : الشعراء {٢٦} : ٢١٤ – ٢١٧)

وبهذا الأمر الإلهى ، انتقل الرسول (ﷺ) من سرية الدعوة ، إلى الجهر بها ، بدءًا بدعوة عشيرته الأقربين ، وهم أهل مكه . فصعد الصفا [١٣٧] يوما :

ونادى : يا معشر **قريش** ..!
قالت قريش محمد على الصفا يهتف ؛ وأقبلوا عليه يسألونه ... ماله ؟
قال : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقون ؟
قالوا : نعم ! أنت عندنا غير متهم ، وما جربنا عليك كذبا قط .
قال : فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد [١٣٨] ...!!

يا بنى عبد المطلب ، يا بنى زهرة ، يا بنى تيم ، يا بنى مخزوم ، يا بنى أسد [١٣٩] . إن الله قد أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين ، **وإنى لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا إلا أن تقولوا : لا إله إلا الله .**

هكذا كانت سيرته بين عشيرته الأقربين . لقد كانوا يلقبونه بـ " **الصادق الأمين** " قبل بعثته ـ عليه السلام ـ وقد قالوها له بعد بعثته : " .. **ما جربنا عليك كذبا قط** .. " . وبديهى كان حريا بهم أن يصدقوه ، وأن يستجيبوا لدعوته ، لعلمهم أنه لا يكذب ، وإنه الصادق الأمين لديهم على مدى حياته السابقة ، فلماذا يكذب الآن ..؟! ولكنهم لم يفعلوا ..!!

---

[١٣٧] جبل منخفض بمكة .

[١٣٨] المعنى هنا يشير إلى أنه سوف يحيط بهم عذاب شديد نتيجة لعبادتهم للأصنام . [المصدر : الرسول (ﷺ) لمحات من حياته .. ونفحات من هديه " ؛ دكتور . عبدالحليم محمود ؛ ص : ٨٩ وما بعدها]

[١٣٩] هى أسماء القبائل ، التى كانت تسكن مكه فى ذلك الوقت ، ظل يرددها النبى (ﷺ) بالاسم .

obeikandi.com

وهنا ينهض عمه " **أبو لهب** " ، استكمالا لهذه اللقطة ، وكان رجلا سريع الغضب ويصيح فيه .. " **تبـًّا لك** (أي خسرت وهلكت) **سائر هذا اليوم ..!! ألهذا جمعتنا ...!!** " ثم إنصرفوا عنه ..

وهذا هو دأب الإنسان وسلوكه تجاه الفكر الجديد . فهو عادة ما يرفضه بدون ترو أو دراسة متأنية ، وما يمكن أن يأتى به هذا الفكر . ولنتأمل فى قول الرسول عليه السلام : [**إنى لا أملك لكم من الدنيا منفعة ، ولا من الآخرة نصيبا ، إلا أن تقولوا ... لا إله إلاّ الله**] . إذن فالأمر كله لله ، وليس للرسول من الأمر شئ ، وفى هذا الشأن يقول الله للرسول (ﷺ) فى القرآن المجيد :

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (١٢٨) ﴾

(القرآن المجيد : آل عمران {٣} : ١٢٨)

بهذا الوضوح والقطع.. ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ... ﴾ ، فليس للرسول التصرف فى أمر من أمور العباد ، بل الأمر كله لله . فإما يتوب عليهم بالإيمان ، أو يعذبهم لأنهم ظالمون . فالرسالة ليست ملك الرسول ، بل هى ملك لله وحده ، فهو صاحب الأمر كله ، حيث يقول الله لرسوله الكريم :

﴿ ... فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (٤٠) ﴾

(القرآن المجيد : الرعد {١٣} : ٤٠)

وفى قول آخر :

﴿ ... فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ (٣٥) ﴾

(القرآن المجيد : النحل {١٦} : ٣٥)

هكذا يتكرر القول ، فى القرآن المجيد ، بأن مسئولية الرسل هى البلاغ فقط ، والحساب هو لله وحده . وترد كلمة " **بلاغ** " فى القرآن المجيد بهذا المعنى فى ثلاثة عشر موضعا ، إلا فى موضع واحد فقط فتشير فيه هذه الكلمة إلى " **القرآن المجيد** " نفسه ، على إنه " **بلاغ** " للناس . **كما جاء فى قوله تعالى :**

﴿ هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ (٥٢) ﴾

(القرآن المجيد : إبراهيم {١٤} : ٥٢)

ولينتبه إلى ذلك ــ أى يبتعد عما فيه هلاكهم ــ أولوا الألباب ، أى ذوو العقول والفكر السوى .

١١. ١٠ ــ البرهان الإجتماعى

يقول هذا البرهان بأن الإنسان اجتماعى بطبعه أو بالفطرة . وهو ما يعنى أن المجتمع الإنسانى ليس اختراعا تفتق عنه ذهن الإنسان بل هو ضرورة بيولوجية للإنسان . فالإنسان حيوان اجتماعى لا يستطيع أن يعيش إلا فى مجتمع . والإنسان المنفرد محكوم عليه بالهلاك لا محالة ؛ إن لم يكن الهلاك بسبب مادى فإنه سيهلك لسبب نفسى . ولهذا يقول علماء النفس والاجتماع أن " **الأنا الجمعى** " أو " **الضمير الإجتماعى** " هو فطرة فى تركيب الإنسان ، وهو جزء من جهاز الإدراك مثل السمع والبصر ، وإن كان " **الأنا الجمعى** " ليس له عضو خاص فى جسم الإنسان .

فالإنسان موجود تاريخيا ، وتاريخ تطور المجتمعات هو نفسه تاريخ تطور فكرة الله . بل ولم يكن تقدم الإنسان اجتماعيا ، إلا لأنه كان دائما يؤمن بالله . والحق ؛ أن الاعتقاد فى وجود الله ، وفى البعث والحساب ، كان وازعا قويا يمنع العدوان (فى أحيان كثيرة) ، ويقوى احساس الإنسان بالأمن والحق ، وبالخير والجمال . وينتهى علماء الاجتماع من هذا ، إلى أن " الأنا الجمعى " أو " الضمير الإجتماعى " لابد وأن الله ــ سبحانه وتعالى ــ قد قام بتركيبه فى النفس البشرية لحكمة متعالية ، وكضرورة حتمية لقيام المجتمعات الإنسانية كما نراها على مر العصور والحضارات .

وهذا البرهان من وجهة نظر القرآن المجيد ، يأتى فيما يقرره الله ــ سبحانه وتعالى ــ من أن الضمير الاجتماعى ، هو جزء من الفطرة البشرية التى ركبها الله فى النفس البشرية ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) ﴾

(القرآن المجيد : الحجرات {٤٩} : ١٣)

فقوله تعالى ﴿ .. وَجَعَلْنَـاكُمْ شُعُوبًا وقَبَائِلَ .. ﴾ تعنى " **الفطرة الإجتماعية** " لدى الإنسان ، فقد **جعلنا الله هكذا** ، شعوبا وقبائل ، ولا فضل للإنسان فى هذا ، طالما أن الله قد ركبنا على هذا النحو أو الشكل . والآية الكريمة تجمع بين " **الأنا الجمعى** " أو " **الفطرة الإجتماعية** " وفطرة " **القانون الأخلاقى** " معا . فـ" الفطرة الإجتماعية " يشار إليها بالنص ﴿ .. وَجَعَلْنَـاكُمْ شُعُوبًا وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ..﴾ ، وكلمة ﴿ .. لِتَعَارَفُوا .. ﴾ تعنى بأن العلاقة السائدة بين الشعوب والقبائل تبنى على أساس " **المعرفة** " ، وبالتالى فهى تشير إلى المجتمع الإنسانى ككل يقوم على تبادل المعرفة أو المعارف .. **ومن أقوى الأدلة على : " فطرة تبادل المعرفة " الشبكة العنكبوتية .. أي : " الإنترنت "** .. فجميع الخبرات والمعرفة الإنسانية ــ في الوقت الحاضر ــ متاحة ومتبادلة على هذه الشبكة وبدون مقابل .

كما وإن قوله تعالى : ﴿ يَا أيـُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَـى .. ﴾ ، تعنى السواسية فى الخلق فلا عنصرية .. ولا تعصب .. ولا استئثار .. كما جاء فى قول الرسول الكريم :

" كلكم لآدم وآدم من تراب "

وفطرية " **القانون الأخلاقى** " ، يشار إليه ضمنيا بالنص ﴿ ... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ... ﴾ . حيث تجعل هذه الآية الكريمة التنافس بين أفراد المجتمع الواحد ، والمجتمع الإنسانى ، تقوم على أساس " **التقوى** " أو الأخذ بمكارم الإخلاق . حيث أن " التقوى " فى الفكر الإسلامى **هى مراقبة الإنسان لكل سلوكه خوفا من الله (ﷻ) ، وبالتالي فهي " غاية الكمال الأخلاقى والعمل الصالح "** ، ولها تعاريف كثيرة منها ؛ الخوف من الله ــ سبحانه وتعالى ــ ، والعمل بتشريعه (ويشمل كل ما هو أخلاقى ونافع للمجتمع الإنسانى بالمعنى العريض لمفهوم العلم الشامل) ، وإعداد النفس ليوم الموت والحساب عند البعث [١٤٠]

وعندما يتكلم القرآن المجيد عن حضارات الشعوب أو الأمم ، فإنه يتكلم عنها بمنطق قريب الشبه إلى منطق سلوك الأفراد . فكما يوجد الفرد الصالح توجد الأمة الصالحة ، وكما يوجد الفرد الفاسد توجد الأمة الفاسدة ، كما فى قوله تعالى عن الفرد :

---

[١٤٠] قال بهذا الإمام : على بن أبى طالب (كرم الله وجهه) : " التقوى : هى الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والرضى بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل " ، ويـوم الرحيل يعنى يوم رحيل الإنسان عن هذه الحياة الدنيا بالموت .

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم (١٤) ﴾

(القرآن المجيد : مُحَمَّد {٤٧} : ١٤)

[والتزيين : أساسه من الشيطان .. وهو أن يرى المرء أن ما يفعله هو من قمم كمال الأعمال ، وهو لا يدرى أن ما يفعله قد يكون من الأعمال السيئة . وعادة ما يحدث هذا بإتباع هوى النفس ، وعند تغييب العقل]

وكذلك عند الكلام عن الأمم ، نجد قوله تعالى :

﴿ .. كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (١٠٨) ﴾

(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ١٠٨)

وكذلك الدورات الحضارية للأمم ، يشير إليها الله ــ سبحانه وتعالى ــ فى محكم تنزيله بقوله تعالى :

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّــةٍ أَجَلٌ [١٤١] فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَــأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَــقْدِمُونَ (٣٤) ﴾

(القرآن المجيد : الأعراف {٧} : ٣٤)

فهذه الآية الكريمة تشير إلى نهاية الأمم ، وإلى العمر المحدد لها ، وبالتالى إلى نموها مرة أخرى فى صورة ما أخرى أو ثانية .. تماما كنهاية الأفراد بالموت ، ليولد من بعدهم أفراد آخرون فى صور مغايرة . فالدقائق تعلن عن موت بشر ، وميلاد جديد لبشر آخر .. وهكذا .

وعلى ذلك فإن " البرهان الإجتماعى " كما جاء به علماء الغرب هو برهان قاصر للغاية ، حيث لم يتعد الفكر عن إدراك الفعل الإلهى فى تركيب الفطرة الاجتماعية لدى الإنسان . وبذلك اقتصر شرحهم على الفطرة الإجتماعية لدى الفرد . بينما الفكر القرآنى يقرر بأن " الفطرة الإجتماعية " لدى الفرد ، هى جزئية فقط من كل ، ضرورى لقيام المجتمع الإنسانى ، فإلى جانب هذه الفطرة ، فإن الله ــ سبحانه وتعالى ــ قد جعل الآتى :

---

[١٤١] من الأمثلة المعاصرة لنهاية الأمم ، إنهيار الإتحاد السوفيتى السابق ، وإنتهاء الحكم والفكر الشيوعى لهذا الاتحاد .

- الفطرة الأخلاقية كضرورة أساسية ومكملة لتكوين المجتمعات الإنسانية .
- أشار الله (ﷻ) ، وذلك فى إطار الابتلاء أو الاختبار الإنسانى ، إلى أنه ينبغى على الأفراد أن يكون التنافس بينهم على أساس " التقوى " ، ومنها مكارم الأخلاق والعمل الصالح (وقمة شعب العمل الصالح هو العبادة والعمل العلمى) .
- أن ما ينطبق على الأفراد ينطبق كذلك على المجتمعات الإنسانية .
- إن العلاقات بين المجتمعات الإنسانية أو الشعوب المختلفة تقوم على أساس تبادل المعارف والثقافات المختلفة (وهذا هو الحادث فعلا / كما في الإنترنت) . كما وأن التنافس بين الشعوب يجب أن يكون فى إطار مكارم الأخلاق (والحرية هنا متروكة للإنسان) .
- كما يقرر الله (ﷻ) أن للأمم والحضارات أعمار محددة ، شأنها فى ذلك شأن الأفراد .
- كما ينبهنا الله فى محكم تنزيله ، إلى وجود مجتمعات كاملة فاسدة ، كما يمكن أن توجد المجتمعات الصالحة ، شأنها فى ذلك شأن الأفراد تماما أيضا .

وللحق أن طيف المعرفة الخاص بالنصوص القرآنية (المحكمة الصياغة) أوسع من أن تحاط بالفكر البشرى ، وعادة لا نرى منها إلا المألوف من الأفكار ، إلا من فتح الله عليه ، برؤية ما من المعارف الجديدة ، والتى يمكن أن تضيف الكثير إلى التراث البشرى .

١١. ١١ ــ برهان " المثل الأعلى " أو " الإستعلاء الإلهى "

ويسمى هذا البرهان أيضا بـ " **البرهان الوجودى** " أو " **الأنطولوجى Ontology** " . وينسب هذا البرهان فى صورته الأولى إلى **القديس أنسلم** [١٤٢] فى القرن الحادى عشر ، وزاد عليه اللاحقون ، ونقحوا فيه وأخصهم **ديكارت** حتى كاد أن ينسب إليه وحده . وقد تناول هذا البرهان أيضا كل من **بونافنتورا** ، **ولايبنتز** ، **وهيجل** ، **وتوما الإكوينى** .

" ومضمون هذا البرهان أن العقل البشرى كلما تصور شيئا عظيما فإنه يذهب إلى ما هو أعظم منه ، وهكذا إلى نهاية النهايات ، وينتهى من هذا إلى " موجود " هو " الكمال الأسمى " الذى لا بعده كمال ، ولا يمكن أن يكون به نقص ، وهذا الموجود النهائى هو الله " .

---

١٤٢ أنسلم (Anselm) (١٠٣٣ - ١١٠٩) مفكر إيطالى ، إنضم إلى الدير بالنورماندى ، وأصبح فيما بعد رئيس أساقفة كانتربيرى .

ويقول **ديكارت** : " إذا ما تمعنت فى فكرتى عن " **الله** " فإنى أجده جوهرا لا متناهيا أزليا ، يتنزه عن التغير ، ويقوم بذاته ، ويحيط بكل شيء ، ويقدر على كل شيء ، خلقنى وجميع الأشياء الموجودة ، **وتجعلنى هذه الصفات التى له ، أمعن النظر فيها فيقل ميلى إلى الإعتقاد بأن هذه الفكرة عن " الله " هى فكرتى** ، وأنا مصدرها . فلا بد إذن أن الله قد أودعها فى نفسى ، وإذن فإن " **الله موجود** " .

ويستطرد **ديكارت** فيقول : " إننى أرى بجلاء أن فكرة اللامتناهى سابقة لدى على فكرة المتناهى ، أى أن إدراك " الله " سابق على إدراك النفس ، وكيف لى أن أعرف إننى لست كاملا تمام الكمال إذا لم يكن لدى فكرة عن وجود أكمل من وجودى ، أعرف بالقياس إليه ما فى طبيعتى من عيوب ونقص [١٤٣] " .

ولم يحدد هذا البرهان ، كما جاء به فلاسفة الغرب ، أى صفات للكمال الإلهى ، ولكنهم قالوا بالإستعلاء والكمال الإلهى على نحو عام أو مطلق . وإن كان بعضهم قد جاء ببعض الصفات ، مثل القادر والخالق والصمد والمحيط ، والتى ورد ذكرها فى القرآن المجيد .

وبديهى إن برهاننا بهذا الشكل هو ــ فى الواقع ــ برهان قاصر لعدم تحديد ماهية الكمالات الإلهية ، والتى يجب أن يتصف بها الإله فقط ، ولا ينبغى أن يتصف بصفات أخرى سواها . وبديهى أيضا ، أن تحديد الصفات الإلهية ، ليس فى متناول الإنسان مالم نزود فطريا بمعرفتها . فالإنسان غير مؤهل فطريا لمعرفة هذه الكمالات ، كما لا يمكن الوصول إلى معرفتها من خلال التجارب الشخصية . لذا لزم أن يخبرنا الله (ﷻ) بصفاته هذه ، بطريقة مباشرة من خلال وحيه لأنبيائه ورسله .

وهذا البرهان من منظور الفكر القرآنى ــ كالعادة ــ يصل إلى درجة الكمال الفكرى المطلق . حيث يحدد أو يعرف الله (ﷻ) ذاته ، بتعريف أو تحديد صفاته وكمالاته الإلهية بدقة ، ويطلق عليها " **الأسماء الحسنى** " ، كما ورد فى قوله تعالى :

---

١٤٣ قارن بين هذا الفكر ، وبين ما جاءت به اليهودية والمسيحية ـ فى الفصل التالى ــ من فكر متردٍ وفكر وثني ومنحط عن "الإله" .

﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠) ﴾

(القرآن المجيد : الأعراف {٧} : ١٨٠)

[يلحدون : يميلون وينحرفون إلى الباطل]

ويقول " الله " فى محكم تنزيله أن أى إسم من هذه " الأسماء الحسنى " أو " الكمالات الإلهية " ، هى تشير إليه فلا فرق بينها . فهو واحد لاشريك له ، وإنما هى أسماؤه الحسنى أو صفاته وكمالاته الإلهية ، كما فى قوله تعالى :

﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١١٠) ﴾

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ١١٠)

وقد نزلت هذه الآية ، لما سمع المشركون النبى (ﷺ) ، يدعو تارة بـــ " الله " وتارة أخرى بـــ " الرحمن " ، فظنوا أنه يدعوا بإلهين ، فنزلت هذه الآية تنبيها للإنسان إلى أن هذه كلها أسماء وصفات أو كمالات إلهية تشير جميعها إلى ذات واحدة . وقد روى عن النبى (ﷺ) ، أنه قال :

(إن لله تسعة وتسعين إسما كلهن فى القرآن من أحصاها فقد دخل الجنة [١٤٤])

وأكبر حشد متتال لهذه الأسماء ، هو ما ورد ذكره فى آخر سورة الحشر ، فى قوله تعالى :

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِى لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِى لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلاَمُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ (٢٤) ﴾

---

[١٤٤] أنظر الملحق الأول ؛ عن الكمالات الإلهية أو الأسماء الحسنى . وسوف يلاحظ القارىء أن جميعها معرفة بـــ " الـــ " ، لتعنى المعنى المطلق للصفة أو الإسم ، كما تعنى الأحدية والتفرد للمتصف بها .

(القرآن المجيد : الحشر {٥٩} : ٢٢ – ٢٤)

أما عن تسلسل الصفات إلى نهاية النهايـــات ، فنجدها فى قوله تعالى عن الموقف العلمي للإنسان :

﴿ ... نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) ﴾

(القرآن المجيد : يوسف {١٢} : ٧٦)

فإذا ما تصور الإنسان أن هناك فردا ما " .. ذى علم .." ، فهو يمكن أن يتصور أيضا من هو يفوقه علما أو " عليما " آخر . والعليم هو الآخر " ذو علم " ، إذن فهناك " عليما " آخر يفوقه علما ، وهكذا وبغير نهاية . إلى أن نصل إلى نهاية النهايات وهو " **العليم** " المطلق الذى ليس فوقه عليم آخر ، وهذا " **العليم** " المطلق هو " الله " ، سبحانه وتعالى . **وبهذا الفكر تعرف الكمالات الإلهية بـــ " الـــ " لتعنى التفرد والإطلاق فى صفة الكمال** ، مثل :

الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، ..

وننهى برهان " المثل الأعلى " أو " الإستعلاء الإلهى " ، بأن الإحاطة الإلهية لهذا البرهان ، قد حسمها الله (ﷻ) فى آيتين فقط ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ وَلَهُ مَن فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (٢٦) وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِـــيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيـــزُ الحَكِيمُ (٢٧) ﴾

(القرآن المجيد : الروم {٣٠} : ٢٦ – ٢٧)

[له قانتون : مطيعون منقادون لإرادته]

فكما نرى ، إن الله (ﷻ) له كل ما فى السماوات والأرض خلقا وملكا وخضوعا وإنقيادا ، وله " **المثل الأعلى** " فى الصفات والقدرة الكاملة والحكمة التامة فى السماوات والأرض . وهو الذى يبدئ الخلق ثم يعيده بعد الموت ، وينبهنا بالقياس البشرى المعلوم ، وتقريبا إلى الذهن القاصر ، بأن إعادة الشيء أسهل من ابتدائه بلا مثلية .

وهذا هو الفكر الإلهى المحيط .. تحديد مطلق وتعريف محدد لصفات إلهية واضحة .. لم يستطع الإنسان التطاول حتى لمعرفة بعضها ، إلا فى أضيق الحدود ، وفى إطار الفطرة الممنوحة للإنسان أيضا ، ثم غاية إلهية متعالية لخلق الإنسان وإعادته .. فهل وعى الإنسان ذلك ..؟!

١١. ١٢ ــ الله موجود إذن فأنا موجود

ويستدل من هذا البرهان على وجود الإنسان كنتيجة طبيعية لوجود الله ، بمعنى لولا وجود الله (ﷻ) ما وجد الإنسان . وبديهى إن هذه الصياغة تختلف عن القول بعكسها ، أى " أنا موجود فالله موجود " ، حيث يؤدى هذا المعنى الأخير إلى شبهة أن الإنسان هو الصانع لوجود الله .

وينسب هذا البرهان إلى **ديكارت** (ويعرف أيضا ببرهان **الكوجيتو** [١٤٥]) ، وينتهى هذا البرهان بالقول بأنه يوجد " قوة حافظة " تحفظ على الإنسان وجوده . ولولا هذه القوة ما بقى الإنسان فى الوجود ، وهذه " **القوة الحافظه** " **هى** " **الله** " . ويذكر هذا البرهان فى القرآن المجيد على نحو مباشر ومطلق . فـ " الله " هو " القوة الحافظه " ليس للإنسان فحسب ، بل للوجود بأسره ؛ كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولاَ وَلَئِنْ زَالَتَــا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤١) ﴾

(القرآن المجيد : فاطر {٣٥} : ٤١)

[ولــئن : لام القسم ، والمعنى " ولئن زالتا إن أمسكهما " أى إن زالتا ــ السماوات والأرض ــ ما أمسكهما من أحد من بعده]

وبهذا تقرر الآية الكريمة ، أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ وحده هو خالق السماوات والأرض ، وهو الذى يحفظهما بقدرته من الزوال . ولئن قدر لهما الزوال ، ما إستطاع أحد أن يحفظهما من بعده ، إنه كان حليما على جهل الإنسان وغرورة ، لا يعجل بعقوبته للمخالفين والعاصين له

---

[١٤٥] أنظر الفصل الرابع لمزيد من التفاصيل .

، غفور لذنوب التائبين والراجعين إليه . والفكر القرآنى فى هذا البرهان ، يشمل السماوات والأرض ، أى كل ما فى الوجود المدرك منه والغير مدرك .

١١. ١٣ ــ الاعتراض على وجود الله بوجود النقص والشر فى الكون

يقول المعترضون على وجود الله ؛ أنه من الثابت منطقيا أن الله غير موجود ؛

" لأنه إذا كان أحد الضدين لامتناهيا قضى على ضده تماما "

ولقد قيل أن الله هو الخير والكمال اللامتناهيان ، فلو كان هذا صحيحا ، لقضى الله على الشر والنقص الموجودان فى العالم ، ولما كان الشر والنقص مازالا موجودين فى هذا العالم .. فالله ــ إذن ــ غير موجود .

وفى الحقيقة ؛ هذا القول يمثل أحد القياسات الخاطئة للإنسان ، أو للقائلين بمثل هــذا الفكر . لأنه ليس هناك ثمة علاقة ما بين وجود خير وكمال لامتناهيين ، وبين وجود نقص أو شر متناهيين فى هذا الكون . ففى الواقع ؛ إن مثل هذا التشبيه يخرج بالقائل به إلى **عدم وضوح الحد الأدنى من الرؤية القياسية** لهذه المشكلة ، كما يأتى فى الفكر الحسابى [١٤٦] على

---

[١٤٦] يمثل هذا المنطوق أحد القياسات الخاطئة للإنسان . فكلنا يعلم من علم حساب اللانهايات أن إضافة أى عدد معلوم إلى كمية لانهائية فى الكبر ، فإن الناتج يكون لانهائى فى الكبر أيضا ، والصياغة الحسابية لهذا المنطوق هى كالنحو التالى :

(مالانهاية) + (عدد معلوم) = (مالانهاية)

وليس معنى أن يكون الطرف الأيسر (مالانهاية) ؛ هو أن يكون (العدد المعلوم) فى الطرف الأيمن صفرا ، فلا يوجد أى علاقة بين قيمة العدد المعلوم والــ " مالانهاية " فى الطرف الأيمن ، فكلاهما أعداد مستقلة عن بعضهما البعض . كما يجب أن يفهم أن قيمة العدد المعلوم لن تغير من كبر قيمة الــ " مالانهاية " فى الطرف الأيسر ، وعلى هذا القياس يمكن أن نقول :

(مالانهاية من الخير والكمال) + (نقص وشر الإنسان المحدود) = (مالانهاية من الخير والكمال)

أى أن هذا يعنى ، أن وجود أى شر إلى جانب الكمال الإلهى ، لا ينفى وجود الحكمة والكمال الإلهى المسبوغ على الكون كله .

والقضية هنا ليست فيها فلسفات . فمحدودية الإنسان فى شكل وجوده المحدود على سطح هذا الكوكب غير المرئى بالنسبة للمجرة ، والمجرة غير المرئية بالنسبة للمجموعة المحلية ، والمجموعة المحلية

النحو الوارد شرحه فى التذييل ، أو كما يأتى فى الفكر الكيميائى المناظر ، هذا إلى جانب عدم وضوح أو إدراك معنى " **مشكلة الشر والخير** " فى حكمة خلق الإنسان .

فمن جانب القياس الكيميائى ؛ نجد أن الخطأ فى فهم هذه القضية جاء نتيجة **المزج** بين الكمال والخير من جانب ، وبين النقص والشر من جانب آخر ؛ على غرار **المزج** بين المواد أو المحاليل المختلفة مع بعضها البعض . فبديهى إذا كان السكر هو المادة السائدة فى أحد المحاليل المائية ، فسوف يختفى **طعم** الملح (مثلا) من المحلول إذا كانت كميته قليلة بدرجة كافية . ولكن القضية هنا ليست " **قضية مذاق** " . فبديهى المادة السائدة فى المحلول لا تنفى وجود المواد الأخرى فى نفس المحلول ، تماما كما وإن وجود الكمال اللامتناهى لله ــ سبحانه وتعالى ــ لا ينفى وجود النقص المتناهى بسبب فعل الإنسان ، **وخصوصا إذا ما قدر الله ــ سبحانه وتعالى ــ أن يكون " الشر والخير هى مشكلة فى حيز الإختيار الإنسانى "** ليختبر الإنسان فيما آتاه وفيما يفعله فى هذه الدنيا ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَــةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّــرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً [١٤٧] وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥) ﴾

(القرآن المجيد : الأنبياء {٢١} : ٣٥)

[ونبلوكم : نختبركم / فتنة : بمعنى أى لننظر فيما تفعلون فى هذه الحياة الدنيا]

وهنا ينبه المولى عز وجل **فاعل الشر** ــ على وجه مطلق ــ فى بداية هذه الآية الكريمة بأن ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَــةُ الْمَوْتِ .. ﴾ أى إنه ميت .. ميت لا محالة ..!! كما ينبهه فى آخر الآية

غير المرئية بالنسبة للحشد الفائق ، والحشد الفائق غير المرئى بالنسبة للجانب الأعظم ... وهكذا ، تجعل هذا الإنسان وبكل ما يأتى به محدودا . ولمعنى بعض التفاصيل العلمية الواردة هنا أنظر بند (٤. ١. ٥) ، تذييل رقم (٩١) من الفصل الثالث .

[١٤٧] المفهوم الرياضى المناظر لهذه الآية الكريمة : هو أن لكل القيم السالبة (الشر) ، والقيم الموجبة (الخير) يوجد قيم مناظرة لـ " دالة الفتنة " . أى أن فتنة الإنسان بالشر والخير تتساوى من المنظور الإلهى ، ولكن قيم الفتنة فى حالة الشر أكبر منها فى حالة الخير لهذا التقديم فى العرض . فالإنسان الغنى أو القوى أو مالك السلطة ، يملك طيف عريض من المعاصى لا يملكه الإنسان الفقير أو الضعيف أو فاقد السلطة . ويتساوى فى هذا المفهوم الدول أيضا ، بمعنى أن ترف الدول الغنية ، ومجاعات الدول الفقيرة كلاهما إبتلاء من الله ــ سبحانه وتعالى ــ وكناتج طبيعى من قوانين عليا تحكم سلوك الإنسان وقراراته . والإنسان ــ من يملك القرار فى الدول من كلا الجانبين ــ محاسب على ما تؤدى إليه قراراته من نتائج (خير أم شر) . فـ " الحياة " من المنظور الإلهى فصلا دراسيا له مقرراته واختباراته ونتائجه .. أدرك هذا الإنسان أم لم يدرك ..!!

الكريمة بـــ ﴿ ... إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ ؛ أى أنه راجع .. راجع لامحالة .. إلى الله ..!! وبالتالى فهو **محاسب على فعل الشر .. محاسب على فعل الشر .. مما قد يعينه ــ هذا التنبيه ــ على تجنب فعل الشر باختياره** ؛ وهو القضية الإختبارية له فى هذه الحياة الدنيا ، كما ورد ذكرها فى الآية الكريمة . وليس هذا فحسب ، بل نجد أيضا قوله تعالى :

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَــاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١) وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِــتُجْــزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَــمُونَ (٢٢) ﴾

(القرآن المجيد : الجاثية {٤٥} : ٢١ – ٢٢)

[اجترحوا السيئات : إقترفوا سيئات الأعمال فى هذه الحياة الدنيا]

وهو ما يعنى بوجود الحساب الدنيوى . واستخدام المولى (ﷻ) لكلمة " **اجترحوا السيئات** " ، بدلا من " **اقترفوا السيئات** " ، لها دلالة نفسية عميقة للغاية . فـــ " **الجرح** " هو الجزء المصاب من الجسم بشق فيه وما يتبع ذلك من آلام مصاحبة . وهنا تعنى الآية الكريمة أن الله قد خلق الإنسان على النحو الذى يصبح فيه اقترافه للشر أو الإثم **إنما يعنى أن الإنسان مصيب به نفسه أولا كما هو مصيب به الآخرين ، وهو ما يتمثل فى صور تأنيب الضمير دنيويا .. أى تفعيل النفس اللوامة** .. ولهذا لم يجعل الله ﴿ .. مَّحْيَــاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ .. ﴾ كالذين آمنوا وعملوا الصالحات . وبديهى يمثل هذا القول " **قضية اختبارية** " يمكن التحقق من صحتها . فالخبرة العادية ترينا كيف كانت **نهاية الظالمين ، وكيف كان عاقبة أمرهم وسوء نهايتهم** ، وكيف كان عذابهم النفسى فى هذه الحياة الدنيــا ، وحتى وإن بدا للبعض أن ظاهر الأمر يوحى بعكس هذا ..!!

﴿ وَهُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَــبْلُوَكُمْ فِى مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٦٥) ﴾

(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ١٦٥)

[خلائف الأرض : يخلف بعضكم بعضا فيها / ليبلوكم : ليختبركم وهو بكم عليم]

ولحماية للإنسان من نفسه ومن الآخرين ، شرع الله (ﷻ) القصاص والعقاب للإنسان فى هذه الحياة الدنيا ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩) ﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ١٧٩)

[أولى الألباب : ذوى العقول]

ولم يقل المولى (ﷻ) بالعكس ، أى (**ولكم فى الحياة قصاص ..**) ، لأن المعنى الأول ﴿ **وَلَكُمْ فِي القَصَاصِ حَيَاةٌ ...** ﴾ **يمثل حتمية الأخذ بالقصاص كضرورة لازمة لإستمرار الحياة** وهذا ما نراه فى كل المجتمعات الإنسانية فى شكل " **قانون العقوبات** " فى كل دولة . أما القول بالعكس ، أى " **ولكم فى الحياة قصاص ...** " ، فهو ما يعنى بأنه قد يؤخذ بالقصاص أو قد لا يؤخذ به . ثم نأتى للآخرة ؛ فى قوله تعالى :

﴿ **ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٥٢) وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (٥٣) وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ (٥٤)** ﴾

(القرآن المجيد : يونس {١٠} : ٥٢ – ٥٤)

[ويستنبئونك : يستخبرونك / وأسروا الندامة : أى حينئذ يتردد الندم والحسرة فى سرائر الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والتكذيب وظلموا الآخرين ، وأصبحوا عاجزين عن النطق بهذا الندم ...!! لشدة ما دهاهم من الفزع لرؤية العذاب ونفذ فيهم قضاء الله بالعدل ، وهم غير مظلومين فى هذا الجزاء ــ لانهم لم يحققوا الغايات من خلقهم ــ لأن هذا هو النتيجة طبيعية لما قدمت أيديهم فى هذه الحياة الدنيا .]

أوعى الإنسان ﴿ **... وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ...** ﴾ ؛ أى قضى بين الظالم والمظلوم بميزان العدالة المطلق ..!! أم لم يعى ..؟!

ففى الواقع ؛ إن " **مشكلة الشر والخير** " التى يحتج بها الملاحدة على " **عدم وجود الله** " ، تمثل دليل صدق أو حجة على " **وجود الله** " وليست دليلا على نفيه . فالله (ﷻ) هو الذى ركب

فينا **جانبى الشر والخير ، وربطهما بالعلة الغائية من خلق الموت والحياة** (ويقصد بالحياة هنا ، الحياة الأرضية فقط) كما سبق ذكره [١٤٨] ، وليست العلة الغائية من خلق الإنسان . فخلق الإنسان له غاية أعم من الغاية القريبة من خلق الموت والحياة : وهي الإيمان المبني على العقل .. ومن ثم التوجه الصحيح إلى الله (ﷻ) بعبادته . كما ربط الله ــ سبحانه وتعالى ــ الموت والحياة بعمل الإنسان ومدى قدرته على تغليب جانب الخير (المتأخر لديه) على جانب الشر (المتقدم لديه) ، على النحو السابق ذكره فى البرهان الأخلاقى (بند ١١. ٧.) . فالحقيقة أن الشر مصدره الفعل الاختيارى للانسان ، وليس مصدره الإلـــه أو قهرية الإله للإنسان .

ونركز على القول ، **بأن الشر مصدره الإنسان وليس الإله** ؛ فعندما يقوم إنسان بتعذيب إنسان آخر أو قتله ، تحت أى مسمى قانونى أو مبرر وضعى أو شعار سياسى ، فقد أتى الشر بكامل حريته واختيارة ، ولا دخل للإله فى قهره على ذلك ، فهو يملك التوقف عن التعذيب أو القتل إن أراد ، وبالتالى فمسئولية الشر تقع كاملة على عاتق الإنسان وحده ، وهو يحمل مسئولية هذا الشر كاملة يوم الحساب .. وبهذا الفعل يكون الإنسان قد خسر نفسه ..

﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١) ﴾

(القرآن المجيد : طه {٢٠} : ١١١)

[عنت الوجوه : قيل سجدت ، وقيل إستأسرت واستسلمت ، لأن أصل " العنو " هو الذل]

* * * * * * * * * * *

وبهذه البراهين الثلاثة عشر نكون قد انهينا سرد ــ كل ــ ما يملك الإنسان من براهين للتدليل على وجود الله ، سبحانه وتعالى ، وهو الظاهر فوق كل ظهور . وكما رأينا إن البرهان البشرى هو برهان ساكن ، ويكاد يكون جثة بلا روح إذا ما قورن بما جاء به القرآن المجيد من براهين مناظرة . ولا يسعنى إلا لفت نظر المفكرين إلى قوله تعالى :

---

[١٤٨] يعتبر هذا الجزء إمتداد لمشكلة الأخلاق التى سبق وأن تناولناها فى بند (١١. ٧) ، ويمكن إعادة قراءة هذا البند السابق حتى يتحقق الاتصال فى المعنى الكلى .

﴿ ... قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ (١٤٨) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩) ﴾

(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ١٤٨ - ١٤٩)

[تخرصون : تكذبون]

أوعى الإنسان قوله تعالى : ﴿ .. فَلِلَّهِ الْحُجَّـةُ الْبَالِغَةُ .. ﴾ .

١٢ ــ " ظاهرة التبرير " أو " التداخل والتضحية بالعقل "

وجها لوجه ، لقد برهن الإنسان بما لا يدع مجالا لأى شك أن " الله موجود " . وقد أدرك الإنسان كذلك من خلال الوعى الفطرى لديه بأن " الله موجود " . كما أدرك الإنسان كذلك بالفطرة وبالعقل الصفات الإلهية ، أو ما ينبغى أن يكون عليه الإله من المثل الأعلى والاستعلاء والكمال الإلهى .

ثم ذهب الإنسان يبحث عن الإله .. فوجده لديه فى الدين . ففى الدين يُذكر الإله ، وفى الدين يُعرف الإله ، وفى الدين يعبد الإله ، فإعتقد الإنسان ــ خطأ ــ أن الدين مصدر الإله . ولكن من هو الإله فى الدين ..؟! لقد وجـد الإنسان الإله فى الدين فى وضع متردد[١٤٩] ، لقد وجـده إلها مسكينا اجتمعت فيه كل النقائص البشرية ، لتهوى به من عليـائه إلى الحضيض الفكـرى المقزز ..!! فقد وجده الإنسان :

- إله يتصارع مع مخلوقاته (الإنسان) وتتغلب عليه .
- إله نسى وأحمق تتعالى مخلوقاته (الإنسان) حكمةً وذكاءً عليه .
- إله ذى صفات خارجية قريبة الشبه من صفات الحيوانات الأسطورية .
- إله أساء التقدير وأخطأ ، فسلبه الشيطان سلطاته .

---

[١٤٩] لم أهتم ــ هنا ــ إلا بما جاءت به الديانتين اليهودية والمسيحية من أوصاف عن الإله . فالأوصاف المذكورة هنا ــ كما سنرى ــ هى ما تقول به هاتين الديانتين ..!! وسنأتي إلى التفاصيل في الفصل الثالث .

obeikandl.com

- إله لم ترق أحاسيسه بعد ، ولا يعى شيئا عن مشاعر الإنسان وأحاسيسه [١٥٠] (مخلوقه) ، لذا فقد إستقر منه الرأى أن يخوض التجربه البشرية حتى يستطيع أن يفهم إنسانه .
- إله قام الشيطان (أحد مخلوقاته) بمحاولات لإغوائه ، وطلب منه أن يسجد له فيرفض ، فيتربص به الشيطان حتى الآن .
- إلـــه قـــام بغش وخداع الشيطان فى محاوله يائسه منه لاستعادة سلطته التى سلبها منه الشيطان .
- إله عذبه إنسانه ، وأذاقه كل صنوف الذل والهوان .. وضربه بكل نعال الأرض ..!!
- إله ، حسم أمره إنسانه وقام بقتله .
- وأخيرا ــ وليس آخرا ــ إلـــه استقر منه الرأى على أن تكون صورته النهائية هى :

[.. خَرُوفٌ قَائِمٌ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ ، لَهُ سَبْعَةُ قُرُونٍ وَسَبْعُ أَعْيُنٍ ، هِيَ سَبْعَةُ أَرْوَاحِ اللهِ الْمُرْسَلَةُ إِلَى كُلِّ الأَرْضِ .] [١٥١] . وليقف ذلك الإنسان أمام هذا الخروف (إلهه) ، ليصرخ بصوت عظيم قائلا : [.. الْخَلاَصُ لإِلهِنَا الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْخَرُوفِ] [١٥٢] . ولن يجوع الإنسان بعد ذلك ولن يعطش [لأَنَّ الْخَرُوفَ الَّذِي فِي وَسَطِ الْعَرْشِ يَرْعَاهُمْ] [١٥٣] .. **وليتبع الإنسان الخروف حيثما ذهب** [١٥٤] ..!!

---

[١٥٠] ويعطى لنا الأسقف إستانلى شوبيرج (Pastor Stanley Shoberg) رئيس كنيسة السويد ، مثالا لبيان هذا المعنى فيقول : " وعندما فكر الله فى الناس اللاجئين (الفلسطينيين مثلا) دون منازل ، دون مأوى يقاسون الحر والبرد ، قرر الله أن يتفهم الإنسانية تفهما كاملا (God decided to understand humanity fully) . وبناء على ذلك قرر الله من خلال محبته أن ينزل عن مستواه إلى مستوانا من خلال السحب العميقة من أجل الفهم ..!! " (أى من أجل أن يفهم الله إنسانه) [" مناظرتان فى استوكهولم بين أحمد ديدات واستانلى شوبيرج " الناشر : دار الفضيلة ، ترجمة على الجوهرى ، ص ١٢٢ . أنظر كذلك الفصل التالى لمزيد من التفاصيل عن الفكر الإلهى] .

وهكذا نرى أن " الله " ــ من وجهة نظر العقيدة المسيحية ــ لا يفهم إنسانه ، لذا كان لزاما عليه أن ينزل إلى الأرض ليعيش التجربة البشرية حتى يعى ويدرك أحاسيس ومشاعر الإنسان الذى خلقه ..!!

[١٥١] (الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى ، الإصحاح الخامس : ٦) ــ أنظر الفصل الثالث للتفاصيل .
[١٥٢] (الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى ، الأصحاح السابع : ١٠) ــ أنظر الفصل الثالث للتفاصيل .
[١٥٣] (الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى ، الأصحاح السابع : ١٧) ــ أنظر الفصل الثالث للتفاصيل .
[١٥٤] [٤ هؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ لَمْ يَتَنَجَّسُوا مَعَ النِّسَاءِ لأَنَّهُمْ أَطْهَارٌ . هؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ يَتْبَعُونَ الْخَرُوفَ حَيْثُمَا ذَهَبَ] (الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى {١٤} : ١٤)

فهذا هو الإله كما وجده الإنسان لديه فى الدين ، وهذا هو منتهى حال الإنسان وخلاصه ..!! وليشقى الإنسان بإلهه هذا ..!! **وليهوى إنسان القرن الواحد والعشرين إلى الحضيض الفكرى** .. ولتتهاوى القيم ، وتنهار المثل ، والمثل الأعلى ، من حوله ..!! وليقف الإنسان ــ ذلك المسكين العاجز ــ حائرا بين ما يدرك فطريا وعقليا عن الله وصفاته وكمالاته من المثل العليا والإستعلاء والكمال الإلهى ؛ وبين ما جاء به الدين (الديانتان اليهودية والمسيحية) من وثنيات وصور قاصرة ومشوهه عن إله مسكين .. متخلف .. تعبث به مخلوقــاته ، واتصف بكل هذه الصفات والنقائص البشرية المتردية ..!!

﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤٣) تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَــكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤) ﴾

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ٤٣ – ٤٤)

حليما على ذلك الإنسان الأحمق الجهول لحقيقة وجوده ، ووجود الله ، غفورا لذلك الإنسان إذا ما أدرك تطاولة على الله بالقول ، وتاب إليه وأناب قبل أن يدركه الموت ليقف أمام الحقيقة المطلقة وجها لوجه ..!!

ويقف الإنسان ــ إزاء هذه الصورة المتردية للإله ــ فى مفترق الطرق ، فأين يذهب ..؟! وماذا يفعل حيال هذا الموقف ..؟! وبدون وعى منه يتجه إلى واحد من الاتجاهات أو الخيارات الأربعة التالية :

الإتجاه الأول أو الخيار الأول : هو أن يرفض الإنسان الدين والإله معا ، لأن ما جاء به الدين من وثنيات فكرية عن الله لا تتفق والحد الأدنى مع المنطق البشرى من جانب ، وما تمليه الفطرة السوية على الإنسان من جانب آخر . فلا يعقل أن يكون الإله على هذا النحو من التردى وهو الخالق لكل هذا الكمال المطلق . وبذلك يعتقد الإنسان أنه أمام أكذوبه كبرى تسمى الدين ، وبذلك يفقد الإنسان إنتمائه للدين .

الإتجاه الثانى أو الخيار الثانى : أن يحتفظ الإنسان بالإله وبفكرته عن كمالاته واستعلائه الإلهي ، ويرفض الدين (فقط) وما جاء به من وثنيات وتطاول على الله . ويظل الإنسان على اعتقاده بأن الله موجود ، وأن الأديان كاذبة .

وكما سبق وأن بينت ، إن هذين الإتجاهين هما السبب الرئيسى فى نشوء كل المذاهب الفكرية والفلسفات الإنسانية القاصرة التى نراها حولنا الآن ، والتى أصبحت للإنسان تدينا بديلا (لدين وضعي) بدون أن يعي أو أن يتنبه لهذا الإنسان . فقد أدرك الإنسان بعقله وقياسه وفطرته ، فداحة ما جاءت به الديانتين اليهودية والمسيحية ــ بشكلهما الراهن ــ عن الإله والإنسان ، فكان لابد أن يرفضهما ، ولكنه فى نفس الوقت يدرك وجود الله وكمالاته ، كما يدرك إنه لا يستطيع أن ينفصل عن الدين والتدين . فهو فى حاجة دائمة لهما . فالإنسان لا يستطيع أن ينفصل عن الدين والتدين فى جميع مراحل ولحظات حياته . فماذا يفعل إذن ؟! فليصنع الإنسان لنفسه دينا وضعيا ، أو بمعنى أدق ، فليصنع الإنسان لنفسه مذهبا فكريا يعتنقه ويتدين به ، وليقذف بالديانتين اليهودية والمسيحية إلى مكان سحيق ..!! ولتنسحب التجربه الدينية المريرة لدى الإنسان ــ بدون ترو ــ على كل الأديان حتى وإن كان بينها الدين الصحيح . وهكذا لم يصب الإنسان فى حكمه ..!!

الإتجاه الثالث أو الخيار الثالث : وفى هذا الخيار لم يستسلم الإنسان لليأس ، بل ترهفت حواسه ، وفتح ذهنه وفتح عقله ، وأخذ يجد فى البحث عن الله ، والدين الصحيح فى مكان آخر ، فلا يمكن أن يخلق الله الإنسان هكذا ويتركه سدى بغير هدف أو معنى ؛ كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍ يُمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى (٤٠) ﴾

(القرآن المجيد : القيامة {٧٥} : ٣٦ – ٤٠)

فإن أصاب الإنسان أو صادف الدين الصحيح ، فقد سكنت نفسه وهدأت جوارحه وإطمأن فؤاده إلى حاله ورضى به ، **وإن لم يصب فحسبه البحث ، ووقع وزره علينا ، فنحن لا نستطيع فكاكا من قوله تعالى للرسول الكريم (ﷺ) :**

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) ﴾

(القرآن المجيد : يوسف {١٢} : ١٠٨)

ولا أدرى متى يتنبه الإنسان لمعنى ﴿ ... أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ... ﴾ ، والبصيرة ؛ هى الرؤية المستيقنة وهى الدعوة بالمنطق ، وهى الدعوة بالعقل ، وهى الدعوة بالبرهان القاطع والحجة الواضحة ، وقل ما شئت كذلك عن المنطق العلمى وعن العلم ذاته فى هذه الدعوة .. فحدث بلا قيود ، وحدث بلا حرج .. فإن قمنا نحن بالتبليغ بالدين الحق .. تحقق فينا .. قوله تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ... (١٤٣) ﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ١٤٣)

وأصبحنا شهداء على الناس .. ويكون الرسول علينا شهيدا .. ولهذا لزم أن نكرر على أن " **القضية الدينية** " ليست " **قضية تبشيرية** " ، كما قد يظن البعض من محدودي الفكر ، ولكنها قضية وجود الإنسان ومصيره هو . كما وإنها ليست " قضية صراع بين أيديولوجيات مختلفة " . فالإنسان هو الخاسر الوحيد فى هذا الوجود إذا لم يتنبه إلى المعنى الحقيقى " للقضية الدينية " ، كما وإنها ليست " قضية كسب أتباع " ، فالإنسان هو الرابح الوحيد لنفسه ... إذا ما أحسن التوجه إلى الله ...

﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٤٧) ﴾

(القرآن المجيد : سبا {٣٤} : ٤٦ - ٤٧)

فأجره لكم ..!! فأجره لكم ..!! فأجره لكم ..!!

الإتجاه الرابع أو الخيار الرابع : وفيه نجد أن :

" **فكر القضية الإلهية قد تداخل مع فكرالقضية الدينية** [١٥٥] "

---

[١٥٥] كما سبق وأن أشرت من قبل ؛ إلى أن " قضية الألوهية " تعنى بالبرهنة على وجود الله ، بينما تعنى " القضية الدينية " بالبرهنة على صحة الدين وما يجىء به من مضامين . وكلا القضيتين مستقلتين أحدهما عن الأخرى ، ولكل منهما البراهين الخاصة بها ؛ كما لا يمكن المزج بينهما إلا تحت شروط خاصه جدا .

لدى الإنسان (أو لدى هذه الفئة التى تعتنقه) **وامتزجا معا** حتى أصبح فكر القضيتين يمثلان معا فكر " **الدين والتدين** " . كما خيل إلى أفراد هذه الفئة ــ الرابعة ــ " **خطأ** " بأن الفصل بين الفكرين مستحيل . **وبهذا المزج يكون رفض الديــن معناه التضحية بــ** " الله " **والانفصال عنه ..!! ويكون معنى هذا الإلحاد .. والتنكر لوجود الله ..!!** ولكن كيف تضحى هذه الفئة بالله وهى تدرك وجوده ؟ إنها لا تستطيع أن تفعل ذلك . وبالتالى فعليها إذن أن تقبل بــ " الدين والتدين " وبما يجيء به الدين من أفكار مهما كانت وثنيتها عن الإله وعن صفاته وعن كمالاته المطلقة ..!! **وبالتالى تكون هذه الفئة الرابعة ؛ هى الفئة التى لم تستطع التضحية بالإله مهما كان الثمن ..!! حتى وإن كان هذا الثمن هو التضحية بعقلها كاملا فى هذا الإتجاه ..!!**

" وأرجو أن يعى الإنسان أن قبول بعض الفئات الإنسانية للأفكار الوثنية عن الله ، لهو خير شاهد وخير دليل ، على فطرية وجود الله فى النفس البشرية ومدى قوة هذه الفطرة . فمن السهل على الإنسان ــ بوجود هذه الفطرة ــ أن يقوم بالتضحية بمنطقه العقلى وعقلانيته ، عن أن يقوم بالتضحية بالله وبفكرته عن وجوده " .

ولكن كيف يوفق الإنسان **بين** فطرة نقية تتمثل فى إدراك إله خالق متعال ، تسطع مخلوقاته وكونه بالحكمة البالغة الداله عليه ، كما يتلألأ الوجود بكمالاته الإلهية المطلقة ، **وبين** إله متردٍ يتصف بكل هذه الصفات المتدنية التى تجيء بها الأديان الأسطورية ..؟! كيف يتثنى للإنسان ذلك الكائن العاقل المتعقل أن يقبل بكل هذا ..؟! فى الحقيقة ؛ أن الإنسان مؤهل لأن يحتفظ بالمتناقضات الصارخه فى نفسه ، كما أن لديه القدرة على التعايش مع هذه المتناقضات بصورة مستأنسه وبشكل يدعو للدهشة . وربما كان هذا بسبب ما يملكة من ملكة تعرف بإسم " **ظاهرة التبرير** [١٥٦] **أو التزييف العقلى** " كما يسميه علماء النفس . ففى هذا الصدد يقول إريك فروم :

" لقد برهن " التحليل النفسى " [١٥٧] **على الطبيعة المبهمة لعملياتنا الفكرية** ، حيث نرى أن " **قوة التبرير** " أو هذا " **التزييف العقلى** " هى إحدى الظواهر الإنسانية المحيرة أشد الحيرة . ولو لم نكن معتادين عليه هذا الإعتياد (لأن عالم النفس هذا مسيحى) لبدا لنا أن مجهود الإنسان فى التبرير مماثلا لمذهب شخص مصاب " **بجنون الإضطهاد أو الهذيان : Paranoia** " [١٥٨] .

---

[١٥٦] **أنظر الى بعض التبريرات الصارخة فى الفصل الثالث .**

[١٥٧] **" الدين والتحليل النفسى " آريك فروم ، ترجمة فؤاد كامل ، مكتبة غريب . ص : ٥٤ .**

فالشخص المصاب بهذا الجنون يمكن أن يكون فى غاية من الذكاء ، ومن الممكن أن يستخدم عقله إستخداما ممتازا فى جميع مجالات الحياة ، اللهم إلا فى هذا الجزء الذى يتعلق باعتقاده . فالشخص الذى يقوم بالتبرير يفعل هذا تماما .. فالحجج المستخدمة للدفاع عن أعمال محاكم التفتيش وتفسيرها ، أو الحجج المستخدمة فى تفسير التحيزات العنصرية أو الجنسية الصارخة ، مثل هذه الحجج أمثلة واضحة على هذه المقدرة نفسها فى التبرير .

فعندما نتحدث إلى شخص ذكى من المؤمنين بالمسيحية ، نجده يظهر مقدرة عظيمة فى كثير من مجالات الفكر ، ولكن ما أن نناقش معه المسيحية نجده يواجهنا ــ فجأه ــ بمذهب فكرى مغلق ، وظيفته الوحيدة هو إثبات أن ولاءه للمسيحية متفق مع العقل ولا يتناقض معه . ولهذا سوف ينكر بعض الوقائع الواضحة ، وسوف يشوه بعضها الآخر . أو تراه حين يوافق على بعض الوقائع والأقوال ، فإنه يشرح موقفه بأنه موقف منطقى ومتسق [١٥٩] " .

ويضيف علماء التحليل النفسى [١٦٠] أن الدرجة التى يبلغها الإنسان فى استخدام تفكيره لتبرير **العواطف اللامعقولة** وأفعال طائفته ، تبين عظم المسافة التى ما زال على الإنسان أن يقطعها لكى يصبح إنسانا حكيما ومتعقلا . ولكن ينبغى علينا أن نتجاوز عن مثل هذا الوعى ، ونحاول فهم أسباب هذه الظاهرة وإلا وقعنا فى خطأ الإعتقاد بأن إستعداد الإنسان للتبرير جزء من "الطبيعة الإنسانية " (أى الفطرة) حيث لا سبيل الى تغييره .

ولتفسير هذه الظاهرة " **ظاهرة التبرير** " يقول علم النفس ، إن الإنسان فى أصلة حيوان يحيا فى قطيع ، وتتحدد أفعاله بدافع غريزى لإتباع الزعيم ، وبأن تكون له صلة وثيقة بالحيوانات الأخرى من حوله . وبقدر ما نكون قطيعا بقدر ما نكون فى أمان ، ولا يهدد وجودنا

---

[١٥٨] تطلق كلمة بارانويا Paranoia على نوع من الهذيان العقلي ؛ وهو شكل من التفكير المرضي الذي يخل بشكل كبير في علاقة الفرد مع الواقع والمنطق ويعبر عنه غالبا بأفكار غير منطقية يؤمن بها المريض بقوة وبقناعة مطلقة لا تقبل أي جدل ، على الرغم من أن أحدا لا يشاركه فيها . وكلمة بارانويا Paranoia مؤلفة من شطرين : Para : وتعني جانب ، و Noia : وتعني العقل ، أي مجانبة العقل والمنطق وهذا هو الهذيان . وقد يعاني الفرد المصاب بهذا المرض النفسي بإحساس زائف بأنه مضطهد (جنون الاضطهاد) ، أو بأنه إنسان عظيم ، وهو يدافع دائما عن نفسه بمنطق يملؤه كثير من الحزن نتيجة شعور الآخرين تجاهه .

[١٥٩] الحقيقة التى لم يدركها علماء النفس هنا ، هو أن الإنسان يدافع عن فطرية وجود " الله " فى نفسه . وهذا الإتجاه النفسى القوى يجعل من السهل على المرء بأن يضحى بمنطقه العقلى ، عن أن يضحى بإدراكه لوجود الله فى نفسه .

[١٦٠] " الدين والتحليل النفسى " آريك فروم ، ترجمة فؤاد كامل ، مكتبة غريب . ص : ٥٥ .

خطر أعظم من فقدان هذه الصلة بالقطيع ونصبح معزولين . والصواب والخطأ والحق والباطل أمور يحددها القطيع . ولكننا لسنا قطيعا فحسب ، بل نحن إنسانيون أيضا ، نملك الوعى بأنفسنا ، ونملك العقل الذى هو بطبيعته ذات مستقل عن القطيع . والصدع الحادث بين طبيعتنا القطيعية وطبيعتنا الإنسانية هو أساس نوعين من التوجيه ؛ توجيه بواسطة قربنا من القطيع ، وتوجيه بواسطة العقل .

والتبرير هو المصالحة بين طبيعتنا القطيعية وقدرتنا البشرية على التفكير ، وهذا ما يحدونا إلى أن نضفى طابعا من المعقولية على قراراتنا اللامعقولة . ولكن من حيث إنتمائنا الى القطيع ، فإن العقل ليس مرشدنا الحقيقى ، إنما يقودنا مبدأ مختلف تمام الإختلاف هو ولاؤنا للقطيع ..!!

وعلماء الاجتماع يقتربون جدا من هذا المعنى ، حيث يقومون بتسمية " **ظاهرة التبرير** " هذه باسم " **ظاهرة التكيف الإجتماعى** ، **والتى تأخذ طابع مجاراة الأخرين** " . ويعتبرون أن الدافع وراء هذه الظاهرة (أى ظاهرة التكيف الإجتماعى) ، هو أن الإنسان يرغب فى أن يفعل ما يتوقع منه الأخرون أن يفعله ، وبذلك يفقد الإنسان شخصيته ، ويصبح أسيرا لوعيه الإجتماعى بشكل مطلق ، وبالتـــالى يصبح " **إنسانا بلا شخصية** " كما يسميه بذلك جورج سيميل (أنظر تذييل رقم ١٩ من الفصل الأول) .

وازدواجية الفكر القائمة بين العقل وبين الذهن الذى يهدف إلى التبرير ، هى الثنائية الأساسية فى الإنسان ، والتى تمثل تعايش القيد والحرية معا . وتفتح العقل وظهوره الكامل يعتمد على بلوغ الحرية الكاملة والاستقلال . **وحتى يصل الإنسان إلى هذه المرحلة ، فهو يميل إلى قبول الحقيقة التى تقررها الغالبية العظمى من الجماعة** ، وما تصدره من أحكام تحدد حاجته إلى الإتصال بالقطيع ، وخوفه من الإنعزال عنه . **وقليل من الأفراد هم الذين يستطيعون أن يقولوا الحق على ما فيه من خطر فقدان الصلة بالقطيع . وهؤلاء هم الأبطال الحقيقيون للجنس البشرى ، ولولاهم لكنا الآن ما زلنا نعيش فى الكهوف .**

أما بالنسبة للغالبية العظمى من الناس الذين ليسوا أبطالا ، فإن نمو العقل عندهم يعتمد على ظهور نظام اجتماعى يحترم فيه كل فرد إحتراما تاما ، ولا يكون السعى فيه للبحث عن الحقيقة معناه عزل الإنسان عن إخوانه ، بل يجعله يشعر بأنه شىء واحد وإياهم .

ويبدو أن الإنسان لن يبلغ هذه القدرة التامة على الموضوعية والتعقل ، إلا إذا قام مجتمع للإنسان يعلو على الإنقسامات الجزئية للجنس البشرى ، حيث يكون الولاء للوجود البشرى ومثله العليا .

وننتهى الآن من أقوال علماء الاجتماع . ولكن لابد وأن أشير هنا إلى أن التفسير السابق ــ لعلماء النفس ــ بأنه قد أهمل فطرية وجود الله داخل النفس البشرية ، ولهذا لم يشيروا إلى هذه الفطرة من قريب أو بعيد . ولهذا قالوا :

أن " التحليل النفسى " قد برهن على الطبيعة المبهمة لعملياتنا الفكرية .

حيث يرى علماء النفس أن " **قوة التبرير** " أو هذا " **التزييف العقلى** " هى إحدى الظواهر الإنسانية المحيرة أشد الحيرة . والواقع ، أنه لا يوجد إبهام ولا حيرة إذا ما تنبهنا إلى أن "فطرية وجود الله داخل النفس البشرية " ، هى فطرة قوية وواضحة على نحو عام . وبناءا على هذه الفطرة تصبح " عمليات التبرير الدينى " تمثل ــ فى الواقع ــ عملية دفاع الإنسان عن وجود الله فى داخل النفس البشرية ، وإدراكها بوجوده ليس إلا . وبهذا ينتفى الإبهام ، وتنتفى الحيرة التى تصيب علماء النفس .

ولنا الآن وقفة للتأمل والتساؤل معا .. فإذا قلنا حسنا ..!! لقد أجاد علماء النفس فى وصف أو معرفة الدوافع الحقيقية وراء تبرير الأفراد لقبولهم لمثل هذه العقائد الوثنية .. لأن الأفراد كقطيع من الحيوانات ــ من منظور علماء الاجتماع ــ يغلب عليهم طابع الانتماء إلى القطيع على طابع الإنتماء إلى الله بدون وعى . أو كما يقول علماء الإجتماع بأن الإنسان أسير لوعيه الإجتماعى بشكل مطلق ، وبالتالى فهو يفعل ما يتوقعه منه الآخرون أن يفعله بغض النظر عن موضوعية ومنطقية هذا الفعل .

فإذا قلنا الآن .. حسنا ..!! فقد علمنا الآن سبب تبرير الإنسان وقبوله للوثنيات الفكرية عن الإله ثم قيامه بعبادة الأوثان ..!! فماذا عن الموقف الإلهى نفسه ؟ فماذا عن موقف الله ــ الخالق ــ وصاحب القرار الفعلي .. والذى جاء قراره فى قوله تعالى :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ... (٢٣) ﴾

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ٢٣)

أيكفى هذا " التبرير " بعد هذا القرار الإلهى أن يقبل " الله " الشرك به ..؟! فالشرك بالله (ﷻ) هو أعلى درجات ظلم الإنسان لنفسه .. كما جاء ذلك في وصية لقمان لابنه في قوله تعالى ..

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (٥٢) ﴾

(القرآن المجيد : غافر {٤٠} : ٥٢)

وبهذا المعنى لن يقبل " الله " (ﷻ) من الإنسان المشرك أو المنكر له أي عذر .. كما نرى هذا فى قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٥٢) ﴾

(القرآن المجيد : غافر {٤٠} : ٥٢)

وليس هذا فحسب .. فـ

﴿ .. إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٥٢) ﴾

(القرآن المجيد : غافر {٤٠} : ٥٢)

وهكذا ؛ لا يعطى " التبرير" ، الإنسان المشرك أو الكافر أو الملحد ، الحق الكافى فى أن يأتى يوم القيامه ليتساوى مع آخر مؤمن بالله وعارف له .. فالمعرفة أساسية في هذا الصدد .. كما جاء في قوله تعالى ..

﴿ ... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ (٩) ﴾

(القرآن المجيد : الزمر {٣٩} : ٩)

[وأولوا الألباب : هم ذوو العقول والفكر العالى ...]

وفى قوله تعالى :

﴿ ... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ (٥٠) ﴾

(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ٥٠)

وحتى لا يداخل الإنسان أى شك فى عدم الإستواء بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، وكذا لا يستوى الأعمى والبصير ، فإن الله ــ سبحانه وتعالى ــ يجمل هذه الفوارق فى الآيات التالية :

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ (١٩) وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّورُ (٢٠) وَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلاَ الأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي القُبُورِ (٢٢)﴾

(القرآن المجيد : فاطر {٣٥} : ١٩ - ٢٢)

وهكذا تحسم القضية فى عدم التساوى ، ونرى فى الآيات الكريمة أن الفكر الإلهى المحيط هنا لا ينبهنا إلى عدم إستواء الأضداد فحسب ، بل ينبهنا كذلك الى عدم إستواء أفراد الضد الواحد . ففى قوله تعالى : ﴿ ... وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلاَ الأَمْوَاتُ ... ﴾ تعنى أن الأحياء لا يستوون ، وكذلك الأموات لا يستوون ، كما وإن الأحياء والأموات لا يستوون . فالفكر الإلهى المحيط فى هذه الآيات يشمل المعانى الكلية فى عدم إستواء أفراد المستوى الواحد ، كما يشمل عدم إستواء أفراد المستويات المختلفة أو الأضداد .

كما وإنه ليس هناك قدرية فى قوله تعالى : ﴿ ... إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ... ﴾ ، بل هى المسئولية الفردية والحرية الشخصية فى السماع من عدمه . **فالمشيئه هنا متبادلة** ، بمعنى هى مشيئة الله ــ سبحانه وتعالى ــ كما وإنها مشيئة الفرد نفسه وحريته فى الإستماع .. كما جاء هذا في شكوى نوح (عليه السلام) لربه في قوله تعالى ..

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ﴾

(القرآن المجيد : نوح {٧١} : ٥ - ٧)

[جعلوا أصابعهم في آذانهم : حتى لا يسمعوه / واستغشوا ثيابهم : غطوا وجوههم بثيابهم حتى لا يروه]

إن الفرد المنكر لله ، والرافض لاعتناق الديانة الصحيحة لإنتمائه للقطيع ــ كما يقول بذلك علماء الاجتماع ــ ثم يلجأ للتبرير للتعايش مع الوثنيات الفكرية التى يجيء بها الدين مثله كمثل التلميذ الفاشل ــ فى سنة دراسية ما ــ فبدلا من أن يعمل فكرة ويبذل قصارى جهده فى دراسة وتحصيل المواد المقررة ، نراه يضيع وقته فى البحث عن المبررات والأعذار ، التى سوف يقول بها عندما يرسب فى الإمتحان . ولنا أن نذهب إلى أبعد من هذا ، ونسمع إلى من يقول : ربما كانت هذه الأعذار حقيقية وراء عدم إستذكار التلميذ لدروسه . فربما كان من أسرة غير مستقرة أو ربما كان من أسرة فقيرة ، أو ربما هلك أحد والديه أو كلاهما فى حادث أليم جعله لا يستطيع مواصلة دروسه ..!! وقل ما شئت من الأعذار المقبوله ، وسنقول له .. حسنا قل ما شئت من الأسباب الحقيقية ..!! فهل ــ نحن بنو البشر ــ نأخذ بهذه الأسباب أو الأعذار ــ حقيقية كانت أو مزيفة ــ عند الإمتحان ..!!

بديهى لا .. فإننا ــ نحن البشر ــ لا نقبل بهذه الأعذار عند الامتحان ، لسبب بسيط جدا ، وهو أننا لا يمكن أن نعطى إيجازة (أى شهادة) فى الطب مثلا لطالب لا يعلم من أمور الطب شيئا ، أو لم يحقق المعرفة الكافية لعلوم الطب ، تحت دعوى أن ظروفة الشخصية كانت عصيبة للغاية لم يستطع معها أن يذاكر أو أن يحصل مادة الطب . إذ كيف أعطيه إجازة لممارسة المهنة ، وهو الذى سوف يكون مسئولا عن علاج أرواح بشرية وهو لا يجيد المادة ..!! ألا يمكن أن يؤدى هذا إلى إزهاق أرواح آخرين ..!! ثم كيف نعطى إجازة فى الهندسه لطالب لا يعرف من العلوم الهندسية شيئا ؟ ثم يقوم هذا الطالب بتصميم عمارة سكنية ضخمة لا تلبث أن تنهار وتدفن سكانها تحت أنقاضها .

وحتى إذا قبلنا نحن بهذا المبدأ ، فهل القوانين الفيزيائية الحاكمة لنا ولهذا الوجود تقبل بهذه الأعذار .. بديهى لا .. فالخطأ فى تشخيص المرض سوف يودى بحياة المريض ، كما وإن الخطأ فى تصميم المبنى سوف يؤدى إلى إنهياره ، ودفن سكانه تحت أنقاضه ..

فالقوانين الفيزيائية هى سنن سرمدية لن تجد لها تبديلا أو تجد لها تحويلا بدافع الشفقه على جاهل أو بدافع الرحمة بغافل ..!!

وهكذا الخلاص الإنسانى ، ودخول الجنة يستلزم حد أدنى من الإيمان المبنى على العقل ، وإلا لما تم تركيب العقل ــ بهذا النحو ــ فى الإنسان ، إنها نفس القوانين السرمدية ، التى لا تتبدل ولا تتحول بدافع الشفقة على جاهل أو على غافل لا يستفيد من عقله ، ولهذا نجد قوله تعالى :

﴿ ... فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٣) ﴾

(القرآن المجيد : فاطر {٣٥} : ٤٣)

والسنة هى القانون السرمدى ، أى لا إستثناءات . وينبهنا المولى (ﷻ) إلى أن مثل هذه الأعذار لن تقبل من الفرد يوم القيامة ، ولننظر الى الفكر الفطرى ، والمنطق الفكرى المتعالى فى قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أن تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَة إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٧٤) ﴾

(القرآن المجيد : الأعراف {٧} : ١٧٢ – ١٧٤)

أى فلا أعذار ... (أنظر بند ٥ السابق لمزيد من شرح هذه الآيات الكريمة) . ثم نأتى إلى أئمة الديانات الوثنية ، فهم لن يحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة فحسب ، بل سوف يحملون أوزار من أضلوهم واتبعوهم أيضا ؛

﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٢٥) ﴾

(القرآن المجيد : النحل {١٦} : ٢٥)

[ألا ساء ما يزرون : ألا ساء الإثم الذى يتحملون]

ولننظر إلى الإحاطة الإلهية فى التعبير عند استخدام كلمة ﴿ .. وَمِنْ .. ﴾ فى السياق القرآنى ﴿ .. وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم .. ﴾ ، لتعنى أن أئمة الدين ــ الوثنى ــ مسؤلون فقط عن وزر الإضلال (أى وزر إضلال الأتباع) وما يتبعها ، أمّا الأوزار العادية الخاصة بكل تابع فهى تقع على كاهله الشخصى هو ، وليس على كاهل الأئمة . وقوله تعالى ﴿ ... يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ .. ﴾ يعنى أن جهل الأئمة أو حسن نواياهم لن يعفيهم من المسئولية ، وغير كاف لهم

فى العفو عنهم أو إفلاتهم من العقاب . وهكذا نؤكد للإنسان ؛ أنه ينبغى أن يدرك أنه أمام قوانين سرمدية لا تتبدل ولا تتحول بدافع الشفقة على جاهل أو الرحمة بغافل . **وهكذا الخلاص الإنسانى ، ودخول الجنة يستلزم حدا أدنى من الإيمان المبنى على العقل ، وإلا لما ركب العقل ــ على هذا النحو ــ فى الإنسان .**

إن " القضية الدينية " هى " قضية علمية " ، لذا لا ينبغى التعرض لها بجهل ، بل يجب التعرض لها بعلم كاف أو أن تترك لمن يستطيع أن يبين للناس .. على أسس حقيقية .. لا على خيال أو وهم أو فكر أسطورى ..!! وقد لعب أئمة الديانات الوثنية دورا أساسيا فى إضلال الأتباع أو الشعب ، فماذا يكون حسابهم ، إنهم فى النار ، ولن يعفى هذا ــ أى دخول الأئمة النار ــ الأتباع أو الشعب من العقاب .. فهم فى النار أيضا ، وسوف يتبرأ كل منهما من الآخر يوم القيامة ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ ... وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧) ﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ١٦٥ – ١٦٧)

[وتقطعت بهم الأسباب : أى لن يقبل منهم أى أعذار أو أى تبرير لأسباب ضلالهم ، وظلمهم للآخرين ولأنفسهم ، كما يمكن أن تستوعب كلمة " الأسباب " أيضا معنى الوصل الذى كان بينهم فى الحياة الدنيا من الأرحام والمودة / حسرات : جمع حسرة ، والحسرة هى أشد الندامة]

أهناك منطق فكرى وإحاطة علمية أبعد من هذا ..!! إنها جزئية فقط من الدين . ومازلت أكرر ، إننا لسنا بصدد " **قضية تبشيرية بدين ما** " ، بقدر ما نحن بصدد " **قضية خلاص الإنسان نفسه** " ، ونجاتــه إذا ما حقق الغايات من خلقه .. فهل وعى الإنسان هذا .. وأدرك ذلك ..!!

١٣ ــ الدين والقصور الحالى فى تعريفه ..

عند تصفح كتب الديانات المختلفة ، وكتب علم الإجتماع ، فإننا لا نجد تعريفا محددا للدين . بل نجد تعاريف كثيرة مختلفة ومتباينة بدرجة تدعو للدهشة ، فنجد كل هذه التعاريف تعكس خبرات اجتماعية أو دينية خاصة للقائلين بها ، أو ربما تمثل تجارب ذاتية للكاتب أو الفيلسوف الذى يتناول القضية الدينية أو القضية الإجتماعية بالتحليل . كما يعكس البعض منها فكرا خاصا نابعا من تجربة صوفية [١٦١] يغذيها إلهام دينى خاص يحس به أو يدركه الفرد القائل به فقط . كما نجد كذلك بعض هذه التعاريف لم يتجاوز الوصف الظاهرى لواقع الجماعة الدينية الموجودة فعلا ، وبهذا لا يتعدى التعريف ظاهر الفعل ، إلى الدوافع الحقيقية وراء هذا الفكر الدينى ، والإعتقاد فيه .

وعموما فإننا نجد جميع هذه التعاريف المتاحة للدين قاصرة عن إعطاء المعنى الحقيقى له ، كما نجد أن جميعها تشترك فى سمة أساسية واحدة هى :

" إضفاء الدور السلبى على " الإله " فى جميع هذه الصياغات "

بمعنى إننا نجد أن جميع هذه التعريفات تعنى فقط " **بما يعنيه الإنسان بالدين** " ، ولا تعنى " **بما يعنيه الله بالدين** " . كما تخلو جميع هذه التعريفات من أى قيود ملزمة ، أو أى قيود يجب توافرها فى النظام الفكرى ليكون دينا . ومن ثم ؛ إذا ما أضيف إلى هذه التعاريف القاصرة فطرية وجود الله فى النفس البشرية ــ كما سبق وأن بينا فى بند رقم ٧ السابق ــ فإنها تقود مباشرة إلى ظاهرة تعدد الأديان التى نراها عليه الآن .

فأنعدام الشروط الواجب توافرها فى الدين ، والإكتفاء بتعريف قاصر للدين ، تجيز أى " **نظام فكرى** " ــ مهما كانت المضامين الخاصة به ــ على أن يكون " **دين** " ، طالما أن هذا النظام يحوى " **المعبود** " أو " **الإله الخاص به** " ، كما يحوى قليل من بعض قوانين مكارم الأخلاق ، حتى وإن كان ــ هذا النظام ــ مستغرقا فى كم هائل من الوثنيات الفكرية .

---

[١٦١] التجارب الصوفية عموما هى خبرات ذاتية وخاصة ، لا يستطيع إدراك معانيها أو معانى كلماتها ــ بالمفهوم العريض لها ــ إلا صاحب التجربة أو من سلك طريقا مشابها لها . والطرق الصوفية لا تستلزم قدرات أو مواهب خاصة للفرد الذى يريد أن يسلك هذه السبل ، فكل المطلوب هو صحة النية والمثابره فى السير على هذا الدرب .

obeikandl.com

والنتيجة الطبيعية لهذا الفكر تنبع مباشرة من اعتيادنا الحديث عن " **أديان العالم** " [١٦٢] أو حتى " **أديان العالم الكبرى** " ، حيث نجيز ــ بهذا الإعتياد ــ هذه النظم الفكرية كلها على أنها ديانات ، طالما أن كلا منها يحقق الشروط الفضفاضة والمفاهيم العامة جدا لهذه التعاريف القاصرة للدين . متناسين فى ذلك الاعتبارين الأساسين التاليين :

- **إذا ما قلنا بإله واحد ، فبديهى لن يوجد إلا دين واحد ينبع من هذا الإله .**
- **وطالما الأمر كذلك ، لذا يجب أن يؤخذ فى الاعتبار المنظور الإلهي للدين .**

فبديهى أن الدين هو قضية مشتركة أحد طرفيها هو " الله " (ﷻ) والطرف الآخر هو " **الإنسان** " . لـــذا فمن المتوقع أن يكون هناك منظور إلهي للدين ، إلى جانب المنظور الإنساني له . بل أن المنظور الإلهي للدين هو المنظور الأهم ، حيث يقف الإنسان منه موقف المتلقي من الله (ﷻ) أو موقف المتطلع إلى الفكر الإلهى فى هذا الصدد . بل وسنذهب إلى أبعد من هذا ، ونقول إذا ما عنى الدين بالإجابة على الأسئلة التالية :

- **لماذا الدين .. وما هي الغايات منه ؟**
- **وما هو دور الدين في حياة الإنسان ؟**

فإن الإنسان سوف يفقد دوره تماما فى تعريف الدين ، ويصبح التعريف كله منوط بالفكر الإلهي فى هذا الصدد . فالإنسان غير مؤهل فطريا (By Default) ، كما إنه غير مؤهل

---

١٦٢ كلمة " دين " بالمعنى اللغوى الشامل ؛ تشمل الدين الصحيح وغير الصحيح ، وقد جاء هذا المعنى فى القرآن المجيد فى آيات كثيرة منها :

﴿ أَمْ لَـــهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَـــهُم مِّنَ الـــدِّينِ مَالَمْ يَـــأْذَن بِهِ اللَّهُ ... (٢١) ﴾
(القرآن المجيد : الشورى {٤٢} : ٢١)

وكقوله تعالى :

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِـــيَ دِينِ (٦) ﴾
(القرآن المجيد : الكافرون {١٠٩} : ٦)

كما يسمح الإسلام بوصف أصحاب هذه الديانات المخالفة بأنهم أهل كتاب ، أى عندهم كتاب فحسب ولا يعنى هذا صدقه ، ولهذا لا يسمح بوصف دياناتهم بأنها سماوية .. فقد وصفهم بالشرك والكفر وأن مصيرهم الخلود في النار ؛ كما سنرى ذلك فى الفصل التالى .

عقليا كذلك ، للتنبؤ بالمقاصد الإلهية في هذا الصدد . كما وأن دوره محدد للغاية فى هذا الشأن ، كما سبق أن بينا فى بندى ٥ ، ٦ السابقين . لذا لزم أن يكون لنا هنا وقفة صدق مع أنفسنا ، لنتتبع معنى الدين كما يفهمه الإنسان ــ إنسان القرن الواحد العشرين ــ وهل أصاب الإنسان فى فهمه للدين ، أم أن فهمه للدين مازال خطأ .

والآن ، فإن ما يعنينا فى هذه الفقرة ، فهو عرض أشهر التعاريف المتاحة للدين ، ومناقشة قصورها والنتائج المترتبه عليها . وليس فى هذا الأمر أى فلسفة كما قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة ، بل أن الأمر أخطر من أن يحسب . ففى الحقيقة ؛ أن الوضع المتردى للإنسان الآن تجاه الدين ، من اعتناقه لوثنيات فكرية من جانب أو رفضه للدين من جانب آخر ، إنما مرده إلى النتائج المترتبة على الصياغة الخاطئة لتعريف الدين .

ونؤكد القول بأن حاضر الإنسان ومصيره يكونان معلقان بمدى فهم الإنسان السليم لمعنى (أو تعريف) الدين الصحيح ، وكذا فهم دور الدين فى هذه الحياة ، وكذا القصد الإلهى منه . فالإنسان لم يخلق بغير هدف أو معنى فى هذا الوجود ، كما سبق وأن رأينا فى قوله تعالى :

﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍ يُمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى (٤٠) ﴾

(القرآن المجيد : القيامة {٧٥} : ٣٦ - ٤٠)

إذن فالإنسان لم يخلق سدى [١٦٣] ، أى بغير هدف أو معنى ، كما وأن خلق الإنسان ليس عبثا أيضا .. كما جاء في قوله تعالى ..

---

١٦٣ لن نتعرض هنا لما ورد ذكره من معان علمية فى هذه الآيات الكريمة ، ولكن نكتفى هنا بالإشارة إلى ضمير الغائب فى كلمة " منه " فى الآية الكريمة " فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى " ، لنرى أن " منى الرجل " أساسا ، هو الذى يحدد نوع الجنين من ذكر أو أنثى . وهى حقيقة علمية لم تكتشف إلا حديثا جدا ، وقد أشار إليها القرآن المجيد بحرف واحد هو حرف " الهاء " فى كلمة " منه " ، وهذه هى النصوص الإلهية ، وهذا هو الإحكام الإلهى فى السرد ، الذى يستدق ليصل إلى أن يكون لكل حرف له دلالته المحكمة الخاصة به . وسنأتى إلى مزيد من التفاصيل العلمية فى : " الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) ﴾

(المؤمنون {٢٣} : ١١٥ - ١١٦)

كما وإنه ليس لهوا إلهيا .. كما جاء في قوله تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ (١٧) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٨) ﴾

(الأنبياء {٢١} : ١٦ - ١٨)

[يدمغه : يهلكه / زاهق : مضمحل / مما تصفون : مما تصفون به الله]

وهكذا ؛ يؤكد المولى (ﷻ) على أن قضية الخلق بصفة عامه ، ومنها قضية خلق الإنسان بوجه خاص ، يجب أن يفهم أن لها حكمة إلهية متعالية ، وغايات محدده . فهى ليست عبثا أو لهوا إلهيا ، فإن مثل هذا التجاوز الفكرى الخاطئ مرفوض تماما ، لأن هذا الفكر يتناقض تماما وفكر الكمالات الإلهية الواقعة . لذا لزم التنويه بالوعيد فى الآية الكريمة السابقة ﴿ ... وَلَكُمُ الوَيـْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ ، يا من تتقولون بهذا ، وتصفون به الله من تجاوزات فى الفكر ، وبمعانى لا تليق بهذه الذات .

والآن إذا ما ذهبنا إلى تعاريف الدين المختلفة عند الغرب ، فإننا نجد أن موسوعة أديان العالم [١٦٤] تتبنى تعريف الدين كما جـاء به قاموس أكسفورد ، حيث يعرف الدين على أنه :

" التسليم أو الاعتراف بوجود قدرة متحكمة فوق بشرية ، وخصوصا الإله ذو الطبيعة الواعية ، وهذه القدرة تدعى الحق فى إطاعتها [١٦٥] "

١٦٤

" World Religions, From Ancient History to Present ", Geoffrey Parrinder , New York ; pp. ٩.

فكما نرى ، فأن هذا التعريف لا يفيد من قريب أو بعيد فى تحديد طبيعة تلك القدرة الفوق بشرية وماهيتها ، ولم يقل لنا التعريف . هل هذه القدرة هى التى خلقت الإنسان ، أم أن الإنسان مخلوق بغيرها . وهل هذه القدرة خالقة ــ بوجه عام ــ أم هى قدرة مخلوقة بدورها . كما لم يقل التعريف بوجود أى كمالات لهذه القدرة ، أم إنها قدرة خالية من الكمالات . وطاعة هذه القدرة ــ كما يبدو من التعريف ــ هى طاعة إختيارية ، وليست ملزمة للإنسان . كما لم يقل لنا التعريف على ماذا نطيع هذه القدرة .

وتعريف الدين على هذا النحو يعطى الشرعية الكاملة لكل الأديان بالتواجد على المسرح الإنسانى ، أو الساحة البشرية بدون إستثناء ، لأن جميع الأديان تحقق مضمون هذا التعريف . ففى داخل كل دين يقول الأتباع بوجود مثل هذه القدرة المهيمنة ، وبهذا تصبح كل الأديان صحيحة من وجهة نظر هذا التعريف ؛ ولتبق مشكلة تعدد الأديان ــ القضية الأزلية ــ قائمة كما هى الآن .

أما إذا إنتقلنا إلى التعريف الأمريكى للدين كما جاء فى " قاموس الميراث الأمريكى : The American Heritage Dictionary " ، فإننا نجده يقول بأن الدين هو :

" الإيمان فى والشعور بالورع تجاه قدرة فوق الطبيعة ، يعترف بها بأنها القدرة الخالقة والمتحكمة فى هذا الكون [١٦٦] "

وربما كان هذا التعريف أكثر تخصيصا من سابقه ، إذ ربط الدين بالإيمان بخالق ، وإن هذا الخالق هو المتحكم فى الكون . وعلى الرغم من هذا التحديد فى المعنى ، إلا إنه لم يختلف كثيرا عن سابقه . فهو لم يحدد لنا ماهية هذا الخالق وطبيعته . كما وإنه لا يضيف جديدا للفكر البشرى تجاه الدين . فالقول بوجود الإله الخالق ، وإن هذا الإله الخالق هو المهيمن على هذا الكون ؛ هو قول موجود فى كل الأديان ، والأتباع (أو الشعب) فى كل الأديان يؤمنون بهذا .

---

[١٦٥] صياغة هذا التعريف عن الدين باللغة الإنجليزية هو كالنحو التالى :
" The recognition of superhuman controlling power , and especially of a personal God , entitled to obedience " .

[١٦٦] وصياغة هذا التعريف باللغة الإنجليزيه هو كالآتى :
" Belief in and reverence for a supernatural power recognized as the creator and governor of the universe . "

بل وسنذهب إلى أبعد من هذا ونقول أن العرب قبل نزول الإسلام ، كانوا قوم شرك ، فقد كانوا يعبدون الأصنام ، وذلك على الرغم من أنهم كانوا يعتقدون فى أن الله هو الخالق لهم ولهذا الكون ، ويأتي هذا المعنى في قوله تعالى :

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٦١) ﴾

(القرآن المجيد : العنكبوت {٢٩} : ٦١)

[فأنى يؤفكون : تعنى كيف إذن يصرفون عن توحيد الله ــ سبحانه وتعالى ــ مع إقرارهم بهذا كله]

ولكن الأصنام هى التى كانت تعبد وليس الله ، فقد كانوا يعتبرونها الوسيلة التى تقربهم إلى الله وترفع درجتهم ومنزلتهم عنده ، لقوله تعالى :

﴿ ... وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ... (٣) ﴾

(القرآن المجيد : الزمر {٣٩} : ٣)

[زلفى : تقربا أو قربا]

وعلى هذا ؛ فإن التعريف الأمريكى لا يحدد لنا ديانة ما ، بل حتى لا يستطيع أن يستثنى الفئات المشركه ، وعبدة الأصنام من أن تنضم تحت لواء الدين بهذا المفهوم . ولتتساوى إذن الأديان أمام هذا التعريف ، ولتبق مشكلة التعدد (تعدد الأديان) قائمة بلا حل ..!!

وإذا كانت هذه هى التعاريف القياسية والمعتمدة لدى أهل الغرب ، فما هى تعاريف الدين لدى العلماء والفلاسفة . يقول عالم الإجتماع " **أميل دوركايم** " [١٦٧] فى تعريفة بأن :

" الدين هو مجموعة متساندة من الإعتقادات والأعمال المتعلقه بالأشياء المقدسة ؛ إعتقادات وأعمال تضم أتباعها فى وحدة معنوية واحدة تسمى الملة "

---

[١٦٧] أميل دوركايم : Emile Durcheim (١٨٥٨ - ١٩١٧) فيلسوف فرنسى (يهودى الديانة) . أحد مؤسسى علم الإجتماع الحديث .

وهو تعريف مشابه إلى حد كبير مع ما جاء به قاموس وبستر الموسوعى [١٦٨] . فكما نرى ، أن أميل دوركايم ، قد حذف من هذا التعريف فكرة الله تماما ، أو فكرة الخالق من مفهوم الدين ، حيث لم يقل لنا بتعريف ماهية وطبيعة الأشياء المقدسة . وبهذا لا تتساوى الأديان فقط أمام هذا التعريف ، بل يضم هذا التعريف أيضا المذاهب الفكرية الأخرى ، من إلحاد وعلمانية ومادية ... وما إلى ذلك من المذاهب المختلفة ، طالما أن المذهب الفكرى يحوى إعتقاد ما لمجموعة من الأفراد التابعين له ، وطالما أنه يمكن إسناد القدسية ـ بالتعريف ـ لهذا الإعتقاد . وهذا التعريف يلتقى فى مفهومه أيضا مع ما قال به "**سالمون ريناك** " ، فالدين عنده :

" هو مجموعة من التورعات التى تقف أمام الحرية المطلقة لتصرفاتنا "

فهذا التعريف لم يكتف بحذف فكرة الإله أو الخالق من الدين ، بل ويجعل من الدين قيودا مفروضة على الإنسان ، مما يوحى بضرورة التخلص منه . ولا ندرى ـ من وجهة نظر ريناك ـ من الذى فرض هذه القيود . هل الإنسان نفسه ، أم أن قوى أخرى علوية هى التى فرضت عليه مثل هذه القيود .

وعموما فإن تعريف الدين لدى كل من **أميل دوركايم** ، **وسالمون ريناك** يجعل من كل المذاهب الفكرية الأخرى أديانا . وهما بهذا يؤكدان ـ بدون قصد ـ عدم مقدرة الإنسان الإنفصال عن الدين والتدين . فإن لم يجد الإنسان بغيته المنشودة فى دين يرضى ذكاؤه وفطرته ، فعليه أن يذهب للبحث عن الدين والتدين فى مذهب فكرى قاصر لعله يملأ الفراغ النفسى الذى يتركه الدين والحاجة للتدين فى النفس الإنسانية .

فإذا إنتقلنا إلى الفيلسوف الألمانى " **كانط** [١٦٩] " فى كتابه " **الدين فى حدود العقل** " نجد أن تعريف الدين لديه يقول بأن :

---

١٦٨ " قاموس وبستر الموسوعى المطول : Webester's Encyclopedic Unabridged Dictionary " ، ويأتى أحد هذه التعريفات فيه كالنحو التالى : " هى مجموعة من الإعتقادات الأساسية والممارسات ، التى يتفق عليها بصفة عامة عدد من الأفراد أو الطوائف ، مثل الديانة المسيحية :

A specific fundamental set of beliefs and practices generally agreed upon by a number of persons or sects : the Christian religion . "

١٦٩ عمانويل كانط Immanuel Kant (١٧٢٤ - ١٨٠٤) : فيلسوف ألمانى . يعتبر أحد أعاظم الفلاسفة فى جميع العصور .

" الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية "

ولم يحدد لنا " كانط " ماهية الأوامر الإلهية . فإن أحسنا الظن ، فربما يقصد الجانب الأخلاقى فى الدين ، أو الضمير الفطرى الأخلاقى فى الإنسان . وفى هذا التعريف لا نجد كلمة واحدة قيلت عن الإله ، سواء تعدد أو تنزه أو توحد . وهو بهذا التعريف لم يضف جديدا إلى تعريف الدين والتدين ، ولم يمنع وثنيات أخرى من أن تنضم إلى الدين . فنحن نعلم أن جميع الأديان وثنية كانت أو وضعية ، لابد وأن تشغل الأخلاق حيزا فيها أو جانبا منها .

ويقول " **ماكس ميللر** " فى تعريفه للدين أن :

" الدين هو محاولة تصور مالا يمكن تصوره ، والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه ، هو التطلع إلى اللانهائى ، هو حب الله "

كما يقول بمعنى مشابه لهذا " **روبرت سبنسر** " ، فيعرف الدين بأنه :

" الإيمان بقوة لايمكن تصور نهايتها الزمانية والمكانية "

وربما نلمس فى هذين التعريفين مسا خفيفا للإدراك الفطرى لدى الإنسان عن " وجود الله " ، سبحانه وتعالى . ولكن هذه الأقوال ليست تعريفا للدين بقدر ما هى إنفعال ذاتى "بالحضرة الإلهية " ، أو بمعنى آخر الإحساس الفطرى بوجود الله فى النفس البشرية . فإذا ما قبلنا بهذه التعريفات للدين ، فإننا نستطيع أن نقول بأنها تعريفات غامضة تفرض على معتنقيها أن يؤمنوا بما لا تقبله عقولهم ، ولا تتصوره أذهانهم ، وهما بهذا ينفصلان بالعقيدة عن العقل .

وربما كانت هذه أشهر التعاريف المتاحة للدين لدى الحضارة البشرية . والآن إذا ما استثنينا تعريف كل من أميل دوركايم ، وسالمون رياناك للدين ؛ وهما التعريفان الذان يسويان بين الأديان والمذاهب الفكرية المختلفة ؛ فإننا نجد من منظور التعاريف المتاحة ، أن كل دين يحوى " إلهه " أو القوة العليا المهيمنة الجديرة بالعبادة والطاعة . وبالتالى فإن الجماعة ليست مضطرة لمغادرة هذا الفكر للبحث عن الإله فى ديانة أخرى لعبادته . فإذا ما أضفنا إلى ذلك قبول الجماعة لمبدأ الميثولوجى (**Mythology**) ، أى إسطورية الدين أو إسطورية الدين والإله معا ، فإن " القضية الدينية " تصبح " قضية غيبية " تحكمها قوانين ميتافيزيقية (**Metaphysics**) لا تمت للواقع الفيزيائى بصلة . وبذلك يصبح الدين من هذا المنظور "

بناءا أسطوريا " متكاملا ، يرضى العامة أو الغالبية البسيطة ، حتى وإن ترك باب الشك والرفض مفتوحا على مصراعيه لدى القلة المفكرة .

ومن جانب آخر ؛ يصبح الانتقال من ديانة إلى ديانة أخرى ــ من الناحية الفكرية ــ موضوعا غير ذى قيمة ، فالفكر الأسطورى (أو الميثولوجى) هو الفكر السائد فى كل الأديان . حتى وإن وجد بعض الخلافات فى بعض المضامين الدينية ، فإنها غالبا ما تكون غير ذى قيمة أو بال أو ما إلى ذلك . ونصبح ــ الآن ــ كمن **يقايض فكرا أسطوريا بفكر أسطورى آخر** ، ويصبح الموضوع برمته ــ إذن ــ غير موضوعى . ومن ثم يصبح الإنتقال من ديانة إلى ديانة آخرى ــ من الناحية الإجتماعية ــ مغامرة بلا عائد . وتصبح القدرية هنا ملزمة لفكر الفرد ، ويصبح من الأمان عدم مغادرة الفرد لفكر الجماعة ــ على الأقل ــ لتجنب المشاكل الإجتماعية الناجمة عن هذا ، ونبذ المجتمع له .

ولا غرو (ولا عجب) بعد ذلك أن تصبح الأديان ــ بهذه التعريفات القاصرة ــ كالجزر المستقلة فى محيط لانهائى ، لا يمكن الربط بينها ، حيث يحوى كل منها على الإله المعبود وبعض من مكارم الأخلاق فى خضم هائل من الوثنيات الفكرية ، وبذلك يصبح الفرد أسيرا لوجوده فى الديانة (أيا كانت) ، **حيث يفقد التوجه الصحيح الى " الله " والذى يعتبر (هذا التوجه) ــ كما سنرى ــ العلة الغائيـــة من خلق ووجود الإنسان وأساس خلاصة ومصيره .**

وليس هذا كل عيوب التعريف القاصر للدين ، بل هناك سمة أخرى لا تقل خطورة عما سبق ذكره ، وهى إيجاز (أى جواز تمرير) الأديان الخاطئة . فالتعريف القاصر للدين لا يجعل من العسير فقط بل ومن المستحيل أيضا وضع الشروط أو المقاييس (The measures) اللازمة لتحديد هوية الديانة الحقة من بين الأديان الباطلة . وعدم وجود مثل هذا المقياس يجعل الحكم على الأديان عشوائيا وشموليا ، حيث تصبح المقارنة بينها دربا من المستحيلات ، طالما لا يوجد المعيار المطلق او المعيار الصحيح لإدراك الحقيقة فيما بينها . وبهذا يتساوى الخطأ بالصواب ، وتضيع الحقيقة برمتها أو كلية من بين يدى الإنسان ، ليقف الإنسان عار تماما .. ووحيدا تماما .. لا يغلفه إلا العجز فى هذا الوجود . **ويحكم مصيره الصدفة البحتة وحدها فى تواجده داخل الديانة الصحيحة منذ ميلاده ..!!**

وكما سنرى إننا كلنا نشارك فى هذه المسئولية ، فالأخوة الإنسانية تحتم علينا ، كما يحتم علينا ذلك أيضا " الله " ، فى أن نتساند ــ كما تساندنا فى مجال العلم والتكنولوجيا ــ لإدراك الحقيقة الكلية .. وعلى الرغم من البساطة الشديدة لإدراك هذه الحقيقة ، إلا إنها بعيدة المنال لعدم إدراك الإنسان للمعنى الحقيقى أو المفهوم الصحيح للدين ، وبالتالى خطؤه فى صياغة التعريف الخاص به .

وعلى الإنسان أن يتنبه ــ وسوف أكرر ذلك مرارا على مدار الكتاب ــ أن القضية التى أعرضها فى هذا الكتاب ليست " **قضية تبشيرية** " ، كما قد يظن البعض ، أو يتراءى للبعض الآخر ، ولكنها قضية جوهرية تتعلق بوجود الإنسان ذاته ومصيره هو .. فالإنسان (مستقلا) هو الخاسر الوحيد فى هذا الوجود .. مالم يدرك هذه الحقيقة .. فالإنسان مغادر لهذه الحياة .. مغادر لهذه الحياة .. طال عمره أو قصر .. وسيواجه بالحقيقة المطلقة .. وسيفاجأ بأنه لم يمت .. **ولكنه إنتقل فقط من الفصل الأول من السيناريو الإلهى إلى الفصل الثانى من نفس السيناريو** .. ليحاسب على ما فعل بعقله الذى أودعه " الله " فيه . فالإنسان يتم إختباره فى هذه الحياة فى قضية دون مستوى ذكائه الفطرى (**The default Intelligence**) بكثير ، الذكاء الذى ركبه الله فيه لحكمة التعرف عليه (أى التعرف على الله خالقه) ، وكان عليه أن يجتاز هذا الإختبار بنجاح .. فهل نجح الإنسان فى هذا الإختبار ..؟!

ولينصت الإنسان ، إلى صوت العقل والمنطق الفكرى المتعال ، بلا غيبيات ، إلى قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ إِتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قالوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيهِ ءاباءَنا أَوَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلونَ شيئاً ولا يَهْتَدُونَ (١٧٠) ومَثَلُ الَّذينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذى يَنْعِقُ بما لا يَسْمَعُ إلا دُعاءً ونِداءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ (١٧١) ﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ١٧٠ – ١٧١)

[ألفينا : ما وجدناه وما ألفناه]

وفى إيجاز شديد نقول .. بديهى إن المنطق الفكرى فى هذه الآيات الكريمة فى متناول الجميع . فالقرآن المجيد يقول .. لأصحاب الديانات الوثنية .. للكفرة .. للملاحدة .. لأصحاب المذاهب الوضعية .. **﴿ ... إِتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ... ﴾** ، فيقولوا : **﴿ ... بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيهِ ءاباءَنا ... ﴾** ، أى نتبع ما وجدنا عليه آباءنا وألفناه . فما الموقف إذن **﴿ ... لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلونَ شيئاً ولا يَهْتَدُونَ ﴾** ، أيكون هذا منطقيا ..؟! فهل هذا هو العقل ؟ بل هل هذا هو الإنسان ؟

أنتبع الآباء حتى لو كانوا قد فقدوا عقولهم أو كانو ضالين ..!! أنتبعهم على الرغم من هذا ..!! فليتبعهم الإنسان إذن ، وليجنى على نفسه ، وعليه أن يدفع الثمن .. ثمن هذا الضلال !!

ويضيف القرآن المجيد أيضا وبطريقة ضمنية ، فى الآيات السابقة ، أن التبرير لأى كفر (مثل برهان الملحد أو الشيوعى أو العلمانى أو الوجودى على عدم وجود الله ، أو قبول أصحاب الديانات الوثنية لدياناتهم) كمن يتكلم بما لايسمع ، لأنه لو سمع ما يقوله لعقله ، وإن عقله ما كان ليقول به ..

واستخدام المولى عز وجل لكلمة ﴿ .. يَنْعِقُ .. ﴾ ــ فى الآيات السابقة ــ لها دلالة أعمق من تحاط ، فــ " **النعيق** " هو " **صوت البوم** " ، والبوم لا تجده إلا فى الخرائب . وهكذا يصبح صوت الإنسان القائل بالبراهين الدالة على عدم وجود الله أو القائل بتبرير الديانة الوثنية ، هو شاهد صدق على أن عقله وفكره ونفسه قد خربوا جميعا ..!! ليصبح الإنسان من الخرائب . وهكذا قد خرب الإنسان ــ بهذا ــ نفسه بنفسه ..!! وأنظر إلى الترتيب المحكم فى الآية الكريمة ﴿ ... صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾ ؛ فالبكم نتيجة طبيعية للصمم ، وتقديم الصمم على العمى له دلالة عميقة ، فالأصم يفقد الكثير مما لا يفقده الأعمى ..

هذا ــ فى عجالة مختصرة إختصارا شديدا ــ بعض من الفكر الإلهى المحيط ، فى آيتين فقط .. من آيات القرآن المجيد . فأى تطاول بعد هذا .. من إنسان بلغ منه الضعف مداه .. وكساه العجز من كل اتجاه .. ومع ذلك فهو يعرض عن رحمة الله التى يهديها إليه .. كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَــفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانَ ضَعِيفًا (٢٨) ﴾

(القرآن المجيد : النساء {٤} : ٢٨)

ولا نملك إلا التذكير بقوله تعالى للإنسان :

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِــذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٩) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (٥٠) ﴾

(القرآن المجيد : المرسلات {٧٧} : ٤٩ – ٥٠)

لعلنا نجد من يتذكر أو يخشى .

١٤ ــ قانون الخلاص الفطرى ..

فى الواقع ؛ تأتى كلمة خلاص (salvation) ــ فى الفكر الغربى ــ بمعنى تحرير النفس البشرية وتخليصها من الخطيئة . كما تأتى هذه الكلمة أيضا بمعنى النجاة . ويعتقد الإنسان فى أن النتيجة الطبيعية للنجاة أو لهذا الخلاص هو السعادة المأمولة للإنسان فى حياة تدوم إلى الأبد . ويختلف مفهوم الخلاص للإنسان اختلافا جذريا من ديانة إلى أخرى .

ففى الديانة البوذية ؛ نجد أن الخلاص ؛ يتمثل فى الهروب من آلام الحياة ، وذلك بالتخلص من تكرار مولد الإنسان على هذه الأرض ، والوصول إلى حالة من السكون ــ أشبه ما تكون بالعدم ــ وتسمى هذه الحالة : بـ " النرفانا : Nirvana " . فالبوذية تؤمن بتناسخ الأرواح ، أى أن الإنسان يخضع لدورة تناسخ مستمرة من الميلاد والموت فى حيوات متكررة . وتعتقد البوذية أن أداء الإنسان يترقى فى هذه الحيوات المتكرره . وعندما ينجح الإنسان فى القضاء على الأنانية ، والتحرر من الهوى وسلطان النفس ، ويفقد رغباته فى كل شىء ، حتى يكون أقرب ما يمكن إلى الجماد منه إلى الحيوان ، هنا فقط يتوقف تكرار مولده ، حيث لا يكون هناك داع لهذا التكرار بعد أن أصبح ــ الإنسان ــ على هذا الوضع الجمادى ، ويكون له الحق الآن فى السكون الأبدى ، **الذى ينتهى به إلى حالة من العدم أو الفناء التام .**

****

ولكى نعطى فكرة عن متى يتوقف تكرار المولد فى الديانة البوذية ، نورد هنا بعض مقتطفات من الأدب الهندى الذي يبين هذا الفكر :

[عاشت ياسودهرا ــ زوجة غوتاما بوذا مؤسس الديانة البوذية ــ فى كوخ على مدخل مدينة (راج غاها) ، .. ، وكان إبنها الوحيد "راهولا " يكلمها مرة واحدة فى السنة ، أما السيد المبارك (يعنى بوذا) فكانت لا تراه . وعندما توجه السيد إلى التل ليحرك عجلة الإرشاد أمام الجمع ، بالقرب من الكوخ ، وليس معه إلا " آنندا " إبن عمه ومريده الأول ، فقال له السيد : يا " آنندا " ، لقد حانت ساعة " ياسودهرا " ، أى إقتربت لحظة موتها .

وهنا إنتهز " آنندا " الفرصة ، وأجابه وهو يرتعد : ألا يرى السيد أن يتكلم معها ؟ فأبدى السيد موافقته دون أن يفوه بكلمة . وفى الكوخ وجدا عجوزا شمطاء حليقة الرأس ذابله ، عيناها كالسراج الذى نضب زيته ، خائرة القوى ، ترتعد ، وهتفت لزوجها قائلة : قد

أطاعت الأمة سيدها ، ودخلت النظام منذ أن أذن لها ، والحمل ثقيل الذى حملته أضعه الآن على الأرض ، إنه لم يبق فى نفسى بذر للحياة . وسقطت فاقدة النطق .

قال " آنندا " : إنها وصفت حملها بأنه ثقيل ، هل كان لها أن تتكلم بمثل هذا إن كانت تريد النجاة ؟
وأجابه " كاتا " أحد المريدين : إنها ماتت حيث تولد من جديد . واستأنف بوذا سيرة ومعه تلاميذه ومريدوه .] [١٧٠]

****

وهكذا نرى أنه ما كان ينبغى لـــ " ياسودهرا زوجة بوذا " أن توصف حملها أى حياتها بالثقل ، على الرغم من التقشف البالغ والقسوة الشديدة التى كانت عليها ، وبالتالى لم تستحق نيل الخلاص وبالتالى لم تستحق النجاة ، هذه هى البوذية ، وهذا هو الخلاص فى البوذية ، فهو سلوك أو طريق غير معرف ، لرؤية تكاد تكون معدومة عن وجود فى الدرك الأسفل ، ومصير جمادى . ثم تتكرر حياتها وهى ــ كالبلهاء ــ لا تدرى عن هذا شيئا ؟ ولا تستطيع أن تصحح ما فات بدون خبرة حياتها السابقة ..!!

وفى الواقع ؛ يمثل هذا الإعتقاد حالة من نضوب الفكر والقدرة الإلهية . فكما يبدو من هذا الفكر ، إن الإله ليس لديه إلا الأرض ، والحياة المألوفة عليها بصورها المختلفة ــ فكما يبدو إن هذا كل ما يملكه الإله ــ حيث يقوم الإله بعقاب الإنسان وإثابته بتكرار ما يعرفه ، ثم ينتهى ــ الإله ــ بالإنسان إلى لا شىء أو إلى حالة من الفنـــاء أو العدم . وليت الإله يعيد مولد الإنسان بذاكرة [١٧١] عن الحيوات السابقة حتى يستطيع الإستفادة من خبراته السابقة ويتجنب الوقوع فى

---

١٧٠ عن : " أديان الهند الكبرى / الهندوسية ــ الجينية ــ البوذية " الدكتور أحمد شلبى ــ ص ١٥٠ وما بعدها]

١٧١ القول بوجود بعض أفراد ــ تعد على الأصابع على مستوى الوجود البشرى ــ تتدعى بأنها قد عاشت فى مكان ما سابقا ، وتستطيع توصيف هذا المكان بدرجة معقوله من الدقة ، يفسر أو يندرج تحت فكر " هيمنة الروح السابقة على هذا الفرد وهى مصدر معلوماته " . والأمثلة الدالة على هذا موجودة فعلا ، منها على سبيل المثال : " الشاب ماثيو ماننج : Matthew Manning " (راجع الإنترنت) ذو الملكات غير المألوفة ، والتى يستطيع مشاهير الرسامين السابقين ، إستخدام يديه وحتى رجليه ، لرسم بعض لوحاتهم (وقد عرض هذا فى التلفاز وهو يقوم بالرسم برجليه فى أثناء هذه الهيمنة) . وهناك مثال آخر ؛ هى السيدة قرينة الدكتور سعد سلامة (بمصر) ، والتى أملى عليها أمير الشعراء " أحمد شوقى " ديوان كامل له من العالم الآخر ، تناول فيها أحداثا كثيرة تمت

أخطائه مرة أخرى ، ولكن هذا لا يحدث ، وبالتالى تتكرر الحيوات وليس بينها أى إتصال ويبقى الإنسان فى دوراته هذه بدون أن يدرى ماذا يُفعل به . وهكذا بإختصار شديد يقول الفكر البوذى بأن الله قد خلق الإنسان ، لكى يجعله يعيش فى سلسله من العذاب المتواصل ، ثم يفنيه بعد هذا .

أما الخلاص فى الفكر المسيحى ، فإنه يأتى بمعنيين : أما المعنى الأول : ويأتى فى العلم المسيحى (Christian Science) [١٧٢] على أنه :

" إدراك وإظهار أن الحياة والحق والحب هى قدرات أو هى قوى عليا مهيمنة ؛ تحمل معها التدمير لأوهام الخطيئة ، والمرض ، والموت " [١٧٣]

وهو تعريف لا يحوى إضافة فكرية ما ..!! **فماذا بعد أن يدرك الإنسان " أن الحياة والحق والحب أقوى من الخطيئة والمرض والموت "** ، فهل سيكون سعيدا ، أم ستقوده هذه المعانى إلى السعادة الأبدية والخلود المنشود ؟ وهل إدراك أن الحياة والحق والحب هى قدرات عليا ، سوف يجعلنا نتخلص من الموت ..؟! أى لن يموت الإنسان ؟ أم أن المقصود بالحياة ــ فى

بعد وفاته ، كما أملى عليها أيضا الشاعر " حفنى ناصف " بعض قصائدة من العالم الآخر، ولم تدعى هذه السيدة فى الحالتين بأنها أحمد شوقى أو حفنى ناصف ، ولكنها تقول بأنها تتمع بموهبة " الجلاء السمعى : Clairaudience " ليس إلا ، وهى الموهبة التى تستطيع بها سماع كل من الشاعرين أحمد شوقى ، وحفنى ناصف من العالم الآخر . (أنظر كتب الدكتور رءوف عبيد عن الروح ؛ بقائمة المراجع الرئيسية) .

ولابد لى وأن أشير هنا ؛ إلى وجود من يرى أن هذه الأشعار صادرة عن " قرين " الشعراء ، وليس عن الشعراء أنفسهم . فمثل هؤلاء الأفراد ، لا يعتقدون فى تحضير الأرواح ، بل يقولون بأن من يحضر فى جلسات تحضير الأرواح هو " قرين " الإنسان من " الجن " الذى كان يرافقه أثناء حياته الأرضية ويعلم عنه صغائره وكبائره . وعموما ؛ فإن النظرة الخلافية هنا بين حضور الإنسان نفس المتوفى فى جلسات تحضير الأرواح وبين حضور قرين الإنسان ، تأتى ــ فى جوهرها ــ من الخلاف فى فهم وتأويل أو تفسير كلمة " برزخ " ، وهو الفاصل ، الذى يفصل بين العالم المادى الذى نحياه ، وبين العالم الآخر الذى ينتقل إليه الإنسان بعد مغادرته لهذا العالم ، أى بعد وفاته .

[١٧٢] قاموس الميراث الأمريكى : The American Heritage Dictionary

[١٧٣] الخلاص فى العلم المسيحى (Christian Science) يأتى معناة بالإنجليزية (أنظر المرجع السابق) كالتالى :

"The realization and demonstration of Life, Truth, and Love as supreme overall, carrying with it the destruction of the illusions of sin, sickness, and death . "

هذا التعريف ــ هى حياة ما بعد الموت ؟ (على الرغم من عدم وجود بعث في الديانة المسيحية) ، وعموما فإنه تعريف قاصر ، كما لا يؤدى إلى معنى مباشر له قيمة ما ..!!

والمعنى الثانى للخلاص : يأتى فى فكر العقيدة المسيحية (Theology) [١٧٤] على إنه :

" تحرير الإنسان أو روحه من هيمنة الخطيئة وذلك بالفداء " [١٧٥]

وسوف نأتى إلى شرح هذا المعنى بالتفصيل فى الفصل التالى ، ولكن سنكتفى بأن نشير هنا إلى أن :

" تحرير الإنسان " تعنى تخليص الإنسان من بين براثن الشيطان . فالشيطان ، بموجب خطيئة آدم ــ استولى على الإنسان وأصبح يملك إماتته ، حيث وقف الإله أمام الشيطان عاجزا لا يستطيع أن يسترد الإنسان أو أن يخلصه من بين براثنه . والمانع من هذا ــ كما يقول به أهل العقيدة ــ أن عدل الإله يمنع تخليص الإنسان بشكل مباشر ، ولكن يمكن للإله تخليص الإنسان بشكل غير مباشر ، أنظر ظاهرة التبرير ــ بند ١٢ السابق . وكما سنرى حالا ــ فى الفصل التالى ــ فإن سلطة الموت كانت لدى الإله أولا ، قبل أن يخطىء آدم . فلما أخطأ آدم فقد الإله هذه السلطة ، حيث إنتقلت هذه السلطة ــ تلقائيا ــ من بين يدى الإله الى يدى الشيطان ، وهكذا أصبح الإله بلا سلطة لإحياء الإنسان .

أما " فكرة الفداء " ــ فى التعريف السابق ــ فهى تمثل " العملية " التى قام بها الإله لإسترجاع سلطته التى سلبها منه الشيطان . وهذه العملية قد شابها ــ كما سنرى ــ كثير من الغش والخداع من جانب الإله . ولا ندرى ــ على وجه الدقة ــ هل كان القصد الإلهى من وراء عملية الفداء هذه .. هو إسترجاع سلطته المسلوبة ، وذلك لإنقاذ كبريائه ، وكرامتة من بين براثن الشيطان ، بعد أن قام الشيطان بسلبه هذه السلطة الأساسية على الإنسان . أم كان القصد الإلهى من قيامة بعملية الفداء هذه هو حبه للإنسان .. وللإنسان فقط ..!! حيث لم يكن ليهتم

---

١٧٤ قاموس الميراث الأمريكى : The American Heritage Dictionary

١٧٥ الخلاص فى فكر العقيدة المسيحية (Theology) يأتى معناة بالإنجليزية (أنظر المرجع السابق) كالتالى :

" The deliverence of man or his soul from the power or penalty of sin ; redemption "

كثيرا فى أن يبقى إلها بلا سلطة ، لولا حبه للإنسان هو الذى دفعه لإسترجاع هذه السلطة (أى سلطة الموت المسلوبه منه) ، وذلك حتى يتمكن من إحياء الإنسان .

وعموما فإن أهل العقيدة يقولون بالأخيرة ، أى أن " الفداء " هى العملية التى بذلها الإله ــ خصيصا ــ من أجل الإنسان ومن أجل حبه له ، وهو ما يرجع بنا إلى معنى التعريف الأول ، وهو ما دفع الإنسان أن يطلق على الإله : " **الله محبة** " ، إذ لا يهم كثيرا كبرياء الإله الآن وكرامته ، حيث قد أراق ماءهما الإنسان ــ فعلا ــ على مذبح الحب الإلهى .

والآن ؛ وبعد الإعتقاد فى هذا الخلاص ، ماذا أعد الإله بعد ذلك للإنسان ؟ وهو الذى ضحى بالكثير من أجله (من أجل حبه للإنسان) ..!! لاشىء يذكر .. فلم يعد الإله للإنسان شيئا .. غير مصير مترد وفى غاية فى الإبهام ..!! هذا إن وجد ..!! ولكن كيف هذا ؟ إسمع .. فقد جاء الإله [١٧٦] فى الآخرة على صورة :

[٦ ... خَرُوفٌ قَائِمٌ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ ، لَهُ سَبْعَةُ قُرُونٍ وَسَبْعُ أَعْيُنٍ ، هِيَ سَبْعَةُ أَرْوَاحِ اللهِ الْمُرْسَلَةُ إِلَى كُلِّ الأَرْضِ .]

(الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى {٥} : ٦)

وجاء الخلاص (فى الآخرة) ؛ ليقف الإنسان أمام الخروف (إلهه) ، ليطلب له الخلاص أولا من الشيطان ..!! ويصرخ بصوت عظيم قائلا :

[١٠ وَهُمْ يَصْرُخُونَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلِينَ :« الْخَلاَصُ لإِلهِنَا الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْخَرُوفِ ».]

(الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى {٧} : ١٠)

ويجب ملاحظة أن الخروف والإله هما شخصية واحدة (ولهذا التوحد برهان رياضي صارخ سوف نعرضه في الفصل الثالث ..!!) . وكما سنرى ــ في الفصل الثالث ــ أن الإنسان يطلب فى صراخه هذا " الخلاص " للإله . فالإله هو الأخر محتاج للخلاص ، وليس الإنسان فقط . ولا أملك غير أن القول : " دعنا نمرح .. فنحن بلهاء .. فالدين هكذا ..!! "

---

[١٧٦] لا يمكن الزج بلفظ الجلاله " الله " فى هذه الوثنيات ، كما سبق وأن نوهت .

وبعد كل هذه المعاناة .. سوف يقوم الإنسان بخدمة الإله الخروف ليلا ونهارا في عرشه (أي سخرة أو مسخرة أبدية) .. في مقابل تكفل الإله بأكل الإنسان وشربه .. وبالتالي لن يجوع الإنسان .. ولن يعطش ..!!

[١٥مِنْ أَجْلِ ذلِكَ هُمْ أَمَامَ عَرْشِ اللهِ، وَيَخْدِمُونَهُ نَهَارًا وَلَيْلاً فِي هَيْكَلِهِ، وَالْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ يَحِلُّ فَوْقَهُمْ . ١٦لَنْ يَجُوعُوا بَعْدُ ، وَلَنْ يَعْطَشُوا بَعْدُ ، وَلاَ تَقَعُ عَلَيْهِمِ الشَّمْسُ وَلاَ شَيْءٌ مِنَ الْحَرِّ ، ١٧لأَنَّ الْخَرُوفَ الَّذِي فِي وَسَطِ الْعَرْشِ يَرْعَاهُمْ ، وَيَقْتَادُهُمْ إِلَى يَنَابِيعِ مَاءِ حَيَّةٍ ..]

(الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى {٧} : ١٥ – ١٦)

فهذا هو الخلاص في الفكر المسيحي .. هو سخرة أو مسخرة أبدية في خدمة وتنظيف الدم المسفوح من هذا الإله المسخ المذبوح .. والذي يقطر دما حتى في الآخرة ..!! ولا ندرى .. هل يملك الإنسان علما آخر غير هذا ، الهبل ، والتردى الفكري ..!! لنكرر ــ على مسمع الإنسان ــ قوله تعالى فى القرآن المجيد :

﴿ .. قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ (١٤٨) ﴾

(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ١٤٨)

[تخرصون : تكذبون فيه]

وعلى الرغم من هذه الصور الوثنية الهزيلة والقاصرة لإعطاء معنى معقولا عن " الخلاص الإنسانى " الذى تقدمه هذه الأديان للإنسان ، إلا إننا نجد أن التمسك به (أى التمسك بفكر الخلاص هذا) كمنهاج من أوضح ما يمكن لدى الإنسان ، حيث يمثل هذا المنهاج جزءا لا يتجزأ من الفطرة البشرية ، التى يرجو معها الإنسان الأمل المنشود والسعادة المرجوة فى الدار الأخرة .

ولهذا نجد أن هناك إجماعا ــ فطريا ــ لدى أهل الديانات المختلفة جميعا ، مهما كانت طبيعة الدين ومهما كانت مضامينه ، على أن معيار خلاص الإنسان للحصول على السعادة الأبدية فى الحياة الأخرى ، أى الحياة بعد الموت ، هو اعتناقه لدينه . فإن صح دينه فإن خلاصه أو نجاته حتمى ، وإن فسد دينه فإن هلاكه حتمى . وهذا الإجماع الفطرى لدى البشرية

لهذا الفكر ــ بغض النظر عن الديانة وصحتها ــ تجعلنا نقبل بهذا الفكر بمُثابة قانون عام ، يمكن صياغته على النحو التالى [١٧٧] :

" إن معيار خلاص أو نجاة الفرد هو الاعتقاد فى الدين الصحيح "

فإذا كان هذا هو القانون السارى فعلا ، أليس الحري بالإنسان أن يتنبه إلى ضرورة تواجده داخل الديانة الصحيحة ، حتى يضمن " خلاصة " وسعادته فى حياته المتوقعه فيما بعد . كما يجب ألا يكتفى الإنسان أو أن تكتفى كل فئة فى الاعتقاد الجزافى فى صحة ما تؤمن به من ديانة ، وفساد الديانات الأخرى ، بدون تروٍ أو إدراك أو دراسة كافية ، حتى تضمن صحة ما تعتقد فيه . وربما هذا يتطلب بشكل حاسم ضرورة فهم الدين وغايات الخالق من خلق الإنسان ووجوده ، وبالتالى تعريفه التعريف الدقيق الذى يضمن عدم إنحراف الإنسان عن غايات خلقه ووجوده ومصيره . وهذا ما سنقوم به فى البند التالى .

ومن جانب آخر ، إذا كان هذا القانون صحيحا ــ وهذا هو الواقع فعلا ــ فهل من العدل الإلهى أن تتساوى صور ظهور الإله فى الديانات المختلفة بالنسبة لمعتنقيها ، مهما بعد ذلك عن المنطق . أو بمعنى آخر هل من العدل الإلهى أن يظهر الإله تارة متجسدا على الأرض فى شخص السيد المسيح فى الديانة المسيحية ، وتارة أخرى حالا (أى حلوله) فى شخص جوتاما بوذا (مؤسس الديانة البوذية) كما فى الديانة البوذية ، وتارة ثالثة فى صورة وثن أو ظاهرة جوية (كالنار فى الزرادشتية [١٧٨]) أو في صورة حيوان ــ خروف أو بقرة مثلا ــ أو خلافة كما فى بعض الأديان الوثنية الأخرى .. ثم نفاجأ فى الأخرة بأن الإله له ظهور مفضل فى أحد هذه الأديان ، وبذلك يخلص من كان فيها مصادفة ، ويهلك من كان خارجها مصادفة ..!! **فهل هذا عدلا إلهيا ..!!**

---

[١٧٧] يجب أن يفهم من هذا القانون والقوانين المشابهة له أو المماثلة ، أنها ذات طابع إحصائى ، أى بمعنى أنها قوانين إحصائية . وهذه القوانين صحيحة طالما أن الغالبية العظمى من أفراد الديانات المختلفة تؤمن بهذا . ولا يضعف القانون بأى شكل من الأشكال أن يكون هناك أفراد قليلة لا تؤمن به ، فالتوزيع الإحصائى العادى : The Statistical Normal Distribution " يسمح بمثل هذه التجاوزات .

[١٧٨] يطلق إسم " المجوس : Magi " على كهنة زرادشت . والكلمة يونانية الأصل " Magos " وقد أطلقها اليونانيين على هؤلاء الكهنة ، عندما دخلوا فارس بقيادة الإسكندر الأكبر . والكلمة معناها العظيم أو الهائل ، وذلك لأنهم برعوا فى السحر " Magic " ، ولهذا اشتقت الكلمة الأوربية التى تعنى السحر من اسمهم . وما زال الزرادشتيون يمارسون طقوسهم فى معابد النار ، وهياكل الإيمان القديمة ، كما يطلق على " الديانة الزرادشتية " ــ أحيانا ــ إسم " الديانة المجوسية " .

بديهى إن هذا ليس عدلا إلهيا ، ولكن هو جهل الإنسان وغروره ، وعدم إدراكه للمعنى الحقيقى للدين والهدف من ورائه هو الذى يقودة إلى مثل هذا الخلط . ففى الحقيقه إن الإنسان ــ نفسه ــ هو الصانع لهذا الظهور الإلهى فى الأديان . فحاشا لله أن يكون له مثل هذا التحيز أو هذا الحلول ، ولكننا نقول بهذه الفرضية لتجسيد القضية أمام أهل الديانات المختلفة ، ولإلقاء الضوء على ما تردى إليه الإنسان من معان منحرفة عن الدين .

١٤. ١ ــ الخلاص في الفكر الإسلامي ..

وتبقى كلمة مختصره عن " **الخلاص فى الفكر الإسلامى** " ، وإن كنا سنتكلم عنه بالتفصيل فى كتابات أخرى ــ إن شاء الله ــ لما له من أهمية خاصة بالنسبة للفكر البشرى . **ونبدؤها بحديث أبي هريرة (ﷺ) عن النبي (ﷺ) قال [١٧٩] :**

[قال الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ، ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .] فاقرؤوا إن شئتم :

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧) ﴾

(القرآن المجيد : السجدة {٣٢} : ١٧)

ولتقريب المرامي ؛ يمكننا القول ــ بإختصار شديد ــ أن : " **الخلاص**" فى الفكر الإسلامى ، هو فكر فيزيائى متعال وغير متطاول ، أو هو تقدم علمى لامتناه ، لا يمكن شرح معناة أو حتى الإقتراب منه إلا من خلال فكر فيزيائى متقدم جدا يمثل التداخل بين التكنولوجيا المستقبلية ــ وليست الحديثة أو المعاصرة ــ وبين العقل البشرى فى قمة عطاؤه ، مع تحقيق غايات كلية من الخلق . ولم يستطع الإنسان أن يقترب من هذا الفكر ، إلا جزئيا فقط وحديثا جدا وبعد نضوجه الفكرى بدرجة واضحة . كما لم يمس الإنسان معنى الخلاص إلا مسا خفيفا وعن بعد ، وذلك من خلال الفيزياء المعاصرة وتنبؤاتها الخيالية وغير المحتمل تحقيقها . وأصبح هذا المعنى ، الذى إنتهى إليه الإنسان ، مرادفا لقصص الخيال العلمى اللامتناهى ، أى المستحيل تحقيقة ... كالسفر خلال الزمن وخلافه .

---

[١٧٩] الراوي : أبو هريرة / المصدر : صحيح البخاري / الصفحة أو الرقم : ٣٢٤٤ / الدرجة : صحيح .

والإنسان فى هذا الفكر (أى فى فكر الخلاص الإسلامى) يمثل تناهى الإيجابيات والإستغراق الكامل للوجود الإنسانى الممتد والمستقل عن الزمن ، والمتوقع فيما بعد ، مع تحقيق غايات كلية ومتسامية عن الخلق .

ولا يقتصر " **الخلاص الإسلامى** " على مجرد تحقيق لبعض المتع الحسية ، التى يمكن أن يستمتع بها الإنسان من خلال رغبات حسية جامحة يطلب تحقيقها ؛ وإلا كان " **الخلاص** " بهذا المعنى قد فقد الكثير من معناه . ويصبح الإنسان ــ من وجهة النظر القاصرة هذه ــ بمثابة الشخص الذى عثر على " **مصباح علاء الدين السحرى** " ، حيث يطلب من : " **جنى المصباح : The genie (Jinni) of the lamp** " تحقيق نزوات خاصة له بصورة أو بأخرى . وبهذا المفهوم لا يفقد الخلاص معناه فحسب ــ إذا ما إقتصر على هذا الفكر الحسى البسيط فقط ــ بل يفقد كذلك الوجود غاياته ، وهو مالا يتفق والكمالات الإلهية .

إن اقتصار معنى الخلاص على تحقيق متع حسية فحسب ، يجعل من الإنسان يقف موقف ذلك المتفرج الأبله أو المتفرج العاجز فى هذا الوجود ، والذى لا يدرى من واقعه شيئا . فهو لا يدرى ماذا يحدث له ، كما لا يدرى كيف يحدث له هذا . كما يفقد الإنسان بهذا المعنى الكثير من إيجابيات وجوده ، ويصبح بهذا (الفكر) ذلك الإنسان السلبى ــ على إمتداد الحياة المتوقعة له ــ أو ذلك الإنسان المتلقى بدون وعى أو مشاركة محتملة ، مما يجعل وجوده بلا هدف ، وخلقه بلا غايات ، وهذا يتنافى مع الكمال الإلهى وحكمته اللامتناهية من الخلق . فقضية الوجود ليست لهوا إلهيــا ، فتعالى الله عما نصف ونحيط ، بل هى قضية حقة وذات حكمة بالغة . لذا نكرر قوله تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ (١٧) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٨) ﴾

(القرآن المجيد : الأنبياء {٢١} : ١٦ – ١٨)

[فيدمغه : يهلكه / زاهق : مضمحل هالك]

ويتأكد هذا المعنى أيضا فى قوله تعالى :

﴿ حم (١) تَنْزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللَّهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ (٢) مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ (٣) قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِن عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤) ﴾

(القرآن المجيد : الأحقاف {٤٦} : ١ - ٤)

[ائتونى بكتاب : أى بكتاب جاء من عند الله / من قبل هذا : أى قبل القرآن / أو أثارة من علم : أو بقية من علم يوصل إلى صحة ما تقولون به]

فهذا هو الفكر الإلهى عن الخلق ، وعموما فإنه يمكن تلخيص " الخلاص الإسلامي " بأنه هدف متسام ، يجمع ما بين سلبيات الإنسان وإيجابياته ، تحكمة قوانين سرمدية أخرى مغايرة لما نألفة الآن ، كما يمزج ــ الخلاص ــ ما بين الرحمة الإلهية بالإنسان ، وبين علة غائية متعالية وممتدة ، لتحقيق الهدف والحكمة البالغة من خلق الإنسان وخلق الأكوان المتطابقة على النحو الذى أرادها الله بها .

ولإضفاء معنى الإيجابية على الوجود الإنسانى يقول الله (ﷻ) فى محكم تنزيله :

﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ (١١٩) ﴾

(القرآن المجيد : المائدة {٥} : ١١٩)

﴿ ... لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ... ﴾ ، وليس هذا فحسب ، بل ، و﴿ ... رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ... ﴾ ، أى رضى الله عن الإنسان ، كما رضى الإنسان عن الله بخلقه له ، وبعطائه وثوابه له .. فأى رحمة بعد هذا بالإنسان ، وأى تكريم بعد هذا للإنسان ، وأى تفاعل متبادل ــ أبعد من هذا ــ بين الله وإنسانه الذى قد خلقه لغايات محددة .

ولإلقاء الضوء على معنى شامل لأحد جوانب الخلاص الإنسانى ، والشروط المصاحبة له حتى يستطيع الإنسان التعرف على متى ينـــال هذا الخلاص ، يقول الله (ﷻ) فى محكم التنزيل :

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْـفِرَةٍ مِن رَّبِّـكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّـقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُـوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُـوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّـغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّـهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِـعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨) ﴾

(القرآن المجيد : آل عمران {٣} : ١٣٣ – ١٣٨)

[قد خلت : قد مضت / سنن : طرائق الكفار]

والآيات تحوى معانى كلية ينبغى إدراكها وتحقيقها ، حتى يمكن نيل هذا الخلاص . ولن نتعرض لشرح هذه الآيات بالتفصيل ، وإلا سيطول بنا الحديث ، ولكن سنكتفى بإلقاء الضوء على بعض مقتطفات من المعانى العلمية الكلية الشاملة ، والتى وردت فى هذه الآيات الكريمة ، ومنها :

العلم الفيزيائى :

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْـفِرَةٍ مِن رَّبِّـكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ ... ﴾

حيث تتعرض هذه الآية الكريمة لمكان الخلاص وأبعاده . وسوف يتم التعرض لشرح معنى هذه الآية الكريمة ، ومعنى كلمة " **عرض** " ، فى قوله تعالى : ﴿ ... **وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ** ... ﴾ فى الكتابات التالية ، بعد شرح معنى الكون والأكوان الموازية أو المتراكبة فى النموذج القرآنى للخلق على وجه مطلق [١٨٠] .

---

[١٨٠] **أنظر " الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى " لنفس مؤلف هذا الكتاب .**

وعلم الأخلاق :

﴿ ... أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) ... ﴾ ، وهو تعريف أساسى للمتقين ، وهم

الذين يستحقون الخلاص ، أو النعيم الأبدى ورضوان الله .

وعلم النفس :

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) ... ﴾ وهو إستكمال لتعريف المتقين ، بوضع الشروط الأخلاقية المصاحبة ، وهى الشروط الضرورية لتحقيق إطار عام من السلوك الإنسانى المتوازن لتهذيب النفس ، واللازم توافره لتحقيق قوانين محددة ، حتى يمكن نيل السعادة المرجوة ، أو النعيم الأبدى ورضوان الله .

والخلاص أو الجزاء فى كلمات :

﴿ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) ... ﴾

وعلوم أخرى : إجتماعية ، وتاريخية ، ودينية ، ودعوة إلى التفكر والحث على البحث العلمى :

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) ﴾حيث تحتوى هذه الأية الكريمة على براهين يمكن التحقق من صدقها ، وبالتالى يمكن التحقق من صدق ما سبق ذكرة من بعض بيّنات قد تكون ميتافيزيائية . وبالتالى يمكن الإنسان التحقق من صدق معنى الجزاء الوارد ذكره فى الأيات السابقة .

ثم غاية ضمنية من الخلق ، ووجود ، ومصير الإنسان :

﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨) ... ﴾ وهو تنبيه وتحذير للإنسان للأخذ بما سبق ، فإن هذا القرآن بيان للناس كلهم ، وهدى من الضلالة ، وموعظة للمتقين منهم ، حتى يمكن للإنسان من نيل الخلاص الذى يرجوه والنعيم الأبدى .

ونعيد تذكير أهل الديانـــات الوثنية المختلفة ، بقول الله تعالى للرسول (ﷺ) لهم فى محكم تنزيله :

﴿ ... قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨) ﴾

(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ١٤٨)

[تخرصون : تكذبون فيه]

ثم يبقى تعليق أخير على كلمة " **خلاص** " ؛ فإن هذه الكلمة غير مستخدمة ولا واردة فى القرآن المجيد على نحو مطلق ، ولا فى أى موقع من المواقع فى سوره الكريمة ، ولكن نخاطب بها ذلك الإنسان .. بما يعى .. وبما يفهم ..!!

١٥ ــ تعريف الدين

لابد لنا أن نعترف أن الإنسان غير مؤهل فطريا لمعرفة المقاصد أو الغايات الإلهية من الخلق على وجه عام ، وكذا الحكمة الإلهية من خلق الإنسان على وجه خاص . كما يجب وإن نعترف أن مثل هذا النوع من المعرفة لا يمكن الوصول إليه بأى شكل من الأشكال ، من خلال الخبرات المكتسبة ، أو من خلال أى خبرات عملية يمكن إجراؤها على نحو ما أو آخر . كما لا يمكن الوصول إلى هذه المعرفة من خلال فكر فلسفى أو تأملى خاص . لذا لزم أن يحيطنا الله علما بهذه المقاصد والغايات الإلهية من الخلق وكذا الحكمة من خلق الإنسان ، حتى يمكن إسباغ نوع من المعنى على هذا الوجود بمعناه العريض . وبديهى إن هذا الإنسان المؤهل عقليا لن يقبل أى تفسيرات جزافية أو خرافية ، يمكن أن يدعى بها أحد على أى نحو ، تحت زعم أن هذه الغايات الإلهية يمكن أن تكون بكاملها غيبيات ، لا يمكن التكهن أو التأكـــد من صحتها على نحو ما . وبديهى إننا نتحرك فى بحثنا هذا ــ كما سبق وأن بينا على طول هذا الكتاب ــ ويحكمنا قانونين أساسيين هما :

القانون الأول : يعنى بأن الإنسان لا يستطيع الإنفصال عن الدين والتدين بصوره المختلفة المعلنه منها والمستترة على طول حياته (وهو ما يعني وجود الفطرة الدينية) .

القانون الثانى : يعنى بأن الإنسان لا يستطيع الإنفصال عن فكرة وجود الله ، فى جميع مراحل ومواقف حياته وخصوصا العصيبة منها (أي وجود الفطرة الخاصة بإدراك وجود الله سبحانه وتعالى) .

وكما سبق وأن أشرت من قبل ، أن مثل هذه القوانين هى قوانين ذات طابع إحصائى . والقانون الإحصائى صحيح على نحو مطلق ، طالما أنه ينطبق على الغالبية العظمى من المفردات البشرية ، على مر العصور والحضارات . وليس معنى أن تكون هذه الفطرات غير موجودة أو ضعيفة فى نفوس بعض القلة من البشر ، أن يكون القانون خطأ ، بل هو قانون صحيح تماما . فتوزيع الأفراد داخل هذه القوانين (الإحصائية) تخضع إلى ما يسمى بـــ " **قانون التوزيع الإحصائى الطبيعى The Statistical Normal Distribution** " ، وهو قانون يسمح بتواجد قلة من الصوفية ، كما تسمح بتواجد قلة من الملحدين والمنكرين للألوهية ، ولكن الغالبية العظمى تقع بين تلك القيم المتطرفة . ولهذا يمكن القول بأن القانون الإحصائى يقسم البشرية إلى ثلاث فئات :

الفئة الأولى : وعدد أفرادها قليلون ، **وهم الملحدون** ، ويكون إدراك أفراد هذه الفئة لوجود الله ضعيف ، وقد لا تكترث هذه الفئة بمعنى الدين أو التدين ؛ أو قد لا يعنيها هذا على نحو عام .
الفئة الثانية : وهى تمثل الفئة المقابلة للفئة الأولى ، **وهم الصوفيون** ، وعدد أفرادها قليلون أيضا . ويكون إدراك أفراد هذه الفئة بوجود الله شديد الوضوح ، وقد يصل لديهم التدين أو الميل تجاه الدين إلى درجة شديدة من التطرف .
الفئة الثالثة : وهى تمثل الغالبية العظمى ، **وهم باقى أفراد الشعب** ، ويكون إدراك أفراد هذه الفئة بوجود الله معتدل أو بدرجة معقولة من الإدراك ، كما وإن التدين لديهم يأخذ طابع الاعتدال أيضا .

وهذا هو مفهوم القوانين الإحصائية . ثم يبقى أن نذكر بأن على الإنسان أن يعى ؛ بأن المتحدث فى الدين هو " الله " ، الخالق ، ذو الكمالات المطلقة ، والعليم بكل العلم المطلق ، وبالتالى لزم أن يكون الدين هو مصدر للمعرفة البشرية ، ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، وجودها ومصيرها

، والغايات من خلقها ، وتكون قضايا الدين الجزئية هى المعرفة الكلية للقوانين الحاكمة للإنسان وللكون وللفيزياء . كما يمكن أن يقوم الدين بتوسيع دائرة معارف الإنسان لإدراكات تخرج كثيرا عن نطاقات الفطرة ، والإدراك المباشر وغير المباشر للإنسان . وربما تدخل المعرفة بهذا المعنى فى نطاق الحيز الغيبى أو " المعرفة الغيبية " ، ولكن جذور هذا الغيب تمتد الى العالم الفيزيائى المحيط بنا ، والذى يسهل التثبت منه ، وبالتالى فإن الغيب فى الدين هو الامتداد الطبيعى لوجود فيزيائى فعلى لواقع مشهود يمثل دليل صدق على هذا الغيب . كما يمكن أن توجد الومضات أو الإلهامات الإلهية ، التى يمكن أن تتجاوز وترقى بالإنسان من البرهان الوضعى أو الإستدلال المنطقى لصحة الدين الى منطقة الرؤية الوجدانية المباشرة " لله " ــ سبحانه وتعالى ــ ولرؤية الوجود الكلى ، وهذه الرؤية الوجدانية قد تصل بالمرء فى معناها ومغزاها الى الإدراك اليقينى كما تجيء به الحواس المباشرة .

ونحن لم نتجاوز المنطق أو الفكر العلمى بهذه المعانى ، فكما سبق وأن ذكرت . فالتاريخ العلمى يبين لنا أن القضايا والنظريات العلمية حتى نهاية القرن التاسع عشر كانت تعتمد اعتمادا مباشرا على فرضيات أساسية تم إدراكها بالملاحظة المباشرة والاعتماد فيها على الحواس ، بينما أخذت هذه القضايا العلمية منذ بداية القرن العشرين طابع العموميات ، وأصبحت بدرجة كبيرة تعتمد على أساسيات وفروض حدسية قاربت أن تدخل فى حيز الغيبيات . كما وإن النظريات العلمية الكبيرة السابقة أصبحت تأخذ طريقها الآن فى تواضع شديد لتكون حالات خاصة من نظريات أعم وأكثر شمولية . وهناك أيمان الآن يكاد يكون مشتركا بين جميع علماء الفيزياء ، بأننا نتجه بخطا واضحة نحو نظرية شمولية واحدة كافية لتفسير جميع الظواهر أو الحقائق الكونية [١٨١] .

وعموما فإننا كلما إتجهنا الى النظريات الأعم والأكثر شمولا ، كلما زاد اعتمادنا بدرجة كبيرة على فرضيات أو مسلمات أكثر غيبا من المسلمات والفرضيات التى تبنى عليها النظريات الأكثر بساطة . بل وأصبحت النظريات الشمولية تأخذ طابعا غيبيا بدرجة كبيرة [١٨٢] ، وأصبح لزاما على الإنسان توسيع دائرة فكره ومداركه لاستيعاب مثل هذه الفرضيات والنتائج . وعلى هذا الأساس السابق يمكن **تعريف للدين على النحو التالى بعد :**

---

[١٨١] تعرف هذه النظرية بإسم " الطاو : TOE " (الترجمة العربية لها هى : الأصل أو البداية) . وهذه النظرية تمثل ما بعد " نظرية الخيوط المتناهية : The Super String Theory " . وسنأتى الى تفصيل ذلك فى : " الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

[١٨٢] وما أفلام الخيال العلمى إلا بعض نتائج هذه النظريات العلمية .

" إن الله (سبحانه وتعالى) ــ خالق الوجود المدرك وغير المدرك ــ هو مصدر الدين . وباعثه فى هذا ، أى باعث الله فى هذا ، هو تعريف الإنسان بنفسه (أى بخالقة) ، وبكمالاته الإلهية المطلقة ، وكذا تعريف الإنسان بفعله الإلهى الكلى ، وتعريف الإنسان بالغايات من خلقه وبمعنى وجوده ومصيره .. كما وأن على الإنسان تحقيق هذه الغايات حتى ينال الخلاص المأمول والسعادة الأبدية المنشودة . ومادة الدين هى العلم ، وبعض مفردات هذا العلم ، هو الوجود الكلي على نحو مطلق ، ومنه الكون والفيزياء ، ولا غموض ولا لبس ، ولا مكان لخرافة فى الدين أو أسطورة "

أو بإختصار ؛ فإن الدين

" هو البلاغ الصادر عن الخالق المطلق لهذا الوجود لتعريف العوالم به (صفات وفعل) ، وتحديد غاياته من خلق الخلق على وجه مطلق ، وخلق الإنسان على وجه التحديد " [١٨٣]

ولا يستلزم هذا التعريف الإيمان المسبق بوجود " الله " ، لأن تعريفا بهذا المعنى ، قد ألقى بمسئولية التعريف بالخالق على الخالق ذاته ، وليس على مسئولية الإنسان . ولابد لنا بأن ننوه هنا ؛ بأن جميع البراهين المستخدمة فى " **القرآن المجيد** " للدلالة أو للبرهنة على "**وجود الله** " ، تدور كلها فى فلك هذا التعريف أو حول هذا المعنى للدين . ولنا أن نقف ــ الآن ــ لنخرج من الحيز الضيق الذى غلفتنا به البشرية أو الفكر البشرى الساذج والمحدود ، والمتمثل فى الفلسفة الوضعية ، وفكر **فرويد** (النفسى) الطفولى ، وما شابهه من علماء النفس . ولنلق الضوء على بعض من الجانب المعرفى الناتج عن هذا التعريف .

أولا : أننا الآن لسنا بصدد ظاهرة جوية نقف أمامها كالطفل العاجز ، أو المتفرج الأبله ، إن أدركنا لها تفسيرا فقد أصبنا الإله فى مقتل ، وإن لم ندرك لها تفسيرا إعترفنا بأننا ذلك الطفل العاجز الذى لا يعى ما يرى ولا يفهم ما يدور حوله . فكلنا يعلم أن الظاهرة ليست إلها ، وكلنا يعلم أن الظاهرة (أو القانون الطبيعي الحاكم لها) هى مجرد مخلوق هى الأخرى ، شأنها فى ذلك شأننا تماما ، ولكننا ــ مع ذلك ــ نصر على إسباغ المعنى الإلهى عليها ..!! فأى جهل

---

١٨٣ يقول الحق ــ تبارك وتعالى ــ فى حديثه القدسى : [كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فعرفونى] (" العقيدة " ؛ إصدار الأزهر الشريف . ص : ٤٠)

هذا ..!! وأى وثنية مقنعة هذه ..!! وأى صنم هذا الذى يريد الإنسان وضعه فى المعبد ..!! وأى تدن فكرى أبعد من هذا ..!!

ثانيا : إن قيامنا بتعريف الدين على هذا النحو ، يعفى الإنسان تماما من المسئولية الفكرية تجاه تخمين ماهية الدين .. وماهية الله (ﷻ) .. وتخمين ماهية الإنسان وهويته فى هذا الوجود .. وماهية وجوده ومصيره ..

فبهذا التعريف نكون قد ألقينا بالمسئولية كاملة على عاتق الفكر الإلهى فى صياغة الدين ونتائجة ، وإعطاءنا البراهين الكافية للدلالة على صدقه وصحته . فنحن ــ بنى الإنسان ــ يجب أن نعى جيدا أن " الله " **هو الصاحب الفعلى للدين** ، وهو الذى خلق الإنسان ، وأهله عقليا على هذا النحو الذى يستطيع معه إدراك صحة الدين ، وصحة وجود الله . ولم يجعل القضية الدينية خارج نطاق إمكانات الإنسان العقلية ، فلو كانت كذلك لأصبحت حجة لدينا نستطيع أن نقيمها على الله ــ سبحانه وتعالى عن هذا علوا كبيرا ــ يوم القيامة .. فله الحجة البالغة ..

﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّــةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩) ﴾

(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ١٤٨ – ١٤٩)

بل يجعل الله (ﷻ) " القضية الدينية " دون ذكاء الإنسان الفطرى بكثير . كما جعل الإنسان هذا العاقل المتعقل مفكرا مدبرا ، حرا فى اختيار أفعاله ، وسوف يحاسبه على هذا .

وبهذا المعنى تصبح " القضية الدينية قضية مطلقة وليست قضية نسبية " . ونود أن نشير هنا إلى أن " إطلاق معنى القضية الدينية " إنما تعنى وحدانية الخالق وتفردة فى الخلق ؛ بينما تعنى " نسبية القضية الدينية " التعدد والشرك ، لأن لكل رؤيته ؛ وبهذا المعنى ــ أى معنى النسبية ــ تخرج القضية الدينية من حيز التكليف الإلهى للإنسان إلى حيز إنعدام الغايات من الخلق . وبهذا تقضى القضية الدينية ــ فى حالة نسبيتها ــ على نفسها بنفسها ، وهو ما يتناقض مع الكمالات الإلهية وفطريتها فى النفس البشرية .

ثالثا : إن على الإنسان أن يعى ، أنه بصدد وجود إلهى فعلى ، وإن هذا الإله هو مصدر الدين ، وأن هذا الإله هو الخالق المطلق ، وهو المحيط بكل شىء علما مطلقا . وبهذا الفكر يصبح الدين قضية فيزيائية متعالية ، تشمل تعريف الإله لذاته ، كما تشمل تعريف الإله لفعله الإلهى

الكلى في صور القوانين الفيزيائية ، كما يشمل أحد جوانب هذا الفعل الإلهى ، الصياغة اللازمة والتامة لإحاطتنا بما ندرك (فالمعرفة أصلها الله) وما لا ندرك . وبعض من هذه المعارف هى إحاطة الإنسان علما بـــالآتى :

- خلق الأكوان الموازية أو الأكوان المتراكبة [١٨٤] ، والفيزياء الخاصة بكل منها ، وكوننا وفيزياؤنا واحدة منها .
- خلق العوالم المختلفة ، أى المخلوقات التى تسكن هذه الأكوان ، وعالمنا واحد منها .
- كيف بدأت هذه الأكوان والعوالم ؟
- كيف تنتهى هذه الأكوان والعوالم ؟
- من الذى يدبر أمور هذه الأكوان والعوالم ؟
- ما العلة الغائية من وراء هذا الخلق المطلق ، ومنها هذه الأكوان والعوالم ؟
- ما هو الإنسان ؟ .. وما النفس ؟ .. وما الروح ؟ .. وما الغطاء ؟
- ما العلة الغائية من وجود الإنسان ، وما مصيره .. وما شكل هذا المصير ؟
- ما التطور ؟ إذ أن الوجود البشرى ــ كما أخبرنا به المولى عز وجل ــ لم يخرج عن طور واحد ، فى وجود متعال مكون من عدة أطوار أساسية ، وكل طور مقسم إلى أطوار ثانوية .

إلى آخرة .. من القضايا الكلية والجوهرية التى يصعب حصرها ، إلا فى إطار ما نستوعب من القرآن المجيد ، فأين هى الظاهرة الجوية إذن ..!! وأين هو الجانب النفسى ..!! من هذا الوجود الكلى والشامل ..!! إن الظاهرة الجوية ، والجانب النفسى للإنسان ــ الذى قال به فرويد ــ يحتلان جانبا لا يكاد يرى أو يبين ، من فعل إلهى كلى ومحيط مرئي وغير مرئي . إن الدين يعنى الإجابة عن كل هذه التساؤلات ، وليست بإجابات ساذجة أو بفكر أسطورى ، ولكن بفكر إلهى محيط ليدرك الإنسان .. أين هو ؟ وأين يقف من هذا الوجود ؟ وما هو مصيره ؟ فجميعها مسئولية إلهية ، يتعهد بها " الله " (ﷻ) بالإجابة عليها ، لتنتفى أعذار الإنسان بجهله بها ، كما تنتفى أعذار الإنسان بجهله بـــ " الله " .

---

[١٨٤] تم شرح هذا الفكر فى النموذج القرآنى للكون والأكوان الموازية فى : [" الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى " لنفس مؤلف هذا الكتاب] كما سبق وأن ذكرت . كما يمكن الرجوع إلى موقع الكاتب على شبكة الإنترنت (مقالة رقم ٣٨) تحت عنوان : " الأكزان الموازية / نهاية حياة الإنسان .. ورحلته مع الموت " .

﴿ ... أن تَقُولُوا يَوْمَ القِيَـــامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا من قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَـــةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ المُبْــطِلُونَ (١٧٣) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٧٤) ﴾

(القرآن المجيد : الأعراف {٧} : ١٧٢ - ١٧٤)

إن الظاهرة الجوية ، والجانب النفسى للإنسان يحتلان جانبا لا يكاد يبين ، داخل مضامين كلية تتواضع بشدة ، وتذوب ضعفا وهوانا داخل المفهوم العام للقضية الدينية . فأين فرويد ..؟! وأين هم أصحاب المذاهب الوضعية ..؟! من الدين بهذا المفهوم ..!!

رابعا : إن اكتشافنا لأى قانون فيزيائى لا يعنى أكثر من مجرد المفهوم العادى لهذه الكلمة ، أى " **اكتشاف** " لواقع محدد وموجود فعلا ، بل ومستقل (أو **مفارق**) عن وجود الإنسان نفسه ولا علاقة للإنسان به ..!! ولنا هنا أن ننبه .. هل معنى أن يعثر إنسان ما .. على عربة ما .. فى الصحراء ، هل يعنى هذا أنه قد نفى ــ تلقائيا ــ أن يكون لهذه العربة صانع ..!! فأى منطق فكرى هذا ..!! وأى عقل هذا ..!!

خامسا : إن أحد الأسباب الرئيسية والهامة فى تضليل العامة ، تأتى دائما من الصياغة الخاطئة لمفردات العلم عند التعرض لصياغة نتائج بعض القوانين الفيزيائية . ولتوضيح ذلك ، دعنا نعطى أحد الأمثلة الشائعه فى كتب الفيزياء الغربية ــ وهى كثيرة ــ حيث يقول المثال بالآتى :

" لقد نسب فلاسفة القرون الوسطى وجود الأرض إلى عمل " خلقى creative " خاص متعلق بالإله ، وفى القرن التاسع عشر تحققوا من أن وجود النظام الشمسى هو " ناتج طبيعى followed Naturaly " من قانون الجاذبية العام ووجود المجرة ؛ وفى هذا القرن تم إكتشاف أن المجرة " ناتج طبيعى A natural consequence " من " الإنفجار الكبير The Big Bang "

وعلى هذا القياس يمكننا أن نضيف ؛ بأن التنوع الهائل للمخلوقات الذى نراها عليه الآن ، بما فى ذلك الإنسان نفسه ، هو " **ناتج طبيعى من وجود الأرض** " وبظروفها المهيأة أو الصالحة لنشأة الحياة عليها .. وهكذا ..!!

obeikandi.com

فالواقع إن مثل هذه الكتابات الساذجة والخاطئة معا ، هى المسئوله عن تضليل العامة والبسطاء حيث تؤدى بهم إلى إنكار الخالق ، وخصوصا إذا ما اعتقد القارئ إنه يستمع إلى عالم ما فى مجال التخصص . ففى الواقع ؛ إن استخدام كلمتى :

" ناتج طبيعى : A natural consequence "

تبنى حائلا ضخما يحول بين الإنسان وبين رؤيتة لكم هائل من الحقائق التى لا يمكن حصرها . هكذا ببساطة شديدة " **ناتج طبيعى** " ..!! إن كلمتى " ناتج طبيعى " هما من أشد الكلمات فتكا بفكر الإنسان .. وتضليلا له ، بل وتعكس هاتين الكلمتين جهلا متناهيا للقائل بهما . ففى المثال السابق نجد أن الكاتب :

قد افترض ــ بدون أن يدرى ــ وجود المادة ، بدون موجد لها ، ووجود قانون الجذب العام ، بدون موجد له . وقد افترض ــ بدون أن يدرى ــ وجود " النقطة الشاذة : **The singularity** " (أى المادة الأولى اللازمه لبداية للكون) بدون موجد لها . ثم افترض ــ بدون أن يدرى ــ أن هذه النقطة الشاذة قد انفجرت ــ بدون بادىء لها ــ مكونه بذلك الإنفجار الكبير مكونة بذلك الكون بما فى ذلك الفضاء والزمن . كما افترض ــ بدون أن يدرى ــ وجود كما هائلا ــ لا يمكن حصره ــ من قوانين الفيزياء الكلاسيكية والفيزياء الحديثة بدون موجد لها ؛ نذكر منها فقط ــ على سبيل المثال ــ قوانين الفيزياء الكمية التى تصف (أو تحكم) التفاعلات النووية فى باطن الشمس وفى قلب المجرات (الثقوب السوداء) ، والتى ما زلنا نجهل الكثير عنها ، وقوانين الكيمياء الفيزيائية ، وقوانين الكيمياء الحيوية [١٨٥] ، وقوانين الوراثة ، وقوانين الإحتمالات ، والقوانين الرياضية التى تصف العلاقات بين المجالات العامة داخل نواة الذرة وخارجها ، وقوانين النسبية العامة والخاصة التى تصف تمدد الكون .. وقوانين ميكانيكا الكم ، التى تصف (أو تحكم) تفاعلات القوى النووية داخل نواة الذرة وخارجها ، حتى قوانين المنطق .. من الموجد لكل هذه القوانين .. ومن الموجد للمادة الأولى .. وحتى إن وجدت المادة الأولى وكل هذه القوانين بدون موجد لها ..!! فمن الذى قرر لها أن تعمل مع بعضها البعض

---

[١٨٥] ولكى نقول بمجرد تكون خلية واحدة أولية بدون حياة وبدون وظائف ــ أى مجرد تجمع لبعض المركبات العضوية فى شكل مصفوفات جزيئية ــ بدون خالق ، فإن هذا يستلزم خرق " القانون الثانى من قوانين الديناميكا الحرارية " ، وهو واحد من أكثر القوانين الفيزيائية صدقا وإستقرارا وتحقيقا . وهذا ما يحتم ضرورة وجود هذا الخالق كضرورة أساسية لمجرد تكوين خلية واحدة بدون حياة أو وظائف ... فما بال الحال بتكون أو خلق خلية حية واحدة ...!! وما بال الحال بخلق الإنسان ...!! أنظر " الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

على هذا النحو من التناسق الذى نراه عليها الآن ..!! فهل معرفتنا لكل هذه القوانين ووجود المادة اللازمة تسمح لنا بأن نصنع إنسانا ..!! سبحان الله ..!!!

فكما جاء فى التعريف السابق للدين ، نجد أن من أحد غايات خلق الإنسان هو التعرف على الله ، وعلى بعض من فعله الإلهى الكلى ؛ ليدرك الإنسان أن :

- هناك من قرر أن يكون الكون على هذا النحو الذى نراه عليه الآن .
- وهناك من قرر أن تكون العلاقات أو القوانين الفيزيائية على النحو الرياضي الذى نراها عليه الآن ، أو النحو الذى نكتشفها به ، وتحقيق التناغم الرياضي بين عقولنا وبينها .
- وهناك من قرر أن يسخر لنا الطبيعة بقوانينها لخدمتنا .
- وهناك من قرر بدء الخلق .
- وهناك من قرر وجـــود المخلوقات فى هذا الكون ، وفى الأكوان المتطابقة الأخرى مع كوننا هذا .
- وهناك من قرر متى ينتهى هذا الكون ، ومتى ينتهى هذا الإنسان من على سطح الأرض .
- وهناك من قرر لنا الموت .. وقرر لنا الحياة .. وقرر لنا البعث .
- وهناك من أودع فينا العقل ، والإدراك ، والجانب النفسى الذى قال به فرويد .
- وهناك من قرر لنا القانون الأخلاقى الفطرى .. والقانون الإجتماعى الفطرى ... وغيرها .
- وهناك من قرر لنا بالتطور الذى نراه .

إنها أعداد لانهائية من القرارات ، والتى لا يمكن حصرها ، والتى لا يمكن أن تنسب إلا إلى " الله " وحده (ﷻ) عما نحيط أو نعلم . ذلك هو الله ..

﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْـــبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣) قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّـــكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَـــفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَـــفِيظٍ (١٠٤) ﴾

(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ١٠١ – ١٠٤)

ذلك هو الله :

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣) ﴾

(القرآن المجيد : يس {٣٦} : ٨٢ - ٨٣)

فهل وعى الإنسان جانبا من هذا التعريف ..!!

١٦ ــ حلقة لانهائية (An Infinite Loop)

فى حلقة دراسية عقدت فى مدينة شتوتجارت بألمانيا عام ١٩٨٥ ، عن " **العالم الإسلامى بين المحافظة على التقاليد والتقدم** " [١٨٦] ، أشار عالم اللاهوت [١٨٧] السويسرى الشهير الدكتور " **هانز كونج Hans Kung** " [١٨٨] ، الذى شغل منصب مدير معهد " الأبحاث المسكونية (العالمية) ، " **بجامعة توبنجن : University of Tubingen** " بألمانيا ؛ إلى أن الكنيسة قد كفت عن الدفاع عن مبدئها التقليدى الذى استنته عام ١٤٤٢ ، والقائل بأنه " **ليس ثمة خلاص خارج مملكتها** " ، واستخلص من هذا نتيجة مفادها بطلان مقولة أنه " لا أنبياء خارج الكنيسة " ، وذلك خلافا لما انتهى إليه مجلس الفاتيكان الثانى من مقررات (١٩٦٢ - ١٩٦٥) .

وأشار دكتور هانز كونج ، إلى أنه مع الإعتراف الآن ــ الذى جاء متأخرا عن موعده ــ فإن الإسلام هو كعهده دائما طريق حقيقى للخلاص ، فإن الكنيسة لا يمكنها أن تستمر بعد ذلك فى إنكار أن " **محمد** " (ﷺ) يعد نبيا حقيقيا بكل معنى الكلمة .

---

١٨٦ " يوميات ألمانى مسلم " دكتور/ مراد هوفمان " مركز الأهرام للترجمة والنشر " (ص : ٢٢٣ - ٢٢٤)

١٨٧ علم اللاهوت : هو العلم الذى يبحث فى الخالق وصفاته وعلاقاته بمخلوقاته فى الفكر المسيحى ، ويقابله " علم التوحيد " فى الفكر الإسلامى .

١٨٨ هانز كونج (١٩٢٨ - ..) عالم لاهوت كاثوليكي ــ سويسري ــ معاصر ، من أكثر الشخصيات المثيرة للجدل ، شغل منصب رئيس " مؤسسة الأخلاق العالمية : Foundation for a Global Ethic " منذ عام ١٩٩٥ م . ويعتقد كونج في أن المسيح إنسان ورسول فحسب ، ويقول : " إن محمد نبي حقيقي بمعنى الكلمة ، ولا يمكننا بعد إنكار أن محمدًا هو المرشد القائد على طريق النجاة " . ولهذا عزله الفاتيكان من منصبه كما حَرّم عليه تدريس مادة الديانة المسيحية .

ولقد طلب كونج من خصومه الساخطين فى الكنيسة الكاثوليكية ــ بعد أن نشر كتابه الجديد : **المسيحية والأديان العالمية** ــ أن يحاولوا فهم الإسلام ، وأن يؤدوا واجبهم ، ولو مرة واحدة تجاه هذه الديانة العالمية التى طال تجاهلها حتى الآن . ويبدو أن بعض القساوسة الكاثوليك قد إستجابوا لهذه الدعوة ، حيث أعتنق الإسلام قسيسان تابعان لأبرشية باريس مؤخرا .

وجملة تقدير الدكتور هانز كونج أن الغربيين لا يعرفون إلا النذر اليسير جدا عن الإسلام [١٨٩] ، اللهم إلا بإستثناء قلة ضئيلة للغاية من المثقفين ، وحتى معظم المستشرقين الغربيين لم يوفقوا فى فهم الإسلام فهما متعمقا .

وتأييدا لفكر وجود خلاص خارج الكنيسة ، فإن المبشر المسيحى **الدكتور أنيس شوروش** [١٩٠] يقول أن الخبراء اللاهوتيين يطلبون تحقيق ستة شروط قبل قبولهم لأى وحى مفترض بإعتباره وحيا حقيقيا وصادقا وأصيلا ، وهذه الشروط السته هى :

الشرط الأول : يجب أن يفى (الوحي) برغبة الــروح البشرية فى الحصول على السعادة الأبدية .
الشرط الثانى : يجب أن يتفق (الوحى) مع الضمير ، وهو القانون الأخلاقى المكتوب فى عقل الإنسان .
الشرط الثالث : يجب أن يكشف (الوحى) عن الصفات الحقيقية لله .
الشرط الرابع : يجب أن يؤكد (الوحى) صلاحية اعتقاد الإنسان بأن الله واحد .
الشرط الخامس : يجب أن يجعل (الوحى) طريق الخلاص واضحا جدا .
الشرط السادس : يجب أن يكشف (الوحى) عن الله نفسه وبشخصه فى الكتاب ، من خلال الأنبياء [١٩١] .

---

[١٨٩] راجع الفصل الأول " الفكر التبشيرى عن قرب " .

[١٩٠] " أيهما كلام الله ؟؟ القرآن الكريم أم الكتاب المقدس " المناظرة التى جرت بين الداعية الإسلامى أحمد ديدات والمبشر المسيحى د. أنيس شوروش فى برمنجهام ، (صفحة ٢٧٥ – ٢٧٦) . ترجمة محمد مختار ؛ المختار الإسلامى للنشر والتوزيع و التصدير .

[١٩١] هذا الشرط باللغة الإنجليزية ، كما جاء فى الأصل هو كالآتى :
" It must reveal God Himself in book , through prophets , and in Person "

وعلى الرغم من أن هذه الشروط تعتبر خطوة لابأس بها نحو تحرير الفكر الكنسى أو الفكر المسيحى من قيود " **الفكر الموجه** " ، والمفروض عليها كضرورة لفهم العقيدة على النحو الذى يحدده رجال الدين فيها ، إلا أن هذه الشروط لا تكفى وحدها لضمان ما يجيء به (الوحى) أو الدين من حقائق أو خرافات عن الإله . فالشروط المذكورة لم تضع أى قيود ما على ما يجيء به الوحى من صفات للكمال الإلهى ، أو طبيعة الإله . فقد يجيء الوحى بالأسطورة أو الخرافة عن الصفات الإلهية [١٩٢] ، كما قد يجيء بكل ما هو مناقض للفكر البشرى عن الله . ويمكن أن يقبل كل هذا ، طالما أنه لاتوجد أى قيود على الصفات أو الكمالات الإلهية المفترضة .

فعلى سبيل المثال ، نجد أن **الشرط الرابع** يؤكد على صلاحية اعتقاد الإنسان فى " إله واحد " ، ولكنه ــ مع ذلك ــ لا ينفى تعدد هذا الإله فى أكثر من صورة ، أو حلوله فى أى شكل أو تجسده على أى شكل من الأشكال . فعلى سبيل المثال ، نجد أن الديانة المسيحية تقول " بإله واحد " ، ولكنه مع ذلك متعدد الصور . فهو " **الآب** " فى السماء ، وهو " **الإبن** " فى الأرض ، وهو " **الروح القدس** " أو " **النار الإلهية** " [١٩٣] عند الاقتراب من الناس ، أي أن الروح القدس " **نارى**" . فهذه صور متعدده لفكر " الإله الواحد " ، أو كما يحلو للفكر المسيحى القول هى " **وحدانية فى تثليث ، وتثليث فى وحدانية** " .

كما وإن القول " بإله واحد " لا ينفى فكرة حلوله فى أحد الأشخاص أو تحيزه فى مكان ما . ففى الديانة البوذية مثلا نجد أن " الإله " قد حل ببساطة شديدة فى " جوتاما بوذا " مؤسس الديانة . وحتى فى الهندوسية .. فعلى الرغم من الكثرة العددية للآلهة لديها إلا أنها تصب فى النهاية فى فكر " الإله الواحد " أيضا .

لذا فالقول بإله واحد لا يكفى لدرء الفكر الوثنى عن " الله " ــ سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ــ لذلك يلزم لهذا الشرط قيود مصاحبة للكمالات أو الصفات الإلهية حتى لا يسقط الإنسان فى مستنقع من الوثنيات ، أو فى خضم من الوثنيات عن الصفات الإلهية . وبديهى أن

---

١٩٢ أنظر الفصل التالى لما تجيء به اليهودية والمسيحية من صفات أسطورية وخرافية عن الإله .

١٩٣ " كلمات هادئة عن الروح القدس " القس ابرام داود سليمان ، مكتبة النسر للطباعة . ففى صفحة ٦ ، يقول الكاتب : " فلا ترفض عمل الروح القدس ، لئلا تطفئه برفضك له ، بل بالعكس كن أداة طيعة فى يده مهما كلفك الأمر من تضحية بشهوات أو مسرات " وفى موضع آخر (من نفس الصفحة) يقول الكاتب : " فحينما ينخس الروح قلبك لتقديم توبة واعتراف ، أو لرفع صلاة ، أو لقراءة الإنجيل ، ... فقم حالا واطيع الروح ونفذ ما طلبه منك ، فيفرح بك الروح ، ويشتعل أكثر فأكثر ... " .

القيود المصاحبة لابد من صياغتها من خلال التدخل الإلهى المباشر ، بمعنى لابد وأن يخبرنا الله عنها من خلال وحيه لأنبيائه ورسله . فالإنسان لا يستطيع أن يتكهن بها ، أو حتى صياغة بعض من هذه الكمالات الإلهية بمعرفته ، فإنه غير مؤهل فطريا (**By default**) لهذا كما سبق وأن بينا ، بل يجب أن يتحدث الله عن نفسه مبينا لنا هذه الكمالات . وبديهى يجب أن تصاغ هذه الكمالات (تحديدا) كشرط أساسى ومستقل ، ولا ينبغى لها أن تدمج أو يحتويها ضمنيا شرط عام آخر ، كالشرط الثالث .

والشرط الثالث ، والذى يقول بأن (الوحى) يجب أن يكشف عن الصفات الحقيقية لله ، هو فى الواقع ، شرط فضفاض لايكفى لأن يعطى المعنى الحقيقى لله . فقد يأتى هذا الشرط بأى صفات وثنية عن الإله .

فمثلا ماذا يحدث لو أن الوحي قد كشف لنا عن أن الإله هو : " **خروف قائم كأنه مذبوح له سبعة قرون وسبعة أعين هى سبعة أرواح الله المرسله الى كل الأرض** [١٩٤] " ..!! **فهل نقبل بهذا الوحى ونعتبر هذا المسخ هو الإله** ..!! فمتى يفيق الإنسان من غيبوبته ..؟!

وكذلك **الشرط السادس** كان يمكن دمجه فى **الشرط الثالث** ، ولكنه من الواضح أنه شرط ناتج مباشرة عن المفهوم الإلهى للفكر المسيحى ، حيث أن " **الإله بشخصه in person** " يعنى ــ فى الديانة المسيحية ــ السيد المسيح على الأرض .

وعموما فإن الشروط الستة السابقة قاصرة بشكل ملحوظ عن إعطاء أى مقياس صحيح للوحى ، وبالتالى أى مقياس صحيح عن الديانة الصحيحة .

وهكذا ؛ فإن الشروط **الأول والثانى والرابع** تحدد الفطرة البشرية تجاه الدين ، أى بمعنى حاجة الإنسان للتدين ليس إلا . **ومع ذلك فإن الديانتين اليهودية والمسيحية لا تحققان الشرط الثانى بشكل صارخ** (راجع الفصل الثالث : **بند ٦ : ونصوص لكل الإغراض**) . أما الشرطين الثالث والسادس فهما يحددان تعريف الإله لنفسه ، ولكنهما لا يضمنان أى كمالات للإله ، أو أى طبيعة قد يكون عليها ذلك الإله ..!!

---

[١٩٤] الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى ٥ : ٦ ــ أنظر الفصل الثالث للتفاصيل .

كذلك ، لا يضمن الشرط الخامس أى نوع من الخلاص يمكن أن تجىء به الديانة للإنسان . فمثلا ماذا يحدث لو أن الوحى قد كشف لنا أن الخلاص الذى يمكن أن تجىء به الديانة ؛ هو أن يقف الأنسان أمام الخروف (**إلهه**) ، ليصرخ بصوت عظيم قائلا : " .. **الخلاص لإلهنا الجالس على العرش وللخروف** [١٩٥] " . ولن يجوع الإنسان بعد ذلك ولن يعطش .. " **لأن الخروف الذى فى وسط العرش سوف يرعاهم (أى يرعى الأبرار من بنى البشر)** [١٩٦] " . **وليتبع الإنسان الخروف حيثما ذهب ..!!** فهل هذا يعد خلاصا ..؟! فمتى يفيق الإنسان من غيبوبته ؟!!

وهكذا ــ تحت غياب المنطق وإتصال المعانى ورؤية النصوص ــ يمكن أن تفرز الشروط الستة العقيدة المسيحية ، كما يمكن تفرز العقيدة المسيحية الشروط الستة [١٩٧] ، وهكذا دواليك وبغير نهاية . وبهذا نكون قد وقعنا فى حلقة لانهائية (**An infinite loop**) من المدخلات والمخرجات كلاهما واحد وبلا إضافات . وعموما هذا هو دأب الفكر المسيحى ، والمساحة الضيقة التى تتركها الديانة للفكر البشرى للحركة فى حدودها ، فهى تتظاهر بالحرية الفكرية من جانب ، بينما تحكم إغلاق هذا الفكر على مفاهيم بعينها من جانب آخر .

وبنفس هذا المفهوم العام ، فإن الشروط الستة يمكن أن يندرج تحتها كل الأديان الأخرى بمفهومها الوثنى الحالى ، وبالتالى تظل قضية تعدد الأديان قائمة كما هى ــ كما سبق ذكره ــ طالما أن الدين يحوى الإله ، وبعضا من مكارم الأخلاق ، حتى وإن كان هذا الدين يضم خضما هائلا من الوثنيات الفكرية الملحوظة .

ونشير ــ هنا ــ إلى أنه عادة ما نرى إلغاء كامل للاستدلالات المنطقية والعقلانية من أهل الملل المختلفة عند تناولهم قضاياهم الدينية بالتحليل ، حيث يخرج بذلك الإنسان المؤهل عقليا من حيز المنطق الفكرى الصحيح ، إلى حيز الهبوط العقلى المقزز ، تحت دعوى أن الدين غيبى ويقبل بالتفسيرات الميثولوجية (أى الأسطورية) أو الميتافيزيقية غير المنطقية ، حتى وإن انعكس ذلك بالتناقض الصارخ مع العالم الفيزيائى المحسوس الذى نحيا فيه .

---

[١٩٥] الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى ، الأصحاح السابع : ١٠ . كما يجب ملاحظة أن الإنسان يطلب فى صراخه هذا " الخلاص " للإله . فكما نرى أن الإله محتاج للخلاص هو الأخر ، وليس الإنسان فقط ..!! على النحو السابق ذكره ، وسنأتي إلى التفصيل في الفصل الثالث .

[١٩٦] الكتاب المقدس : رؤيا يوحنا اللاهوتى ، الأصحاح السابع : ١٧ .

[١٩٧] هذا إذا ما غضضنا البصر عن الخضم الهائل من الوثنيات الفكرية الموجودة في هذه الديانة .

وننتهى من ذلك بالقول بأنه ، إذا ما أريد وضع الشروط اللازمة أو القيود اللازمة للحكم على صحة " **الوحى** " وبالتالى الحكم على صحة " **الدين** " ، فيجب علينا أولا التحرر من فكر القيود المفروضة علينا من الميراث الدينى ، كما يجب علينا توخى الدقة البالغة ، عند صياغة هذه الشروط ، بحيث تكون محكمة بدرجة كافية ، حتى نضمن عدم تسرب الأديان الخاطئة من خلال الثغرات التى يمكن أن توجد فى الصياغات العامة أو الفضفاضة ، وحتى لا تحتل الديانات الخاطئة مكانا صحيحا على المسرح الإنسانى ليضل بها أقوام وأقوام ، ويكون الإنسان هو فى النهاية الضحية الوحيدة لناتج عمله هذا . وفى بند (١٨) القادم ، سوف نتناول هذه الشروط ، والقيود المفروضة على صحة هذا الوحى السماوى ، بشىء من التفصيل ، ولكن قبل ذلك يجب إلقاء الضوء على معنى .. " **الدين مصدر الإله .. أم الإله مصدر الدين** " .

١٧ ــ " الدين مصدر الإله " .. أم " الإله مصدر الدين " (كلمة حول معنى التعدد والتوحيد)

كما سبق وأن ذكرت أن القضية التى تقول بأن : " **الله مصدر الدين** " تعنى وحدانية الدين وثباته على مدار الزمن والحضارات الإنسانية ، طالما أن الله واحد ولامتغير . بينما القضية التى تقول بأن : " **الدين مصدر الإله** " تعنى تعدد الأديان ، لأنها تعنى أنه يمكن أن يقوم كل دين بتعريف إلهه على هواه .

وكما سبق وأن ذكرت ، وسأكرر ذلك دائما على مدى الكتاب ، أن قبولنا للمسلمة التى تقول بأن " **الديانة الإسلامية ديانة صحيحة** " إنما هو " **قبول معلق** " . إذ يتوقف قبولنا النهائى لهذه المسلمة على مدى ما تؤدى إليه ــ هذه المسلمة ــ من نتائج . فإن صدقت النتائج التى تؤدى إليها هذه المسلمة صدقت المسلمة نفسها ، وإن بطلت النتائج التى تؤدى إليها هذه المسلمة بطلت المسلمة نفسها . وليس فى هذا أى تجاوز منطقى أو علمى ، بل هو ــ فى الواقع ــ عين ما يحدث فى مجال النظريات الفيزيائية الكبرى ، **كما سبق وأن ذكرت فى المقدمة وعلى طول الكتاب** . وفى هذه الفقرة سوف أعرض لاختبار خاص بهذه المسلمة أشار به " القرآن المجيد " ، وهذا الاختبار هو ــ فى الواقع ــ إختبار دينى بحت ، ولم يتعرض إليه أحد من قبل من الفلاسفة أو المفكرين ، وذلك لبيان صحة المسلّمة (بتشديد اللام) والتى تقول بأن : " **الديانة الإسلامية ديانة صحيحة** " . وهذا الإختبار يعتمد أساسا على البديهية التالية :

" إذا كان الله واحدا ولا متغيرا ، فلابد وأن يكون الدين الذى يوحى به ــ الله ــ لأنبيائه ورسله هو الآخر واحدا ولا متغيرا ، وبهذا لا يتوقف ــ الدين ــ على زمان ومكان النبى أو الرسول "

وهذه البديهية تعنى بأن الرسالات السماوية ، أو الوحى الإلهى ، يجب أن يتوقف على المصدر وعلى المصدر فقط (أى الله مصدر الرسالات) ، ولا يتوقف على المستقبل (بكسر الباء) أى الرسول ، أو الزمان أو المكان الذى تجىء فيه هذه الرسالات . فطالما أن المصدر واحد ولا متغير ، فلابد وأن تكون الرسالات هى الأخرى واحدة ولا متغيرة . أو بمعنى آخر فإن الرسالات لا يجب أن تتوقف على المستقبل (أى النبى أو الرسول) ، أو الزمان (أى العصر الذى نزلت فيه الرسالة) ، أو المكان (أى الشعب المرسل إليه هذه الرسالة) . فمن غير المنطقى أو من غير المقبول ــ عقليا ــ أن يكون الله واحدا ولا متغيرا ، ثم يوحى إلى أنبيائه ورسله بديانات مختلفة تتوقف على المستقبل والزمان والمكان ، لأن هذا من شأنه التناقض مع صفات الثبات والوحدانية التى ننسبها " لله " سبحانه وتعالى .

والآن إذا ما تنــاولنا بالبحث الديانة الإسلامية على ضوء هذه البديهية السابقة ، ووجدناها تقول بأن :

" الدين واحد ولا متغير طالما أن الله واحد ولا متغير "

فإننا بذلك نكون قد أقمنا الدليل على صدق المسلمة التى تقول بأن " **الديانة الإسلامية هى ديانة صحيحة** " فعلا . أما إذا قالت الديانة الإسلامية بغيرهذا المعنى ، أى قالت بتعدد الأديان أو الرسالات وتوقفها على طبيعة الأنبياء والرسل وعلى زمان ومكان الرسالة ، فإنها تعنى بهذا أن " **الله ليس واحدا وليس ثابتا** " ، أى أنه متغير وغير ثابت ، وبذلك نكون قد أقمنا الدليل على بطلان المسلمة التى تقول بأن " **الديانة الإسلامية ديانة صحيحة** " . ولنتجه الآن لبيان ومناقشة هذه البديهية .

أولا : وبادىء ذى بدء نجد أن الديانة الإسلامية تقول بأن " **الله هو مصدر الدين** " . فالله ــ سبحانه وتعالى ــ هو الذى يشرع الدين للبشر فى كل الرسالات . فموقف محمد (ﷺ) من الدين ، هو نفس موقف الأنبياء والرسل السابقين عليه من الدين . فالله ــ سبحانه وتعالى ــ هو المصدر فى كل الرسالات ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (١٣) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ [198] (١٤) فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٥) وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١٦) ﴾

(القرآن المجيد : الشورى {٤٢} : ١٣ – ١٦)

[يجتبى : يصطفى ويختار لنفسه وولايته من يحب / من ينيب : من أقبل إلى طاعته وراجع التوبه / بغيا بينهم : عداوة ... وطلبا للدنيا / مريب : موقع فى الريبة والشك / من بعد ما استجيب له : من بعد نزول القرآن واستجاب له الناس / حجتهم داحضة : أى براهينهم باطله]

وبذلك تصبح الرسالات جميعها واحدة بغض النظر عن النبى أو الرسول أو الشعب المرسل لها الرسالة . وليس هذا فحسب بل أن كل أسماء الديانات السابقة على الإسلام هى إسلام أيضا ، كما جاء فى قوله تعالى :

---

[198] على الرغم من أن هذه الفقرة مقصورة فقط على برهان البديهية المذكورة فى أولها ، إلا أنه ينبغى الإشارة هنا إلى الحقيقة التى يذكرها القرآن المجيد فى هذه الآية الكريمة وهى : (... وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب) ، أى أن أهل العقيدة اليهودية والمسيحية فى شك وريبة من كتابهم المقدس هذا . وليس فى هذا أى إدعاء أو تجاوز فى هذا المعنى فهناك عشرات الكتب والشروح التى تعنى بشرح وإسباغ الشرعية على شخصية عيسى الإلهيه ، وهم بهذا لا يقدمون سوى دليل الصدق على شكهم فى شخصية عيسى الإلهية هذه ، وبالتالى شكهم فى كتابهم المقدس .

وبديهى سرعان ما يفشل الكُـتّاب فى كتب الشروح هذه فى تقديم أى أدلة على شخصية عيسى (عليه السلام) الإلهية . لهذا نجدهم ينتهوا ــ دائما ــ بالقول : " إذا لم تقبل ــ عزيزى القارئ ــ عيسى كإله ، فبالتأكيد هو أكثر من نجار ... More than Carpenter " (والنجاره هى المهنة التى كان يمتهنها عيسى ــ عليه السلام ــ أثناء حياته) . وعموما يستطيع القارىء الذهاب مباشرة إلى الفصل الثالث ليرى بعينى رأسه أو ليرى رؤية عيان ماذا نعنى بهذا الشك ..؟!

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ (١٩) ﴾

(القرآن المجيد : آل عمران {٣} : ١٩)

وبذلك تكون أسماء الديانات السماوية المختلفة مثل " الديانة اليهودية " و " الديانة المسيحية " ، إنما هى أسماء وضعية ومن صنع البشر بعد انحرافها عن الدين الحق ، ولم يوح الله بديانات بهذه الأسماء .

فكما سبق وأن أشرت أنه من الأمور البديهية ، طالما أن الله واحد ولا متغير ، فلا بد إذن أن يكون الدين هو الآخر واحدا ولا متغيرا . وطالما قد إفترضنا أن الدين الإسلامى هو الدين الصحيح [١٩٩] ، وكان هناك أديان سماوية قد جاءت من قبله ، إذن فلابد وأن تكون هى الأخرى تحمل نفس الإسم أى " الدين الإسلامى " أيضا .

ثانيا : كلمة " إسلام " كما تجيء فى الفكر الإسلامى ، إنما **تعنى الإنقياد الكامل وتسليم النفس طواعية لله سبحانه وتعالى ، ليكون للإنسان فضل الطاعة الإختيارية** . لأنه إن لم يسلم طوعا فهو يسلم كرها وإن لم يدرك أو يعى هذا المعنى . وهى معان يحول دون إدراك المرء لها هو جهله فحسب ولا غيبيات فى هذا ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤) ﴾

(القرآن المجيد : آل عمران {٣} : ٨٣ - ٨٤)

[الأسباط : أولاد يعقوب أو أحفاده]

---

[١٩٩] مازلت أكرر أن صحة هذه المُسلَّمَةِ (Postulate) منوط بصحة النتائج المترتبة عليها ، فإن صحت النتائج صحت المسلمة ، وإن بطلت النتائج بطلت المسلمة . وعلى الرغم من أننا قد تناولنا ــ فى هذا الكتاب ــ حتى الآن عددا كبيرا من الحقائق الدالة على صدق نتائج هذه المسلمة والتى تقول بأن " الديانة الإسلامية ديانة صحيحة " ، مما يترتب عليه صدق المسلمة نفسها ، إلا أن المناقشة المستفيضة لهذه المسلمة ــ ما زالت قائمة ــ لأنها تتطلب عرض الخريطة الكاملة لما إنتهى إليه الإنسان من علم ، وما سوف ينتهى إليه الإنسان من علم .

وبذلك تكون " الديانة الإسلامية " هى إسم الدين المشترك الذى هتف به كل الأنبياء والرسل ، وانتسب إليه كل أتباعهم . وهكذا تقول " الديانة الإسلامية " ، بأن كلمة " الإسلام " تتسع لكل المؤمنين بـــ " الله " فى كل زمان ، وفى كل مكان . فـــ " الإسلام " ليس مقصورا على المؤمنين برسالة محمد (ﷺ) ، وليس دينا جديدا دعا إليه محمد (ﷺ) ، وإنما هو دين الرسل والأنبياء السابقين والمؤمنين جميعا ، كما تبينه الآيات السابقة . وهكذا يصبح " الله الواحد اللامتغير مصدر الدين الواحد اللامتغير " وهو " **الدين الإسلامى** " . وليس هذا فحسب ، بل يتجاوز معنى إسم الدين الواحد إلى إسم " **أتباع** " الدين كذلك . بمعنى إذا كان إسم أتباع " الديانة الإسلامية " هم " **المسلمون** " ، فلا بد وأن يكون ـــ إذن ـــ إسم أتباع الديانات السابقه للإسلام هم "المسلمون " أيضا . كما يجىء ذلك فى قوله تعالى على النحو التالى :

فـــ " **نوح** " (عليه السلام) يقول لقومه :

﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢) ﴾

(القرآن المجيد : يونس {١٠} : ٧٢)

ويقول رب العزة عن إبراهيم (عليه السلام) :

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) ﴾

(القرآن المجيد : آل عمران {٣} : ٦٧)

ووصى بها كل من إبراهيم ويعقوب بنيهما من بعدهما ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ ءَابَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣) ﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ١٣٢ – ١٣٣)

ويقول يوسف (عليه السلام) :

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّى فِى الدُّنْيَا وَالأخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ (١٠١) ﴾

(القرآن المجيد : يوسف {١٢} : ١٠١)

ويقول موسى (عليه السلام) لقومه :

﴿ وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِن كُنْتُمْ ءَامَنْتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (٨٤) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨٥) ﴾

(القرآن المجيد : يونس {١٠} : ٨٤)

حتى " سحرة فرعون " أسلموا أيضا ، عندما آمنوا بموسى (عليه السلام) ، فقال لهم فرعون :

﴿ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) قَالُواْ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (١٢٦) ﴾

(القرآن المجيد : الأعراف {٧} : ١٢٤ - ١٢٦)

بل حتى " فرعون " نفسه ، قبل أن يدركه الغرق ، وفى لحظاته الأخيرة يقول بأنه آمن بالإسلام ، دين موسى وقومه ، وإنه من المسلمين . كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِى إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا الَّذِى ءَامَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) ﴾

(القرآن المجيد : يونس {١٠} : ٩٠)

و" عيسى " [٢٠٠] (عليه السلام) وحواريوه أيضا مسلمون ، كما جاء فى قوله تعالى :

---

[٢٠٠] والمسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) من المنظور الإسلامى هو أحد الرسل ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) ﴾

(القرآن المجيد : آل عمران {٣} : ٥٢)

[أحس عيسى منهم الكفر : أى عندما أحس عيسى بكفر بنى إسرائيل له]

وفى موضع آخر ، يقول رب العزة :

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ (١١١) ﴾

(القرآن المجيد : المائدة {٥} : ١١١)

ثالثا : أن محمد (ﷺ) ــ نفسه ــ كان يعلم أنه لم يأت بالإسلام كدين جديد ؛ بل هو دين كل من سبقوه من الرسل ؛ لقوله تعالى له :

﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (٤٣) ﴾

(القرآن المجيد : فصلت {٤١} : ٤٣)

وهكذا ، يتوالى إسم الأديان السابقة ، بأنها " **الإسلام** " ، وإسم أتباعها بأنهم " **المسلمون** " ، وليسوا باليهود أو النصارى أو المسيحيون ، إلا بانحرافهم عن الديانة الحقة [٢٠١] . **وهكذا يقوم**

﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥) ﴾

(القرآن المجيد : المائدة {٥} : ٧٥)

و ﴿ .. قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ .. ﴾ : تعنى بأنه قد مضت من قبله الرسل ، ﴿ .. وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ .. ﴾ : والصدّيق هو تابع النبى ومصدقه . و ﴿ .. كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ .. ﴾ : تعنى أنهم كانوا محتاجين إلى الطعام كسائر البشر وما يتبع هذا من إخراج للفضلات وخلافه ، وليس هذا من صفة الخالق . ﴿ .. أَنَّى يُؤْفَكُونَ .. ﴾ : بمعنى كيف يضلون عن الهدى . وعيسى ــ عليه السلام ــ هو أحد الرسل الخمسة من أولى العزم وهم : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد (عليهم جميعا الصلاة والسلام) .

[٢٠١] يأتى ذكر اليهود والنصارى فى القرآن المجيد ــ صراحة ــ على أنهما أتباع ديانات منحرفة وليست صحيحة ، لأنها لو كانت صحيحة لأصبحت إسلاما ؛ كما جاء فى قوله تعالى :

دليل صدق على إثبات صحة المسلمة " الديانة الإسلامية ديانة صحيحة " ، مستندين فى ذلك على البديهية التى تقول بأن : " طالما أن الله واحد ولا متغير ، فلابد وأن يكون الدين الذى يوحى به ــ الله ــ لأنبيائه ورسله هو الآخر دين واحد ولا متغير " . وهذا ما يؤكده البرهان القرآنى . ونشير هنا ؛ إن هذا مجرد دليل واحد فقط من عدد يصعب حصره من البراهين الدالة على أن " **الديانة الإسلامية ديانة صحيحة** " والتى ورد ذكرها فى القرآن المجيد ولم ندرك منها إلا قليلا مما كتب حتى الآن ..!!

ويحسم الحق ــ تبارك وتعالى ــ القضية الدينية بقوله تعالى :

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥) ﴾

(القرآن المجيد : آل عمران {٣} : ٨٥)

وليس فى القضية نبرة تعصب ، أو إشارة ما إلى هذا المعنى من قريب أو من بعيد . فمن الأمور البديهية ، إذا كان " الله " ــ سبحانه وتعالى ــ قد أوحى لأنبيائه ورسله بالدين الصحيح

﴿ وَقالتِ اليَـهودُ عُزَيْرٌ ابنُ اللّهِ وَقالتِ النَـصارَى المَسيحُ ابنُ اللّهِ ذَلِكَ قَولُهُمْ بِأفواهِهِمْ يُضاهِئونَ قَولَ الّذينَ كَفَروا من قَبلُ قاتَـلَهُم اللّهُ أنّى يُؤفَكونَ (٣٠) اتـخَذوا أحْبارَهُم وَرُهْبانَهُمْ أرْبابـاً مِّن دُونِ اللّهِ وَالمَسيحَ ابنَ مَرْيَمَ وَمَا أمِرُوا إلّا لِيَـعْبُـدوا إلَهًا واحِدًا لا إلَـهَ إلّا هُوَ سُبْـحَانَهُ عَمَّا يُشرِكونَ (٣١) ﴾

(القرآن المجيد : التوبة {٩} : ٣٠ ــ ٣١)

[قولهم بأفواههم : أى بدون سند للقضية / يضاهئون : يشابهون به (أى أنهم يقولون بنفس ما يقول به الذين كفروا) / قاتلهم الله : لعنهم الله / أنى يؤفكون : كيف يصرفون عن الحق مع قيام الدليل عليه / الأحبار : علماء اليهود / أربابا من دون الله : بمعنى إنقياد الشعب لأئمتهم ، الذين قاموا بتحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله ، وهو مالم يقل به الله ورسوله المسيح عيسى ابن مريم] .

وفى موضع آخر ؛ يصفهم الحق ــ تبارك وتعالى ــ بالكفر مباشرة لاعتقادهم الخاطئ ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ لَـقَد كَفَرَ الـذينَ قَالوا إنّ اللّـهَ هُوَ المَسيحُ ابنُ مَريَمَ وَقالَ المَسيحُ يا بَنى إسْرائيلَ اعْبـُدوا اللّهَ رَبِّى وَرَبَّـكُم إنَّهُ مَن يُشرِكْ باللّهِ فَـقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَليه الجَـنَّةَ وَمَأواهُ الـنّارُ وما للظّالِمينَ مِن أنصارٍ (٧٢) لَـقَد كَفَرَ الّذينَ قَالوا إنّ اللّهَ ثالثُ ثلاثـةٍ وَما مِن إلهٍ إلّا إلهٌ واحِدٌ ... (٧٣) ﴾

(القرآن المجيد : المائدة {٥} : ٧٢ ــ ٧٣)

obeikandi.com

، ألا وهو الدين الإسلامى ، ثم ذهب الفرد ليعتنق دينا آخر لم يقل به الله ، فمن الأمور البديهية أنه لن يقبل منه ، ولن يكون له خلاص فى الأخرة ، وبالتالى سوف يكون من الخاسرين .

إن الإنسان هو ذلك المتغير الذى تجرى عليه سنن الكون وقوانينه ، شأنه فى هذا شأن الظواهر الأخرى . وقبول الإنسان للدين الصحيح أو رفضه إنما هو محض اختياره الشخصى ، أو هو حريته الفكرية ومسئوليته الشخصية فى اختيار وجوده من الدين وبالتالى مصيره ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ .. (٢٥٦) ﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ٢٥٦)

وفى قوله تعالى :

﴿ وَقُلْ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ .. (٢٩) ﴾

(القرآن المجيد : الكهف {١٨} : ٢٩)

وهكذا فحرية العقيدة ، وحرية اعتناق الفرد لأى دين مكفولة له تماما ، ليتحقق بذلك إختباره فى هذه الحياة الدنيا . ولكن ينبغى أن يعى الإنسان إلى أن حريته ومسئوليته فى الإختيار تقع على عاتقه وحده ، حيث يتأكد هذا المعنى فى قوله تعالى :

﴿ ... ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ (٢٨١) ﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ٢٨١)

﴿ ... ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ (١٦١) ﴾

(القرآن المجيد : آل عمران {٣} : ١٦١)

وهكذا تبقى الحرية للإنسان فى الاختيار كما سبق وأن ذكرت ، كما تبقى الرحمة الممتدة من الله للإنسان فى شكل العون الإلهى النازل له من السماء ، كما فى قوله تعالى :

﴿ مَّن اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥) ﴾

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ١٥)

[والوزر : هو الإثم والذنب]

وهكذا الرحمة الإلهية الممتدة بالبشر والعناية بهم ، تتجلى فى قوله تعالى : ﴿ ... وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ ...

﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) ﴾

(القرآن المجيد : النساء {٤} : ١٦٥)

ونكرر ... قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١٦) ﴾

(القرآن المجيد : الشورى {٤٢} : ١٣ - ١٦)

[من بعد ما أستجيب له : من بعد نزول القرآن واستجاب له الناس / حجتهم داحضة : أى براهينهم باطله]

١٨ ــ الحد الأدنى

بديهى بعد العرض السابق للفكر الدينى ، وإعطاء المفهوم الدقيق عن الدين ، يمكن لنا أن نكوّن ــ بدرجة معقولة من الدقة ــ الحد الأدنى للشروط الواجب توافرها فى الديانة لكى تكون صحيحة ، طالما أن مصدرها هو " الله " الخالق لكل شىء . وبديهى لابد وأن يحوى " الدين الإلهى " أربعة عناصر رئيسية تحدد الهيكل العام للديانة . وهذه العناصر الأربعة هى :

أولا : المصدر :

فيجب أن يفهم من " الدين الإلهى " أن مصدره هو " الله " ، وأن المتحدث فيه هو " الله " ، وذلك بهدف إستكمال المعرفة الفطرية التى خلق الله عليها الإنسان . فالله ــ فى الدين ــ يقوم بتقديم نفسه للبشرية ، وهذا التقديم يحوى :

١. التعريف بالله وبصفاته أو كمالاته ــ الإلهية ــ المطلقة .
٢. التعريف بالفعل الإلهى الكلى ، ويشمل هذا منظومة الخلق (الأرض والأكوان) بصفة عامة ومنها الإنسان بصفة خاصة .
٣. التعريف بالغايات من هذا الخلق .

وذلك على النحو الذى سبق شرحه فى بند (١٥ ــ تعريف الدين) . فالله هو مصدر الدين

ثانيا : الوحى

فيجب أن يحوى " الدين الإلهى " فكر الوحى . فتبليغ الله للإنسان ، لا يتم بحضور الله شخصيا لبيان ما يريده ، بل يتم هذا من خلال وحيه لرسله الذين يقومون بالتبليغ عنه . وفى هذا يقول الله فى محكم التنزيل :

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤) رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) ﴾

(القرآن المجيد : النساء {٤} : ١٦٣ – ١٦٥)

وكما فى قوله تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا من أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) ﴾

(القرآن المجيد : الشورى {٤٢} : ٥٢)

فكما سبق الإشارة إلى ذلك (أنظر بند ٩ السابق) . فالإنسان لا بصورته المادية الحالية ، ولا بالطة الغائية من وجوده ، له الصلاحية لرؤية الله بشكل مباشر . لذا لزم وجود الوحى ، كما يلزم وجود الموحى إليه .

ثالثا : الموحى إليه

وهو النبى أو الرسول ، كما نجد هذا فى قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ من وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (٥١) وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا من أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ (٥٣) ﴾

(القرآن المجيد : الشورى {٤٢} : ٥١ – ٥٣)

والقرآن المجيد يعرف أو يحدد النبى أو الرسول بانه يجب أن يكون من نفس الجنس أو النوع المطلوب تبليغ الرسالة إليه ، كما فى قوله تعالى :

﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاء مَلَكًا رَّسُولاً (٩٥)﴾

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ٩٥)

إذ أن الله لا يرسل الى قوم رسلا إلا من جنسهم ، لتكون القدوة لهم من نفس الجنس ، حيث لا يصلح أن تكون القدوة من جنس آخر . وتصل ذروة المنطق الفكرى ــ عن الرسول ــ فى قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَّا يَلْبِسُونَ (٩) ﴾

(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ٩)

وهكذا سوف يرونه رجلا عاديا ــ حتى وإن كان ملكا ــ حتى تتحقق الإتصالية بينه وبين القوم ، ولا يكون فى هذا غرابة ما عليهم أو فى ما بينه وبينهم [٢٠٢] .

---

[٢٠٢] يعرف هذا الفكر فى مجال الرياضيات (In Mathematics) بإسم " المتغير الزائف : The Dummy Variable " ، وهو المتغير الذى يمكن أن يغير من شكله الظاهرى فقط على حسب موقعه من المعادلات الرياضية ، بينما يظل معناه ثابت ووظيفته لامتغيره بغض النظر عن هذا الشكل الظاهرى له . والمعنى المناظر ــ هنا ــ هو أن الملاك سوف يبدو رجلا ، ولكنه رجلا زائفا وليس

رابعا : الكتاب (الموحى به)

إذ يجب أن يحوى الدين على الكتاب الخاص به . ويمثل هذا الكتاب المنهاج الإلهى الدائم للإنسان ، لبيان الغايات الإلهية المتعالية من قضايا الوجود بأسرها . لذا نجد قوله تعالى :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا (١) ﴾

(القرآن المجيد : الكهف {١٨} : ١)

[عوجا : أى لا تفاوت فيه ولا ميل عن الحق]

ويضيف :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) ﴾

(القرآن المجيد : الحجْر {١٥} : ٩)

فالذكر يعنى القرآن ، والله ــ سبحانه وتعالى ــ يقرر بأنه يتعهد بالحفظ لهذا القرآن المجيد .

والآن ؛ إذا ما قبلنا بالبنود الأربعة الرئيسية السابقه ، فإننا يمكن تلخيص الحد الأدنى من الشروط الواجب توافرها فى الديانة الإلهية فى البنود التالية :

(١) طالما أن " الله " هو مصدر الدين ، لذا يجب أن يحوى الدين " فكر الإله الواحد " ، كما يجب ألا يحتوى الدين على أى نوع من أنواع الوثنيات الفكرية أو الخرافات ، كأن يكون الإله متحيزا [٢٠٣] ، أو متجسدا فى صورة إنسان [٢٠٤] ، أو حيوان أو ظاهرة كونية أو خلافة . فإن هذا يتناقض مع " القانون الفطرى لدى الإنسان عن الكمال الإلهى " .

رجلا حقيقيا ؛ ولكنه يجب أن يكون هكذا حتى يتحقق الإتصال بين الناس وبينه . وهذا النوع من المنطق الرياضى لم يتم فهم معناه بدقة كافية إلا حديثا جدا ومع تطور العلوم الرياضية فى مجال : الـ (Tensor Calculus) . ولا يأتى هذا النوع من الفكر ــ الرياضى ــ إلا فى النظريات التعميمية الكبرى ، وفيها يعمم مفهوم المتغيرات لتشمل أبعاد غير مقيدة بعدد ما . مثل فكر الأكوان ذات الأبعاد غير المحدودة ؛ أو الأبعاد اللانهائية (لاحظ أن كوننا هذا ؛ هو كون ذى أربعة أبعاد فقط : ثلاثة منها للفضاء ورابع للزمن) .

٢٠٣ متحيزا فى مكان ما ، تعنى حلول الإله فى مكان محدود أيا كانت صورته ، مثل إنسان أو وثن أو خلافه .

٢٠٤ ليس هذا حكما مسبقا على الديانة المسيحية ، ولكن أنظر الفصل الثالث للتفاصيل .

(٢) أن تكون " الحكمة الإلهية " الواردة بالدين ، حكمة متعالية على " الحكمة البشرية " . فأمر مرفوض تماما أن تكون " الحكمة الإلهية " **متدنية أو أقل من** " الحكمة البشرية " ، والله هو خالقها (أى خالق الحكمة البشرية) . فمثلا أمر مرفوض تماما أن يحوى الدين على فكر " إله أحمق " أو فكر " إله لا يدرى ماذا يفعل " . كما هو أمر مرفوض تماما أن يحوى الدين على " إله مسخ " أو " إله مشوه " .

(٣) ألا يتناقض " المنهاج الدينى " مع " المنهاج التجريبى " للإنسان وبشكل قاطع .

(٤) ألا يتناقض " المنطق الدينى " والمستخدم فى التدليل على صحة قضاياه ، بأى شكل من الأشكال مع " المنطق الفكرى " للإنسان ، والمستخدم فى شرح القضايا العلمية والفكرية . وبالتالى يجب ألا تتناقض المضامين الدينية مع بعضها البعض ، أو مع نفسها (**not to be self inconsistent**) . فأى نظرية علمية يحكم عليها بالفناء ــ مهما كانت صحة النتائج الجزئية التى تؤدى إليها ــ إذا ما كانت المضامين الداخلية لها متناقضة مع بعضها البعض . فما ينطبق على الفكر العلمى بوجه عام ، يجب أن ينطبق على الفكر الدينى أيضا وبشكل أكثر تخصيصا ودقة .

(٥) أن يدرك الإنسان من " **الفكر الدينى** " غاية إلهية متعالية عن خلقه ، وأن يدرك مراحل تطوره ؛ الماضى والحاضر والمستقبل . وألا يكون هناك تناقضا ــ مهما صغر ــ بين " الفكر الإلهى المتعالى " الوارد بالدين ، وبين ما يجىء به الإنسان من علوم وضعية وإكتشافات علمية مهما كانت . كما يجب أن يدرك الإنسان ماهيته من خلال الدين .

(٦) يجب ألا يقع مضامين الفكر الدينى " **كاملة** " **فى** " **الحيز الغيبى** " ، بحيث لا يمكن القطع بصحتها ، وبالتالى لا يمكن القطع بصحة الديانة كلها . بل يجب أن يحوى " الفكر الدينى " على " مضامين دينية " تقع فى منطقة ظاهرة ــ من الوجود ــ بحيث يمكن التثبت منها يقينا ، لتكون ــ بالاستنباط الرياضى (**Mathematical Induction**) ــ دليل صدق على صحة المضامين الأخرى الغيبية ، وبالتالى القطع بصحة الديانة كلها .

وهذا هو عين الفكر الفيزيائى الحديث فى النظريات العلمية الكبرى ، مثل " النظرية النسبية

The Theory of Relativity : " ، و " النظرية الكمية : The Quantum Theory " ، وعن الكون " **نظرية الإنفجار الكبير : The Big Bang Theory** " ... وهكذا . فجميع هذه النظريات مبنية على مسلمات أساسية لا يقوم عليها البرهان بشكل مباشر ، ولكن النتائج التجريبية الصحيحة التى تم استنتاجها من واقع هذه المسلمات هى التى أدت إلى التأكد من صحة وصدق هذه المسلمات المفروضة .

(٨) ألا يتناقض الدين مع " **رد الفعل التلقائى** " أو " **رد الفعل الفطرى** " [٢٠٥] لدى الإنسان تجاه القضايا الكلية والأخلاقية والإلهية .

(٩) أن يدرك الإنسان تماما من الدين ، وأعنى بكلمتى " يدرك تماما " أن يتأكد الإنسان يقينا ، وبما لا يدع مجالا لأى شك ، من قصوره الفكرى ومحدوديته أمام " الفكر الإلهى المحيط " والوارد بالدين . أو بمعنى آخر ؛ يجب أن يظهر الدين " **ظاهرة الإحتواء** " ، بمعنى أن " الفكر الإلهى " الوارد بالدين يجب أن يحتوى ويحوى " الفكر البشرى " برمته ، مهما بلغت درجة جموحه أو شروده أو شطحاته فى القضايا العلمية الكلية والكونية .

(١٠) أن يفهم الإنسان تماما " من الدين " وبشكل قاطع ، ما يعنيه الله " بالدين " ، وأن يفهم منه أن العلم البشرى هو " غاية محدودة جزئية " . كما يمكن المزج بينهما أحيانا ، بمعنى أن الدين علم والعلم دين ؛ مع الإحتفاظ بالمفهوم العام بأن " الدين هو العلم الكلى " ، بينما العلم البشرى هو " العلم الجزئى " .

(١١) أن يكون " فكر القضية الدينية " فكر كلى وشمولى ؛ بمعنى أن يشمل " الفكر الدينى " الوجود بأسره ، ليكون الإنسان وعلمه ، وكونياته ، ووجوده ومصيره ، جزئية صغيرة للغاية ، وحالة خاصة من غاية كلية كبرى . فالمتكلم فى الدين هو " الله " بكمالاته الإلهية الكلية والمطلقة [٢٠٦] ، ولذا فمبدأ " المعرفة الشمولية أو الكلية " هو المبدأ الوارد أو المتوقع فى هذا الحديث ، أما مبدأ " المعرفة الجزئية " أو " المعرفة القاصرة " فهو مبدأ مرفوض تماما ، لتناقض ذلك مع المتكلم ، وهو الله بكمالاته اللانهائية .

---

[٢٠٥] **أنظر الفصل الثالث ، بند (٣. ٢.) للتفاصيل .**

[٢٠٦] **الكمالات الإلهيه ــ كما سبق ذكره ــ هى صفات الله ، أو " أسماؤه الحسنى " (أنظر الملحق الأول) .**

(١٢) أن يفهم من " الفكر الإلهى " الوارد بالدين (أو كتاب الدين) نوعين من القوانين الكلية ، والتى قد سنها الله ، سبحانه وتعالى . وهذان النوعان ــ من القوانين ــ هما :

النوع الأول : هى قوانين سرمدية (لامتغيرة) ، لا يسمح فيها بأى فترة سماحية مهما بلغت صغرها (**No tolerance is allowed**) . وهذه القوانين تعرف بقوانين التسخير للظواهر الكونية ، وهى تهدف خدمة الإنسان . إذ أن أى فترة سماحية بالتغيير فى هذه القوانين تعنى القضاء على الوجود المادى للإنسان بأسرة من هذا الكون .

أما النوع الثانى من القوانين : فهى القوانين التى يسمح فيها " الله " (ﷻ) بفترة سماحية محدودة (**finite tolerance is allowed**) تعمل أو تطفو فوق سطح قوانين سرمدية أخرى . وهذه القوانين هى التى يخضع لها الإنسان . وفترة السماحية هذه ؛ هى المساحة المحدودة التى قد قررها الله (ﷻ) لتعمل فيها الإرادة البشرية والاختيار الإنسانى . أما باقى القانون فهو جزء لامتغير مثل القوانين السرمدية السابقة وهو تمثل الفعل الإلهى ، أو الإرادة الإلهية فى الإنسان ، متمثلا ذلك فى القضاء والقدر ، وحياة الإنسان ومماته وبعثه وحسابة .. إلى آخره ، وكذا يشمل هذا الجزء ــ اللامتغير ــ " القوانين الحيوية : **Biological laws** " التى يخضع لها الإنسان ، متمثلا ذلك فى عمليات الهضم ، والدورة الدموية ، والإخراج ، والتكاثر .. إلى آخرة ، فجميعها قوانين تعمل بدون تدخل إرادة الإنسان فيها ، وبدون وعى منه ، ولكنها فى الوقت نفسه تعمل بالمشيئة الإلهية .

(١٣) أن يعطى الدين (أو كتاب الدين) الفكر الكافى عن " الله " وعن صفاته وكمالاته الإلهية ، وعن حكمته المتعالية المتمثلة فى " فعله الإلهى الكلى " لهذا الوجود ، وأى وجود آخر لعوالم أخرى فى كوننا هذا أو فى أى أكوان موازية أخرى [٢٠٧] ، قد تقضى " حكمة الله المتعالية " إطلاع الإنسان عليها ، لتوسيع دائرة إدراكاته المحدودة والمستمدة من واقع حواسة المحدودة أيضا . فيجب أن يعى الإنسان أن حواسه محدودة حتى بعد توسيع طيفها (أى بعد توسيع طيف إدراك هذه الحواس) بإستخدام أجهزة الكشف العلمية المختلفة لإدراك الظواهر غير المنظورة كإنتشار الموجات ، وكشف الجسيمات الأولية للمادة ، وسبر أغوار الكون ... وخلافه .

---

[٢٠٧] سنأتى إلى تفصيل ذلك فى : " الدين والعلم ... وقصور الفكر البشرى " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

(١٤) أن يفهم من " **الجمل الدينية** " أى الجمل الواردة فى كتاب الدين ، أنها " صياغة إلهية مباشرة " ، وبالتالى يجب أن تكون هذه الجمل بمثابة " القوانين الفيزيائية الكلية " ، التى لا يحدها مكان أو زمان العصر . وبالتالى يمكن أن تؤول أو تفسر على ضوء الزمان والمكان الحضارى الذى يحويه الدين ، بدون أى تناقضات مع إدراكات العصر . أو بمعنى آخر أن تفسير (أو تأويل) " **الجمل الدينية** " يجب أن تعكس الخلفية العلمية والحضارية لمكان وزمان التفسير (أو التأويل) بدون تناقضات مع العصور المختلفة ، وهذا هو معنى البرهان الحركى (**The dynamic proof**) للجمل الدينية للنص الإلهى ، فهو برهان متحرك مع ثقافة العصر وحضارته .

كما يجب أن تستدق معانى " الجمل الدينية " ليصبح لكل حرف أداء قاطع الدلالة ، فالمتحدث هنا هو الله بكمالاته الإلهية المطلقة . لذا يجب أن تبين " الجمل الدينية " الآتى بعد :

أولا : الإحاطة الكلية للعلم البشرى

ثانيا : الإحكام النهائى فى الصياغة الكلامية (The ultimate compactness of word and letter structure) ، وهذا يعنى أن عدد الكلمات الواردة " بالجمل الدينية " هى أقل عدد ممكن من الكلمات والأحرف ، التى يمكن أن تعطى أكبر طيف ممكن من المعانى والتأويلات الصحيحة ، والتى تصلح لكل زمان ومكان .

(١٥) بديهى أن صانع المعدة " أو الجهاز " هو الأكثر دراية بمعدته ، وبالتالى فهو خير من يضع " كتاب التشغيل " الخاص بها لضمان حسن سير وأداء المعدة . وكذلك الإنسان (المعدة) عليه أن يدرك من الدين ــ وبدون قهر ــ أن الله خالقه (صانع هذه المعدة) أدرى منه بها ، وبالتالى فإن إتباعه للأحكام الإلهية أو التشريع الإلهى (أى لكتاب التشغيل) الوارد بالدين ، هى خير من يضمن له حسن الأداء ــ فى الحياة ــ والسعادة المطلقة فى وجوده ومصيره . كما وإن عصيانه لهذا التشريع بالمقابلة (أى سوء تشغيل المعدة) سوف يقودة للشقاء والعذاب فى حياته ومصيره .

(١٦) وكما يوجد " كمال إلهى " يوجد أيضا " كمال إنسانى " بالمفهوم المحدود ، وليس بالمفهوم المطلق وغير المقيد بالنسبة " لله " سبحانه وتعالى . فمثلا إذا قلنا أن " الله قوى " بالمعنى المطلق ، فإن " الإنسان قوى " بالمعنى المحدود والنسبى للكلمة ، ولكن يصح إطلاق

نفس الصفة على الإنسان ؛ وهكذا بالنسبة للصفات أو الكمالات الإلهية الأخرى مثل : **الرحيم** ، **الغنى** ، **الملك** ، **المؤمن** ، **المهيمن** ، **العزيز** ، **الجبار** .. إلى آخره .. فجميعها صفات يمكن أن يتصف بها الإنسان .

فالحقيقة أن " **الكمال الإنسانى المحدود** " هو إنعكاس جزئى " **للكمال الإلهى المطلق** " على الإنسان . أو بمفهوم آخر هو إنعكاس " اللامحدود " على " المحدود " ، كما تنعكس أشعة الشمس المتفرقه فى كل الإتجاهات على المرآه المحدودة الأبعاد فى أحد هذه الإتجاهات .

والأنبياء هم ــ فى الواقع ــ الإختيار الإلهى لصفوة من البشر [٢٠٨] ليقوموا بتبليغ رسالة الله للبشرية ، ويكونوا النماذج الأولى والقدوة فى تطبيق المنهاج أو الشرع عليهم ، لذا لابد من أن تكون صفات الأنبياء هى الذروة فى " الكمال الإنسانى المحدود " ، حيث أنهم سوف يمثلون القدوة البشرية للبشرية ، وذلك بمفهوم أرقى كثيرا من مفهوم أبطال الشعوب .

لذا يجب أن يفهم من " الدين " أن الإختيار الإلهى للأنبياء لا يتم عشوائيا ، بل يتم بحكمة وقصد إلهى متعال لجعل هؤلاء الأنبياء القدوة البشرية فى مكارم الأخلاق والسلوكيات أو الكمال الإنسانى . فأمر مرفوض تماما أن تكون القدوة فى الأمور الدينية ، لأفاق أو خائن أو زان .. أو خلافة ، أو لمن يتصف ببعض هذه الصفات أو كلها .. أو بصفات مماثلة ، لأن هذا يتناقض مع الضمير الأخلاقى أو الفطرة الإنسانية السليمة من جانب ، والكمال الإنسانى من جانب آخر ، والحكمة الإلهية المتعالية المتمثلة فى هذا الاختيار ، من جانب ثالث .

(١٧) أن ينتهى الإنسان الى الإقتناع النهائى - **من خلال كتاب الدين** - بإدراك المعنى الحقيقى لضعفه المتناهى وعلمه القليل والمحدود ؛ أمام العظمة الإلهية المتعالية والمتجلية فى الدين ، أو

---

[٢٠٨] يرى بعض الروحانيين (أى المشتغلين أو المهتمين بالدراسات الروحية) أن النبوة هى نوع من الوساطة الروحية أسمى بكثير من الوساطة الروحية لدى الوسطاء العاديين . وهذه الوساطة الروحية السامية هى التى تمكن الأنبياء من الإتصال بالعوالم العلوية للملائكة . ويستنتج الروحانيون أن الوحى ما هو إلا الرسائل الروحية التى كان يدلى بها الملاك جبريل (عليه السلام) ، والذى يسمى أحيانا " بالروح القدس " أو " الروح المرشد " لـ " محمد " (عليه الصلاة والسلام) وللأنبياء السابقين . كما يرى ــ الروحانيون ــ أن الموهبة الروحية هى أساس صفات أو عبقريات النبوة ، كإشتهارهم بمكارم الأخلاق ، والحكمة ، وإهتمامهم بسعادة الآخرين ، وإحتمالهم لصنوف الأذى والعذاب ... إلى آخره ، وليس العكس ؛ أى بمعنى أن العبقريات لا تجعل من الفرد نبيا أو رسولا ولكن الموهبة الروحية له هى التى تجعل منه النبى والرسول ، وما الصفات والعبقريات إلا نتيجة طبيعية لهذه الموهبة الروحية . فالموهبة الروحية لديهم هى جزء من فطرتهم التى جاءوا عليها .

في كتاب الدين ، والتسليم النهائى " لله " والسجود " طواعية " (أى باختياره) لله الخالق رب العالمين .

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (١٥) ﴾

(القرآن المجيد : الرعد {١٣} : ١٥)

وليتضاءل الفكر البشرى أمام الفكر الإلهى المحيط فى هذه الآية الكريمة السابقة ، والتى تنبه إدراكاتنا القاصرة الى أن السجود لله ــ طوعا وكرها ــ لا يشمل الوجود بأسره فحسب ، بل يشمل أيضا الظلال ؛ ظلال كل من فى السماوات [٢٠٩] والأرض .

ونلاحظ أن كلمة غدو ، هى جمع كلمة غداة ، وهو الوقت ما بين الفجر وطلوع الشمس ، وفيه يكون طول الظل فى بداية الشروق لانهائى وفى إتجاه الغرب (ليكن سالب مثلا) . وكلمة أصال هى جمع كلمة أصيل وهو الوقت حين تصفر الشمس حتى وقت غروبها ، وفيه يكون طول الظل لانهائى وفى إتجاة الشرق (أى فى الإتجاه العكسى أو الإتجاه الموجب طالما إعتبرنا أن الإتجاه السابق سالب) .

وهذه إحاطة رياضية مثيرة (fantanstic mathematical inclusion) ، بأن السجود يشمل جميع أنواع الظلال من أكثرها (أو أطولها) طولا فى إتجاه الشرق (Maximum negative length) ، الى أشدها (أو أطولها) طولا فى الإتجاه العكسى وقت الغروب (Maximum positive length) . ورياضيا هذا يعنى من سالب مالانهاية (negative infinity) إلى موجب مالانهاية (positive infinity) . ثم ننظر إلى الثلاث كلمات الداله على ذلك الإحكام فى الصياغة ، والإحاطة الإلهية للعلم الكلى الوارد بالنص :

﴿ ... وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (١٥) ﴾

(القرآن المجيد : الرعد {١٣} : ١٥)

---

[٢٠٩] سنأتى الى شرح معنى السماوات فى : " الدين والعلم .. وقصور الفكر البشرى " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

واستخدام صيغة الجمع لكلمتى " غداة " و " أصيل " فى قوله تعالى ﴿ ... وَظِلالُهُمْ بِالغُدُوِّ وَالأَصَالِ ﴾ ، إنما تعنى أن لكل مكان على سطح الأرض له شروقه الخاص به ، كما وإن له غروبه الخاص به أيضا .

كما يحمل معنى الجمع أيضا وجود أنظمة كوكبية لها أكثر من شمس ، وهذه أنظمة محتملة أيضا للكواكب التابعة للأنظمة النجمية الثنائية والثلاثية والتى تدور حول مركز جذب مشترك [٢١٠] . وبالتالى فإن كواكب (أو أراضى) هذه المجاميع النجمية سوف يكون لها أكثر من شمس (فالأنظمة الثنائية سوف يكون لها شمسان ، كما سيكون للأنظمة الثلاثية ثلاث شموس ، وهكذا ...) ، وبالتالى فسيكون لكل كوكب تابع لهذه الأنظمة ، أى لكل أرض منها ، أكثر من شروق وأكثر من غروب . ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل يشير أيضا لإحتمالات وجود أنظمة كوكبية فى أكوان موازية لكوننا هذا . وهذا هو سبب إستخدام صيغة الجمع فى قوله تعالى ﴿ ... وَظِلالُهُمْ بِالغُدُوِّ وَالأَصَالِ ﴾ . وربما كان هذا ــ البرهان المتحرك ــ للفكر القرآنى يجعل الأعتقاد الأكثر إحتمالا هو أن :

" الوجود مركب على الصياغة القرآنية ، وليست الصياغة القرآنية مركبة على الوجود . أو بمعنى آخر أن القرآن يمثل الدستور الإلهى الأول أو الإبتدائى ، الذى بنى على أساسه مفردات الوجود الكلى - فيما بعد - بتفصيلاته المختلفة [٢١١] " .

---

[٢١٠] فى الواقع ؛ نجد أن نصف أو أكثر من نصف نجوم السماء ، عبارة عن أنظمه نجمية متعددة (Multiple Star Systems) تدور حول مركز جذب مشترك (أو مركز ثقل المجموعة) يعرف باسم (The barycenter) . ومن بين هذه الأنظمة المتعددة ؛ الأنظمة النجمية الثنائية (The double or binary star sytems) ، والتى يكون لكل كوكب فيها ــ من هذه المجموعة ــ شمسين بدلا من شمس واحدة كما هو الحال فى نظامنا الشمسى المعروف .

[٢١١] بديهى لن نتعرض هنا ، لمناقشة " مشكلة أزلية القرآن أو أنه حادث وغير أزلى " ، فإن نفى أو إثبات جزئية هذه المشكلة (والتى كانت تعرف باسم " فتنة خلق القرآن ") ، أعتقد أنه لا يفيدنا كثيرا . وقد سببت هذه المشكلة قديما ، خلافا بين أهل السنة والمعتزلة (وهما من الفرق الإسلامية) . فقالت السنة بأزلية القرآن ، بينما قالت المعتزلة بأنه مخلوق وغير أزلى . وكان من ناتج هذا الخلاف أن قام الخليفة المأمون ــ الذى اقتنع برأى المعتزلة ــ بإيداع الإمام أحمد بن حنبل ، أحد أئمة السنة الأربعة ، فى السجن (لمدة أربعة عشر شهرا) ، ثم أفرج عنه بعد ذلك .

ووجهة نظر أهل السنة فى هذا أن الكلام هو من صفات الله تعالى ، وأن الصفة الإلهية شىء مضاف إلى الذات الإلهية وأنها أزلية مثله ، وبذلك يكون كلام الله ــ أى القرآن ــ قديم وأزلى بأزلية الله ــ سبحانه وتعالى ــ وإنه غير مخلوق فى زمن معين فى التاريخ . بينما كان المعتزلة يقولون بأن

فعدد الدلالات التى تؤدى إلى هذا المعنى فى القرآن المجيد ، أكثر من أن تعد أو تحصى ، وقد ذكرنا جانبا منها حتى الآن على طول الكتاب . وهذه هى " **الإحاطة الإلهية المتعالية لمعنى النصوص** " وهذا هو " **الإحكام الإلهى النهائى فى صياغة النص القرآني** " . وهذه هى ديناميكية البرهان القرآنى (**The dynamic proof**) . الذى لا يقف عند حد ثابت أو معرفة محدودة للإنسان ، بل ينتهى دلالة النص القرآنى دائما ، عند نهاية ثقافة الفرد وثقافة العصر ، وليس هذا فحسب ، بل يبقى النص دائما فى حالة تأهب لأى عطاء مستقبلى آخر . **وتتناهى المعرفة بهذا فى قوله تعالى :**

﴿ ... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩) ﴾

(القرآن المجيد : النحل {١٦} : ٨٩)

[ونزلنا عليك : يا محمد / الكتاب : القرآن المجيد / تبيانا لكل شيء : لبيان كل شيء فى هذا الوجود]

وفى قوله تعالى :

﴿ ... مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ... (٣٨) ﴾

(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ٣٨)

[ما فرطنا : ما تركنا / الكتاب : القرآن المجيد]

وربما كانت الشروط السابقة (السبعة عشر) ، والتى استعرضناها آنفا تمثل الحد الأدنى الواجب توافره فى الديانة لكى تكون صحيحة ، أى أن يكون مصدرها الإله وليس البشر .

* * * * * * * * * * * * * * *

وبهذه الشروط السابقة نكون قد وضعنا قيودا صارمة ــ إلى حد ما ــ للتحقق من صحة الدين ، وبديهى أن هذا ليس إلزاما يفرضه الإنسان على الخالق ، ولكنه ــ فى الواقع ــ هو إلزام يفرضه الخالق علينا ، حتى نتحقق من صحة الدين ، ويكون التدين بالنسبة لنا محل مساءلة . إن الإنسان ليس له إستقلالية إلا فيما يعى ويفهم ، وقد زودنا الله بالملكات الكافية والمنطق الفكرى اللازم الذى يجعل من " القضية الدينية " والتحقق من صحتها دون

الصفة هى " عين الذات " أى أنها ليست مضافة إلى الذات ، وبالتالى يمكن أن يتكلم ــ أى يوجد القرآن ــ حين يشاء ، وبالتالى فهو مخلوق وغير أزلى . كما كانوا يقولون بأن الإعتقاد فى قدم القرآن إلى جانب قدم الله هو شرك .

مستوى هذه الملكات والمنطق الفكرى لدى الإنسان بكثير . وبذلك تصبح المساءلة الدينية لها معناها الحقيقى ، كما تصبح القضية الدينية بهذا المعنى ... " قضية مطلقة " ... تمثل غاية حياة الإنسان ومصيره .

وكما سنرى ــ وكما سبق أن رأينا فيما تعرضنا له من جوانب محدودة ــ فإن جميع الشروط السابقة ، تقف فى تواضع شديد أمام الفكر الإلهى المحيط فى كتاب الديانة الإسلامية . وليس هذا فحسب ، بل أن كتاب الدين الإسلامى يحتوى أيضا على شروط أخرى أعم وأصعب من أن نحصيها ؛ كقوانين الإيمان ، والعبادات ، والتشريعات ، والمعاملات ، والسياسة ، وحركة الإنسان فى هذه الحياة بوجه خاص وبوجه عام ، كما تصل هذه القوانين إلى منتهى أغوار النفس البشرية . وسوف نمس منها ما نستطيع مسا خفيفا فى مواقع أخرى من هذا الكتاب ، كما فعلنا من قبل .

ولا نملك فى هذا الصدد إلا قوله تعالى عن قرآنه المجيد :

﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَـاتُـهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) ﴾

(القرآن المجيد : هود {١١} : ١)

وعلى الجانب الآخر ، سنجد أن كل الديانات الموجوده على المسرح الإنسانى لم تخرج عن حيز الفكر الوثنى ، بل حتى لم تتطاول لتحقيق شرط واحد من الشروط السبعة عشر السابق ذكرها . أما لماذا لم يدرك أهل هذه الديانات هذه الحقيقة ، فالكاتب يجزم ــ **كما يعتقد الدكتور هانز كونج / أنظر تذييل ١٨٧** ــ بأن الغربيين لا يعرفون إلا النذر اليسير جدا عن الإسلام ، اللهم بإستثناء قلة ضئيلة للغاية من المثقفين ، وحتى معظم المستشرقين الغربيين لم يوفقوا إلى فهم الإسلام فهما معقولا . ومن جانب آخر لا يقل أهمية عما سبق ، **هو أن الإنسان مازال إلى الآن لا يعى معنى الدين .. بل وما زال يحيا عهد الطفولة الدينية ..!!**

أما القول بأن المسيحيين يظلوا على مسيحيتهم حتى بعد إدراك أن الديانة الإسلامية ديانة حقة ، وذلك لأن فكرهم يكون معلق بالنجاة والخلاص ، مستندين فى ذلك الى الخلفية المعروفة والناظرة إلى الخطيئة الأولى لآدم وإلى آلام السيد المسيح . فجملة تقديرى ــ إن صح ما يقولون ــ فإن هذا الرأى خاطىء ؛ لإنه لا يعكس عدم فهم هذه الفئات للديانه الإسلامية فحسب ، بل يعكس أيضا عدم فهم هذه الفئات للديانة المسيحية نفسها أيضا . **فالحقيقة التى لا تقبل**

الجدل أن المسيحية لا تقدم خلاصا ما [٢١٢] ، اللهم إلا الصورة المتردية السابق عرضها ولعدد قليل جدا من البشر (١٤٤ ألف يهودي فقط) وكما سيتم مناقشتها بالتفصيل فى الفصل التالى .

وأخيرا أقول أن من يتكلم العربية ، وأدرك القرآن ، وأعرض عما فيه من إعجاز ، فلا نملك إلا لفت نظرة الى القانون الإلهى المحيط لهذا الإنسان المتكبر ؛ فى قوله تعالى :

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٦) ﴾

(القرآن المجيد : الأعراف {٧} : ١٤٦)

ولن أزيد عن القول ، بأننا لو أردنا فهم الجانب النفسى للإنسان الوارد فى هذه الآية الكريمة ، فلن تسعفنا كل صفحات هذا الكتاب لشرح هذا المعنى .

وأكرر هنا أن القضية المعروضة فى هذا الكتاب ، ليست قضية تبشيرية كما قد يظن البعض ، فعلى الإنسان أن يعى أن مصيره وخلاصة معلق بمعرفته الحقه لله ــ سبحانه وتعالى ــ **وتوجهه الصحيح إليه** ، وهذا لن يتأتى إلا من خلال الدين الصحيح فقط ، أما الإصرار على الإحتفاظ بالوثنيات ولاء لدين موروث ، أو تحقيقا لمنفعة إجتماعية ، فلن يجنى منها الإنسان إلا الخسارة لوجوده والخسران لمصيره ، لأنه لن يحقق الغايات من خلقه ككائن عاقل متعقل . وفى هذا الشأن يعرض الله (ﷻ) للصورة المتردية التى سوف يكون عليها ذلك الإنسان الخاسر لنفسه ، لعله يثوب الى رشده ويتدارك نفسه قبل فوات الأوان ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ .. .. حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (٢٥) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٢٦) وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢٨) ﴾

(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ٢٥ – ٢٨)

---

[٢١٢] أنظر بند (١٤ . قانون الخلاص الفطرى) من هذا الفصل .

وأحد النتائج العرضية والضمنية لهذه الآية الكريمة ، هي أنها تنفي فكرة التناسخ بشكل قطعي ، أى تناسخ الأرواح كما تجيء به ديانات الهند الكبرى . فالآية الكريمة تحوى المعنى العام **بعدم جدوى التناسخ طالما لا يكون مصحوبا بذاكرة ما عن تجربة سابقة** ، أو تجربة مستفادة لتصحيح الموقف فى حياة أخرى ، **فهل تنبه الإنسان** إلى هذا المعنى فى قوله تعالى : ﴿ ... **وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** ﴾ .. أم لا يعى ما يسمع ..!!

ولننتقل الآن الى " **الكتاب المقدس** " بعهديه القديم والجديد ، لنرى من خلاله النصوص ، والأنبياء والفكر الإلهى ، ماذا يقدم هذا الكتاب للبشرية ، **ولماذا كانت المذاهب الفكرية (أى الوضعية) هى النتيجة الحتمية لهذا الكتاب ..!!**

* * * * * * * * * * * *

obeikandl.com